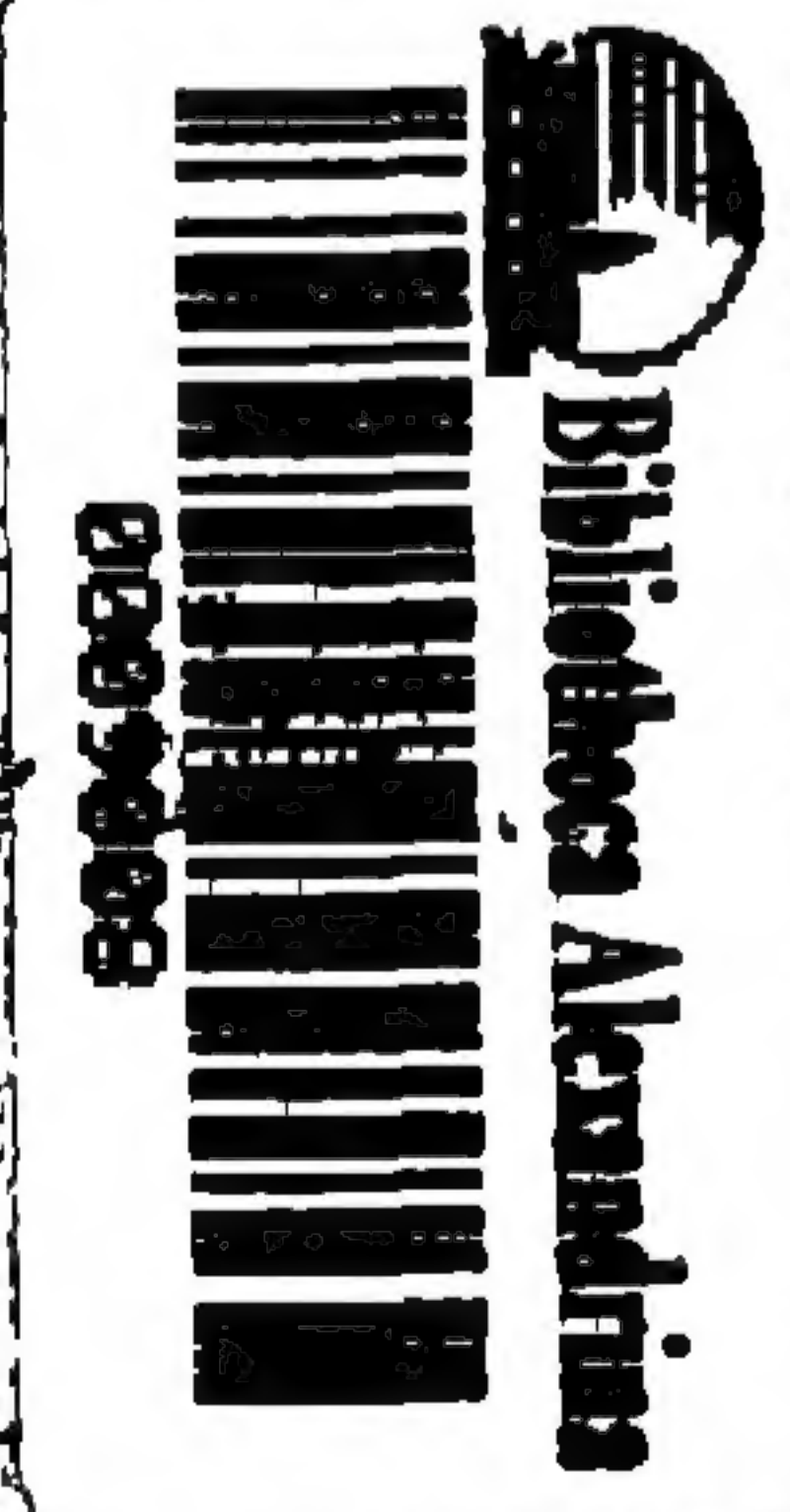


# مصر في الأندلس الغنية والحديثة

تأليف

الدكتور - د. عبد الحليم عبد الحليم  
مدرس التاريخ في جامعة القاهرة

الطبعة الأولى: ١٩٨٥  
الطبعة الثانية: ١٩٨٥







الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف: ٤٣٥٣
رقم التسجيل: ٤٣٥٣

4303

# فيلاديليا العنبر والحديث

ريحان

٢٠٠٣

892.02.19

١٩٨٨

١٩٨٨

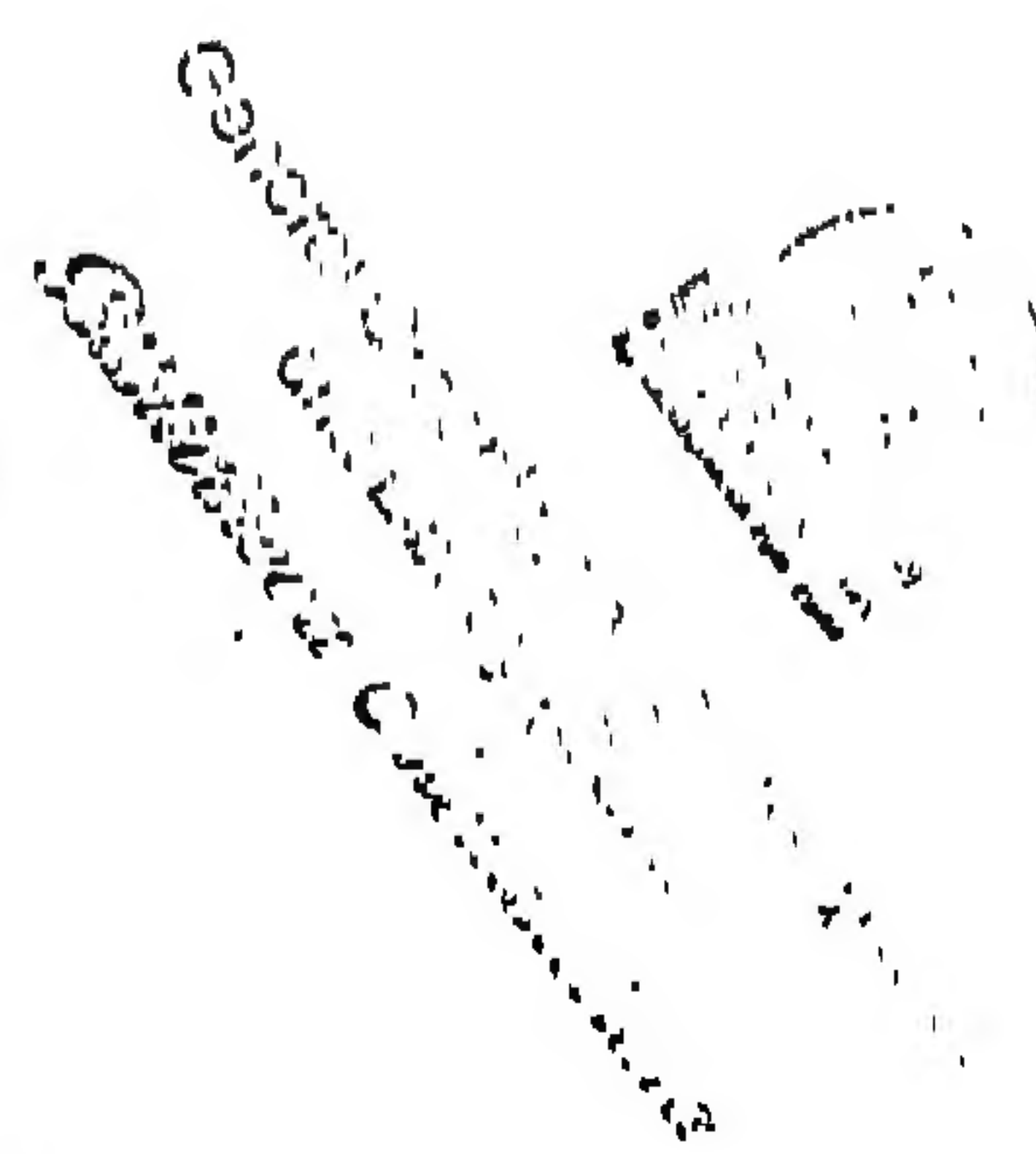
١٩٨٨

تأليف

الدكتور - زين العابدين محمود حسن

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٨٨



دار الثقافة للنشر والتوزيع

القاهرة - ت. ٩٤٦٩٦٠



إهداء

إلى ولدى الحبيب : محمد

أول من أعلن في سمع نبا أبوتى



## مقدمة

قام الكثير ممن سبقوني الى مضمار الأدب العبرى باجراء العديد من البحوث والدراسات التى تلقى الضوء على صورة « العرب » فى الأدب العبرى فى عصوره المختلفة ، فأبلوا فى ذلك بلاء حسنا ، وحملت دراساتهم بالعديد من أوجه الكمال والرقى التى تفخر بها مكتبتنا العربية . الا أن أحد لم يول صورة مصر — فى هذا الأدب — دراسة خاصة يليق بدورها القيادية والريادية لأمتها العربية ، وهو الدور الذى لم ينقطع فى أى فترة من فترات التاريخ ، بل هو الدور الذى أدى الى ظهور مصر بشكل دائم ومتصل فى الأدب العبرى عبر مراحلها المختلفة ، ولذا رأينا أن نطرق هذا المجال ، يحدونا فى ذلك أمل الاسهام فى اجلاء هذه الصورة والوصول الى ملامحها وذرائعها ونتائجها .

وربما يرمينا أحد بالاقليمية . وكأن الاقليمية باتت جريمة ، أو كأنه من المحتتم علينا — حين نتعاون مع أشقائنا — أن نبرز ذواتهم وننسى ذاتنا أو نتناساها ، وهو ما نأباه لمصر بتاريخها الطويل وشخصيتها المتفردة وتجارب أبنائها العديدين مع المكان والزمان منذ فجر التاريخ الانسانى ، بل هو ما تأباه عروبتنا التى تسرى فى الدماء ... فنحن حين نتحدث عن مصر فانما نتحدث عن زعامة الأمة العربية وقلبها ، وهذه الزعامة ما هى الا تكليف وتقليد ، تكليف فرضه عليها موقعها الجغرافى فى قلب أمتها العربية ، وتقليد رصده صفحات التاريخ وتعددت فصوله ، وما زالت تتعدّد حتى الآن ، ولذا فان الحديث عن مصر يجب أن يحسب لنا لا علينا .

ونظرا لكثرة المؤلفات الأدبية العبرية التى تتناول صورة مصر — سلبا أو ايجابا — فقد قسمنا الكتاب الى بابين ، اشتمل كل منهما على



ثلاثة فصول . تحدثنا فى الباب الأول عن صورة مصر القديمة : حيث أفردنا الفصل الأول للمؤلفات التى لا تنظر الى مصر الا من خلال صفاتها التى وردت فى كتاب العهد القديم ، وهى صفات تتسم — فى مجملها — بالسلبية والافتراء ، وفى الفصل الثانى تحدثنا عن مصر الفرعونية ، حيث ألقينا الضوء على صورة الحضارة المصرية القديمة عند أدباء العبرية ، وهى صورة تتسم — فى الغالب — بالايجابية : حسبهم فى ذلك ما شهد به علماء التاريخ من أن مصر هى قبلة العالم حضاريا وتاريخيا ، أما الفصل الثالث فقد أفردناه لذلك الاتجاه الذى ينظر الى أية كارثة تحل باليهود — فى أية بقعة من بقاع العالم — على أنها تكرار لما حدث لبنى اسرائيل فى مصر ابان عصر موسى ، ولذا باتت مصر رمزا لمنفاهم التاريخي .

أما الباب الثانى فقد تناول صورة مصر الحديثة فى الأدب العبرى ، حيث تناول الفصل الأول صورة مصر فى عيون أدباء العبرية الذين زاروها فى أى فترة من فترات حياتهم ، وتراوحت الصورة فيه بين السلبية والايجابية وفقا لطبيعة الزيارة . وعما اذا كانت طردا وملادا أو رحلة واستمتعا ، وأفردنا الفصل الثانى للحديث عن صورة مصر عند بعض أدباء العبرية الذين نشأوا فيها وخطوا خطواتهم الأولى فوق ثراها ثم هاجروا بعد ذلك الى فلسطين وبقيت مصر فى وجدانهم باعتبارها موطن الميلاد . أما الفصل الثالث فقد أفردناه لصورة مصرى الأرض المحتلة فى الأدب العبرى الحديث ، وهى صورة تتسم — فى الغالب — بالسلبية والاجحاف انطلاقا من الفكر العنصرى القائم على ثنائية يهود الشرق ويهود الغرب ( السفارديم والاشكنازيم ) التى تهدد المجتمع الاسرائيلى من أساسه .

وتبقى — فى النهاية — كلمة ، وهى أنه من السهل أن نسقط الجوانب الأدبية والفنية والفكرى من دائرة الصراع العربى الاسرائيلى ، ولكننا بذلك نرتكب خطأ فادحا فى حق أنفسنا وحق أمتنا . لأننا نسقط — من طرفنا فقط — جانبا هاما من جوانب الصراع . قطعوا هم شوطا كبيرا فعرجوا عنا الكثير ، وما علمنا عنهم الا القليل . ان الاطلاع على كتاب يساهم فى



تشكيل عقلية الفرد الاسرائيلي ووجدانه خير - ألف مرة - من الوقوف أمام مكبر صوت نهتف لأنفسنا ونصب لعناتنا عليهم وعلى اليوم الذي قدموا فيه الى المنطقة ! فهولاء بذهبون الى عناء عن طيب خاطر وبقتوة الدفع الذاتى ، ذلك أن الأدب العبرى يركز - أكثر ما يركز - على ربط هؤلاء الناس بالأرض واقناعهم بالتفانى فى الدفاع عن هذه الأرض ، وهذا هو الوجه الآخر من الصراع ، وما علينا الا أن نقتحمه لنؤكد أننا قادرون على خوض الصراع من كافة اتجاهاته ، وكتابنا هذا ما هو الا خطوة فى هذا الطريق ، وهى خطوة لاقت تأييدا كبيرا من أستاذتى المجلية الدكتورة زاكية محمد رضى - أستاذة اللغات السامية بجامعة القاهرة - بما تجنمته من مئونة مراجعة الكتاب وما أبدته من آراء قيمة أفدت منها أعظم افادة ، فكانت نبعاً عظيماً أتروء من فيض علمه ، ونموذجاً يقتدى به فى كريم الصفات ..

وبعد .. فان هذا الكتاب لا يمكن له أن يدعى الأسبقية أو بلوغ حد الكمال فى هذا الموضوع . فالكمال لله وحده . عليه التوكل ومنه التوفيق والسداد .

المؤلف

القاهرة فى ٢٥/٣/١٩٨٧

\*\*\*







## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تمهيد

### الارتباط الدائم بين مصر الأدب العبرى

تتبوأ مصر مكانة أدبية هامة فى الأدب العبرى ، قديمه ووسيطه وحديثة ، فرضها تاريخها الذى ارتبط به بنو اسرائيل قبل عصر موسى وأثناءه وبعده ، كما فرضتها حضارتها القديمة التى شكلت نقطة ارتكاز أساسية فى مراكز الأبحاث العلمية المتعلقة بعلوم المصريات والحضارات القديمة فى العالم ، كما يفرضها وضع مصر فى منطقة الشرق عبر مختلف العصور ، وقيادتها لشعوب المنطقة العربية بأسرها ثقافيا وحضاريا ، حربا وسلاما ، تصديا ومقاومة لاستعمار جثم فوق صدور هذه الأمة ردها طويلا من الزمن ، ناهيك عن علاقة مصر القديمة قدم التاريخ بفلسطين من ناحية ، وتصديها لدعاوى الصهيونية — من حيث علاقتها بفلسطين أيضا — من ناحية أخرى ، مما جعل مصر فى محور الصراع الدائم والمستمر بين أممتها العربية والصهيونية ، حتى باتت — كما يقول بعض اليهود — « عدوا تاريخيا للصهيونية »<sup>(١)</sup> ، كما فرض هذه المكانة أيضا سماحة مصر وتعايش الأديان فيها ، مما جعلها — فى كثير من العصور التاريخية — ملاذا لكل مضطهد أو مظلوم من اليهود أو من غيرهم .

فمصر هى المكان الذى نزل اليه يعقوب وبنوه هربا من مجاعة قاسية اجتاحت فلسطين ، فأقاموا فيها ، وطاب لهم المقام ، وحظوا بما شئوا من خيراتها ، بل — هى أيضا — المكان الذى انقلب — فيما به دوؤفا لما يقوله أحد أنبيائهم — «سجنا» أو «بيت العبيد» أو كور الحديد»<sup>(٢)</sup> ، وهى « المنفى الأول » الذى « نفى » اليه بنو اسرائيل ، حتى باتت — فيما بعد — رمزا « لمنفاهم التاريخى » بوجه عام ، وهى المكان الذى أعد



فيه بنو اسرائيل عدتهم للخروج الى فلسطين واقامة مملكة داود وسليمان ، حيث تلقى موسى الوحي أثناء الرحلة وعلى سيناء المصرية أيضا .

وهكذا ظلت مصر حية في ذاكرة بنى اسرائيل ، فهيمنة على أفئدتهم بالرغم من ذلك الانقطاع الطويل بينهما .. وبالرغم من ذلك العداء الذى دب بينهما منذ قرون طويلة من عمر الزمن ، الا أن مصر بقيت — بالنسبة لهم — مكانا ذا أبغاد رمزية ، مكانا يرمز الى القتل والنفى والتعذيب والعبودية ، واقتصرت معارفهم العقلية ومشاعرهم النفسية عن مصر عند هذا الرمز ، ولذا ظلت مصر لديهم مجهولة الحقيقة ، ولم يدر بخاطرهم — ربما عن قصد أو عن غير قصد — أن مصر منطقة ذات حدود جغرافية معينة يعيش فيها مجموعة من البشر لهم سلوك انسانى ، وأنها ليست سجنا تحيطه الأسلاك الشائكة ويمتلئ بالعتاة والمجرمين ، أو جبا سحيقا يبيد كل من يهدى اليه ..

وبالرغم من أن بنى اسرائيل قد قاموا باتصالات مباشرة بينهم وبين مصر فى فترات متقطعة عبر مختلف العصور التاريخية ، الا أن عدد من أقام فيها منهم . وعرفها عن قرب كان قليلا ، وبالتالي فإن عدد الأدباء العبريين الذين عايشوها فى هذه الفترات كان من الندرة بحيث لم تذكر مصر فى الآداب التى خلفتها هذه الاتصالات الا لماسا .

بيد أن الأدوار تبدلت مع مطلع القرن التاسع عشر ، فقد غزت مصر الأدب العبرى من أربعة محاور ، يبدأ المحور الأول بعد أن حلت رموز حجر رشيد ، حيث بدأت الحضارة المصرية القديمة تفصح بجلاء عن أسرارها ومكنوناتها ، ووفد العديد من علماء الآثار الأوروبيين الى مصر ، تحذوهم الآمال العريضة فى الوصول الى بعض هذه الأسرار ، كما أرسلت مصر العديد من أبنائها الى أوروبا كي ينهلوا من معين العلوم الحديثة ، وهو ما أسماه المؤرخون الانفتاح المصرى على أوروبا ، وقد كان لهذه البعثات — الأوروبية والمصرية — الأثر الكبير فى غزو مصر للمؤلفات الأوروبية<sup>(٣)</sup> ، فحين عادت الوفود الأوروبية الى بلادها عبرت عما رأيت ووصلت اليه من نتائج ، كما كتبت البعثات العلمية المصرية الى أوروبا



بدورها عن بلادها وحضارتها وتاريخها . ولذا فاقت الآداب الأوروبية — على اختلاف أنواعها — بالمعلومات القيمة عن مصر قديما وحديثا . . . ولما كان الأدب العبرى يعيش آنذاك فى كنف الآداب الأوروبية — ينهل منها ما يشاء — فقد غزته المعارف، الجديدة عن مصر فطفق يعبر عنها بكل أنواع الانتاج الأدبى من شعر ونثر . وهذا لا يعنى أن اتصال الأدب العبرى الحديث بالحضارة المصرية كان يقتصر على ما تقدمه الآداب الأوروبية ، بل ان مجموعات كبيرة من اليهود كانت تنظم العديد من الرحلات الى مصر لمشاهدة تلك الحضارات التى بهرت العالم كله ، وكان لهذه الرحلات — بلا شك — انعكاس كبير على نفوس الأدباء الذين شاركوا فيها ، فأخذوا يعبرون عن ذكرياتهم التى حملوها معهم .

أما المحور الثانى فاننا نعرش عليه فى أدباء عبريين نشأوا فى مصر — طوعا أو كرها — وعرفوا عنها الكثير ، ثم هاجروا الى فلسطين ، وهناك سجلوا سيرة حياتهم وما ترسخ فى أذهانهم عنها ، فمنهم من ذكرها بالخير والتقريز ، ومنهم من ذكرها بالسلبية والتجريح ، وسواء حدث هذا أو ذاك ، فان المحصلة النهائية هى أن مصر استمرت محافظة على مكانتها فى الأدب العبرى الحديث . وبات العديد من أدباء العبرية — وخاصة ذوى النشأة المصرية — يلقون الضوء على مصر وطبيعتها وحضارتها وتاريخها وأهلها وكل ما ينتمى اليها . مصر كما عرفوها فى طفولتهم وشبابهم . وبالرغم من أن كل أديب من هؤلاء الأدباء يكتب ارتاجه بشكل فردى ، الا أنهم يلتقون جميعا حول هدف واحد هو البحث عن الأصل والجذور ، فازدواجية الموطن — التى يعانى منها المجتمع الاسرائيلى — أدت بكثير من الأدباء والكتاب العبريين أن يتحدثوا بأسهاب — فى انتاجهم الأدبى والعلمى — عن موطنهم الأول الذى هاجروا منه ، وكأنهم فى حلبة صراع أو تنافس . أيهم يبين موطنه الأول أكثر ويلقى الضوء عليه . على أنه من الحق أن نقول ان الأوصاف التى ترد فى مثل هذه المؤلفات لا تتسم دوما بالاجابية ، بل ان السلبية أحيانا ما تسيطر عليها وتشكل خطها الرئيسى ، ربما ليثبت كل أديب من هؤلاء أنه لاقى من العنت والاضطهاد أكثر مما لاقى غيره ، أو أنه خاض الطرق الوعرة ، ثابتا على دينه وعقيدته متحديا أشق الصعاب ليصل فى النهاية الى « أرض الآباء !! » ، وعلى أية



حال فلا يكاد يكون هناك أديب من أدباء العبرية في العصر الحديث، غير حريص على إبراز مواطن القوة والضعف في موطنه الأصلي ، وأصبح هذا الأمر طبيعيا ومنتشرا في المجتمع الاسرائيلي بشكل كبير حتى اليوم .

والمحور الثالث تشكله تلك الحروب التي خاضتها مصر قائمة لأمتها العربية ودفاعا عنها وحماية لمقدساتها وحفاظا على الأرض والعرض والولد ، ونضالها ضد الصهيونية والاستعمار وما يحيكانه من مؤامرات تستهدف المنطقة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، تلك الحروب التي كان لها أكبر الأثر في مجال الانتاج الأدبي العبري بشكل عام ، حيث شغلت مصر — بأوصافها التوراتية السلبية — ميزا لا بأس به من هذا الانتاج ، فأخذ الأدباء العبريون يصورونها باعتبارها قاتلا بربريا متعطشا لسفك الدماء دونما دافع ، بينما يصورون بنى اسرائيل باعتبارهم أناسا مسالمين طيبين محبين للخير ولكنهم ميضطرون لخوض الحروب دفاعا عن حياتهم ووطنهم التاريخي ضد ذلك القاتل !! ومن عجب أن تسود هذه النغمة اذا ما حققوا نصرا أو لحقت بهم هزيمة !! .

وأما المحور الرابع فأننا نلمسه بوضوح في السنوات الأخيرة حيث عاود الاسرائيليون اتصالهم بمصر عن قرب ، وخاصة بعد توقيع معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، تلك المعاهدة التي أتاحت لهم الفرصة كي يقوموا بزيارة مصر ، ويروا — رؤيا العين — ما كان يراود خيالهم وأحلامهم في بلدان الشتات ، وياتوا يحكمون على ما ترسخ في ذهنهم عن مصر ، وبنات الواقع الملموس هو الفاصل بين الحق والظلم ، وكان لذلك كله أثر كبير على وضع مصر في الأدب العبري ، فغدت سجل الأدباء الزائرون ذكرياتهم عن هذه الزيارات بحلوها ومرها ، وكان النشر — في ذلك — أسبق من الشعر وأكثر منه تعبيرا ، ذلك ان تحرر النشر من قيود الوزن او التفعيلة يعطيه القدرة على وصف الطبيعة وتصوير المكان بدقة أكبر وتفصيلات أكثر أسهابا ، وولد لقاء أدباء العبرية بمصر في العصر الحديث قدرا لا بأس به من وصف الطبيعة المصرية من منطلق الواقع الملموس بعد أن كانت — عند الكثيرين منهم — خيالا يداعب الجفون ، وتوفرت — لدى الاسرائيليين — العديد من التحقيقات الصحفية بالاضافة



الى انطباعات السياح الاسرائيليين الذين يزورون مصر زيارات خاطفة، فحظى المواطن الاسرائيلي بذلك على العديد من المعلومات والمعارف عن مصر بالرغم من أنه لم يزرها ، ولذا بات أثر مصر جليا في الأدب العبري الابداعي بوجه عام نتيجة لهذه الاتصالات .

وهكذا نجد مصر مرتبطة بالأدب العبري الحديث — منذ بدايته وحتى الآن — ارتباطا شديدا ، أو قل بدءا من نفتالي هيرش فيزل<sup>(٤)</sup> דפדלי 276 7277 | 1725 - 1805 — الذي يضعه بعض نقاد الأدب العبري في مقدمة الأدباء العبريين في العصر الحديث — وحتى أيامنا هذه ، ولما كان وجود مصر في الأدب العبري أكبر من أن نحصيه اجمالا أو أن نقدره من النظرة الأولى ، لذا رأينا أن نصنف هذا الوجود الى عدة صور ، سنحاول فيها أن نؤكد على وجود الصلة وتتابع العلاقة بين هذه الصور وبين المرحلة الزمنية التي ظهرت أثناءها وأثرت فيها .

\*\*\*





## البسبب الأول

### صورة مصر القديمة فى الأدب العبرى الحديث

---

- ١ - صورة مصر التوراتية •
- ٢ - صور قمصر الفرعونية •
- ٣ - مصر رمز للمثقى •





## الفصل الأول

### مصر في صورتها التوراتية

ظهرت مصر في هذه الصورة بشكل واسع ودائم في الأدب العبري في مرحلة الهسكالا (\*) ، وخاصة في تلك المنظومات الشعرية التي تستعرض تاريخ بني إسرائيل في عصورهم القديمة ، والتي تشكل عملية خروجهم من مصر (٥) أساسا محوريا وركيزة أساسية تدور حولها هذه المنظومات ، حتى باتت مصر مقترنة باسم موسى — قائد الخروج — الذي لم يعد يذكر تقريبا دونها ، بل كثيرا ما اقترن ذكرها أيضا بذكر بعض الأسماء الأخرى التي تنطوي على دلالات تاريخية ودينية عند بني إسرائيل مثل يعقوب ويوسف وأسنان ابنة فوطيفار واخناتون وغيرهم .

وبالرغم من أن حركة الهسكالا هدفت الى ادخال المعارف العلمانية الى المجتمع اليهودي وانقاذه من جمود الجيتو (\*\*) وسلبية وتعصبه الديني ، إلا أن المؤثرات الدينية ظلت تمارس ضغوطها عليها وتوجهه مسيرتها فترة طويلة من الزمن ، ذلك أنه لم يكن في مقدور هذه الحركة أن تتخلص من هذا الارث الجامد دفعة واحدة ، ولو فعلت لخفض كل اليهود من حواها ولما أمكنها أن تتقدم في سبيل تحقيق أهدافها خطوة واحدة ، ولذا نجد ما تلتزم بمنهاج تدريجي هادئ يتيح للعقل الانساني امكانية العمل وسط هذا الخضم الهائل من المشاعر الدينية المتعصبة والدافقة لتي تربت في أحضان الحموع اليهودية في الجيتو ، وقد أتاح

---

(\*) الهسكالا هي حركة الاستنارة اليهودية في العصر الحديث ، وسنتحدث عنها في صفحات ٢٣ ، ٢٤ .

(\*\*) الجيتو كلمة تطلق على الاحياء التي كان يقطنها اليهود في أوروبا .

هذا المنهاج لحركة الهسكالا أن تحقق بعضا من أهدافها التي رمت اليها ، من أهمها أنها أخرجت كما هائله من هذه المجموع الى الشارع الأوروبي ليتفاعلوا به ومعه ، كما خلقت حيزا معقولا لآعمال العقل الانساني ، وربما يفسر لنا هذا محاولة الهسكالا ايجاد صيغة للتكامل والتعايش بين العلم والدين ، كما يفسر لنا عودتها لتدوين ما خلفته العصور القديمة من معجزات وخوارق ، بل يفسر العودة الى التوراة ليستلهموا منها تاريخهم ، كما يفسر أيضا — وهو ما يهمننا في المقام الأول — السبب في ظهور مصر — بأوصافها السلبية التي وردت في التوراة — في هذه الفترة من فترات الأدب العبري الحديث . فكانهم بذلك وصلوا ما انقطع منذ العصور الغابرة ، عاد الشعر الملحمي التوارقي وبداخله شخصية موسى التي ترتبط ارتباطا قويا بمصر، من منطلق قيادته القبائل الاسرائيلية وخروجه بهم الى سيناء ، ثم تلقيه الوحي ، وما تبع ذلك من أحداث شكلت شخصية موسى فيها أحد العناصر والأركان الأساسية ، والتي يكثف بنو اسرائيل جهودهم للتركيز على أن خروجه مع قومه كان خروجاً من « منفى » امتهن فيه « الشعب المقدس » الذي ظل — منذ ذلك الوقت — يقضى معظم تاريخه منتقلا من منفى الى منفى حتى صارت بلدان الشتات — في العصر الحديث — وكأنها امتداد لمصر في العصر القديم . ان خروج بنى اسرائيل من مصر يشكل نقطة ارتكاز أساسية في فكرهم العام وفلسفتهم القومية والدينية ، بل أنه يشكل مع فكرة « الخلاص » قطبي هذا الفكر ، فكلاهما يقع خارج التاريخ وفي دائرة المطلق، كما أنهما نقطتان متوازيتان — فالخروج هو بداية التاريخ « وعودة المسيح هي « نهاية التاريخ » ، وهما نقطتان تسيطران على الأدب العبري كله سيطرة كاملة ..

ومصر التوراتية حين تذكر في الأدب العبري الحديث فإنها تذكر بأوصاف سلبية ، هي بالتقريب ذات الأوصاف التي وردت عنها في كتاب العهد القديم . ولما كان الأدب العبري في مرحلة الهسكالا مقلدا في وصف مناظر الطبيعة بشكلها التفصيلي ، فان مناظر الطبيعة المصرية — التي أثارت مشاعر الأدباء في كل العصور فطفقوا يحفونها في ابداعهم — لم تحظ بالقدر الكافي من اهتمام أدباء العبرية في تلك المرحلة ، وحتى حين كانوا يضمنون انتاجهم وصفا لهذه الطبيعة فإنما كانوا يستندون في



ذلك على الخيال الأدبي المحض ، أو قل هو الوصف النظري المجرد الذى يبتعد — الى حد كبير — عن الواقع ، فكل ما كان يذكر لم يكن يتجاوز الطبيعة الجغرافية العامة مثل الوديان والجبال والهضاب والسهول والصحارى والبحار والأنهار وما شابه ذلك ، وحين تذكر هذه الأشياء فإنها تذكر فى خطوط عامة مستمدة من كتاب العهد القديم ، ولكن من الحق أن نقول أن اقتصار أدباء الهسكال على استخدام الخطوط العامة عند وصفهم لم يكن خاصا بمصر وحدها ، وإنما كان ذلك هو أسلوبهم فى الوصف بشكل عام ، وما كان وصف مصر آنذاك إلا جزءا من الكل .

وتجدر الإشارة الى أن مصر تظهر فى تلك الفترة بشكل خاص فى الملاحم الشعرية الكبيرة ، بينما يقل ذكرها فى النثر<sup>(٦)</sup> .

على أن وصف مصر فى العصر الحديث بنفس الصفات التى ذكرت فى التوراة يتسم بالسلبية والاحجاف ، ذلك أن الأدباء الذين ذكروها بهذه الصفات لم يستندوا إلا الى كتابا لعهد القديم ، فهم لم يزوروها ولم يخطوا أهنها ولم يعيشوا تحت سمائها ، ولكنهم اكتفوا بهذا الكتاب الذى يصف مصر بأنها « بيت العبيد » ، بل أن الهمم « يهوا » يستهل وصايا العشر بقوله : « أنا الرب الهك الذى أخرجك من مصر ، من بيت العبودية . . . »<sup>(٧)</sup> وهى عبارة لم يكتف بذكرها مرة واحدة ، بل رددتها عشرات المرات « أنا الرب الهكم الذى أخرجكم من مصر من كونكم عبيدا وقطع قيود نيركم وسيركم قياما »<sup>(٨)</sup> « واذكر أنك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة »<sup>(٩)</sup> وغير ذلك من العبارات التى تصف مصر بأوصاف سلبية ، والتى يصير بعض أدباء العبرية على ذكرها والنظر إليها بمنظار أسود تسيطر عليه أوهام « الحسيدة »<sup>(\*)</sup> وخرافاتا .

### الرد على سلبية الصفات التوراتية :

وعلى الرغم من أن المجال هنا ليس مجال الخوض فى قصة الخروج وما تبعها من أحداث ، إلا أن طرح أدباء العبرية لها واستلهاها

(\*) انظر هامش رم ٢٧ .

حديثا يفرض علينا أن نتناولها — ولو بإيجاز — حتى تتبدد الشكوك ، وتنقش ظلمات أراد لها محرفوا التاريخ الضلال والاضلال .

حقا لم تكن قصة خروج بنى اسرائيل من مصر خرافية كما قد يرى البعض ، وإنما هي حادثة تاريخية حقيقية تنطوى على خروج جماعة من مصر فى عهد معين ، وتوجه هذه الجماعة نحو أرض كنعان المجاورة . وقد شاعت الأقدار أن يسدل الستار على حقيقة هذه الجماعة أو أسباب خروجها ، اذ لم يعثر حتى الآن على مصدر قديم من المخطوطات الأثرية معاصر لخروج هذه الجماعة من مصر — يشرح لنا هويتها على حقيقتها ، أو الدوافع التى اضطرتها الى الخروج من مصر . والمصدر الوحيد الذى بين أيدينا هو التوراة التى كتبها مجموعة من اليهود فى الشتات بعد موت موسى بما يقرب من أربعة وعشرين قرنا ظل اليهود أثناءها يتناقلونها شفويا ، مما أفقدها الدقة وسنح ليد التحريف والاقحام أن تمتد إليها ، ولذا جاءت القصة — قصة الخروج — مشوهة ومحوورة بالشكل الذى يخدم مقاصد خاصة وأهدافا معينة ، ولاحققتها الشكوك من هنا وهناك<sup>(١٠)</sup> ، وأصبحت فى نظر الكثيرين أشبه بالأساطير الخيالية منها بالحقائق التاريخية ، بيد أن الشكوك لم تقتصر على التوراة وحدها ، بل أن هناك من شك فى شخصية موسى ذاته<sup>(\*)</sup> ، وعما اذا كان عبرانيا أم مصرية ، بل أرجع ديانة موسى لنفسها الى أصل مصري<sup>(١١)</sup> ، وما دام الشك قد حام حول التوراة ونبى التوراة فإن ما يذكر فيها لا يمكن أن يكون محل ثقة أو مصداقية من اللحظة الأولى ، وينطوى تحت ذلك أسباب قصة الخروج وما تبعها من أساطير وتخيلات وتهويمات وادعاءات ، ربطوا بينها وبين شخصية دينية عالمية لها جلالها هي شخصية موسى عليه السلام .

ومن عجب أن توراتهم ذاتها — على ما بها من شكوك — تذكر ما لا يتفق مع العبودية أو مظاهر اضطهاد فرعون لبنى اسرائيل .

فهل صادر فرعون الخروج أرض جاسان — التى كان يقطنها بنو اسرائيل — التى أعطاها فرعون يوسف لجاليته حين لاذو بمصر فرارا من

---

(\*) على سبيل المثال سيجهوند فرويد .



المجاعة ؟ ان التوراة ذاتها تروى أنهم لبثوا فيها الى اليوم الذى خرجوا فيه ، وكانت هذه الأرض أفضل من غيرها وتشهد على ذلك العبارة التوراتية القائلة « ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل الا أرض جاسان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن هناك برد » (١٢) .

ثم هل كان بنو اسرائيل فى عهد فرعون الخروج هذا يشكون العوز والحرمان ؟ كلا ، فقد خرجوا من مصر وهم يسوقون أمامهم قطعانا كبيرة كثيرة من الباشية « وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواش وافرة جدا » (١٣) .

وتوراتهم ذاتها تشهد كذلك أنهم أكلوا على مائدة مصر وشربوا ، ونالوا من رزق العيش فيها رغدا ، حتى أنهم ندموا على تلبيتهم دعوة موسى وهارون لمسيرة الخروج « وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع » (١٤) ، ثم يخاطبون موسى نفسه قائلين « أتليل انك أصعدتنا من أرض تقيض لبنا وعسلا لقميتنا فى البرية » (١٥) ، ثم ألم يترددوا فى قبول دعوة موسى للخروج « فكلّم موسى هكذا بنى اسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى (١٦) فأى عبودية تلك التى يقصدون وقد ترددوا فى قبول دعوة للافلات منها ، ألا يلقى هذا بظلال من الشك على زعم توراتهم بأن مصر هى أرض العبودية ؟ !! وقبل هذا كله ، ألم تكرم مصر وفادة يعقوب وأبنائه من مجاعة اجتاحت فلسطين آنذاك (١٧) ؟ وألم يتزوج سليمان من أميرة فرعونية ؟ ألم يلجأ الكثيرون من بنى اسرائيل الى مصر التماسا لخيرها وعطائها وطلباً لودها وبحثا عن حمايتها وخاصة فى عصر يهوياقيم (١٨) ملوك مملكة يهوذا ؟

واذا ما نحينا التاريخ التوراتى جانبا ، وقرأنا التاريخ العام سنجد أن أقدم ما وصل إلينا من معلومات عن قصة الخروج — بعد التوراة — يرجع الى عهد يوسيفوس — المؤرخ اليهودى الشهير ( القرن الأول الميلادى ) — الذى ينقل عن ما نيثون — المؤرخ المصرى الذى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد — قوله : ان سبب خروج جماعة موسى من مصر

هو رغبة المصريين أن ينتقوا شروبا انتشر بين بني اسرائيل (١٩) . كما أننا نجد روبرتسون Robertson يقول : « لقد تعلم بنوا اسرائيل صناعة السفن وعادات شعوب البحر منذ دخولهم الى مصر بعد أن عاشوا أعواما طويلة يسكنون الخيام ويعملون بالرعى » (٢٠) ثم يقول : « كذلك مارس بنو اسرائيل الأعمال الحرفية المختلفة وأتقنوها ، كما أنهم كانوا يشغلون مناصب لا بأس بها ، فكان منهم الضباط ، والكهنة والنظار والمشروغون » (٢١) ويقول بونتيت Pontet « لو كانت هناك عبودية ما أتاح المصريون لبني اسرائيل ممارسة هذه الوظائف » (٢٢) ونحن نستطيع أن نقول ان العلاقة بين الامبراطورية الفرعونية ومملكة داود وسليمان لم تكن دوما سيئة ، كما أنها لم تكن يوما طيبة طول الوقت ، فكثيرا ما فر اليهود من اضطهاد ولاذوا بمصر لتحميمهم ، وكثيرا ما انضمت جماعات من بني اسرائيل الى جيش مصر كمرتقة ، وقبل سقوط الهيكل كانت هناك في مصر مستوطنة يهودية يقوم سكانها — من الجنود المرتقة بحماية حدود مصر الجنوبية (٢٣) . وعلى الجانب الآخر نجد الأقلية الاسرائيلية في مصر قد تحالفت مع الهكسوس ضد مصلحة البلاد وأمنها ، كما أن كثيرا من الفراعنة قاموا باحتلال فلسطين حماية لحدود مصر الشرقية ، أو فرضا لحكومة تابعة لهم .

وبعد هذا كله ألا يمكننا القول : اذا جاز أن يحسب علينا خطأ فرعون واحد — هو فرعون موسى — أليس من العدل أن يحسب لنا أمجاد فراعين آخرين وضعوا الفناء الأولى لحضارة الانسان ، ويكفي الواحد منهم أمة بأسرها في باب التفاخر (٢٤) ؟ ١١ .

لقد دار التاريخ بين مصر وبني اسرائيل — في العصر القديم — دورته الطبيعية ، وكانت العلاقة بينهما علاقة عادية تتسم بالصداقة أحيانا وبالعداوة أحيانا أخرى . فما قصد المصريون ببني اسرائيل عنفا ولا تنكيلا ، وما أراد محرفوا التوراة ومن سار على دربهم بمصر الا عنفا وشططا وافراطا ، وما كانت حادثة الخروج سوى حدث عادي نظر اليها التاريخ الصام نظرة عادية خالية من أي استثناء خاص أو قيمة فريدة ، خاصة وأنه لم يعثر على مصادر تاريخية موضوعية يمكن التحقق منها



أو اثباتها ، بينما ينظر التاريخ الدبنى اليهودى الى تلك الحادثة باعتبارها معجزة الهية ، حتى باتت تمثل ركيزة أساسية من ركائز العقيدة الدينية عند اليهود ، وبذلك اختلط التاريخ بالدين ، واتخذت الحادثة طابعا تاريخيا دينيا سيطر على وجدان بنى اسرائيل جيلا بعد جيل ، وعبروا عنه فى انتاجهم الأدبى والفنى بشكل عام ، وأصبحت مصر فى الوجدان اليهودى - وبفضل هذه الأوهام - رمزا للمعبودية والنفى والقتل ، وتحول المصريون رمزا للاغيار الذين يجب أن تلاحقهم يد الانتقام ... ولننقطف بعض النماذج التى تتضمن هذه النظرة التوراتية السلبية لمصر .

שירי תפאורת « قصائد المجد » التى كتبها نفتالى هيرش فيزل  
 בפחלי הרץ 1966 ( 1725 - 1805 ) :

ملحمة كبيرة تتكون من ستة أجزاء وثمانى عشرة مقطوعة شعرية م  
 نظمها فيزل حين بلغ من العمر ستين عاما ، وقد استغرق صدورها أربعة  
 عشر عاما من 1788 حتى 1802<sup>(٢٥)</sup> ، وتوفى فيزل دون أن يكمل الجزء  
 السادس ، فأكماله ابنه سليمان فيزل / שולמן פזל عام  
 1829 .

وتدور هذه الملحمة حول حياة اليهود فى مصر قبل الخروج ،  
 كما تتناول حياة موسى منذ مولده ، ثم حياته فى قصر الفرعون ، ثم قيادته  
 القبائل الاسرائيلية وخروجه معهم الى سيناء ، وتنتهى على أثر صعوده  
 الى النجل وتلقيه الوحي ثم وفاته . ويجدر بنا - قبل أن ندرس هذه  
 القصائد - أن نعطى لمحة سريعة عن الحياة اليهودية والأدب العبرى  
 ابان نظم هذه القصائد ، والتى يصعب فهمها وادراك أهدافها دونها .

فقد نظمت هذه القصائد فى مرحلة مبكرة من الأدب العبرى الحديث  
 وهى مرحلة « الهسكالا » التى تعنى التثوير أو الاستنارة ، وهى تعبر  
 عن تيار اجتماعى فكرى ، اجتاحت مجتمعات اليهود منذ القرن الثامن عشر ،  
 بهدف اخراج اليهود من عزلتهم ، وتكيفهم مع الظروف المتغيرة ، التى  
 استجدت من حولهم فى العصر الحديث وذلك دون أن يفقدوا هويتهم

اليهودية وطابعهم المميز ، فقد عاش اليهود — قبل ذلك — منغلقين على أنفسهم في الجيتو ، يميزهم التزمّت الشديد لقرايتهم ومقدساتهم ونظرتهم المتعالية الى أبناء الشعوب الأخرى واضعين في اعتبارهم أنهم «شعب الله المختار» وأن ما عداهم هو الباطل، فحرموا أنفسهم من تعلم اللغات الأجنبية والعلوم العامة ، بل رفضوا أن تكون اللغة العبرية ذاتها لغة للحديث ، فهي — في نظرهم — لغة مقدسة ، كما كان التعليم يرتكز على أسس دينية عقيمة ، وكان العلم الوحيد المسموح لهم بالاشتغال فيه هو التلمود وشروحه ، بل كان من المحرم عليهم دراسة بعض أجزاء من كتاب العهد القديم منها — على سبيل المثال — الكثير من أسفار الأنبياء ، وسائر الكتب الحكمية والنبوءات كما حرموا على أنفسهم دراسة الفلسفة العبرية التي وضعت في العصور الوسطى<sup>(٢٦)</sup> ، وأبان ذلك الجمود والتخلف الذي يعيشه اليهود كان رقى العلم والثقافة قائما على قدم وساق في أرجاء القارة الأوروبية ، وتألفت نظريات الحرية الفردية وحقوق الإنسان ورفض أشكال الحكم القائم على الاستبداد، وهو ما أطلق عليه إجمالا — حركة التنوير الأوروبية ، ونتيجة لهذه التطورات تغيرت نظرة المجتمع الأوروبي الى اليهود ، فقد ألغيت القوانين المقيدة لحياتهم، وأصبح من الممكن أن يمارسوا نشاطهم داخل بلدانهم كمواطنين عاديين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات ، وما أن جاء القرن الثامن عشر حتى ضاق مجموعة من شباب اليهود بتلك التقاليد البالية والطباع اللاإنسانية التي شكلت حاجزا من الغرابة بين اليهود وبقية الشعوب فتحولوا الى «ممنجدين» أي معارضين لذلك التيار المترمت الذي كان يسود المجتمعات اليهودية ، واتجهوا الى الثقافة الأوروبية الحديثة ينهلون من معينها ، وكان فيزل أحد هؤلاء اشباب الثائرين ضد تزمّت أهلهم ، وقد أطلق على المرحلة الجديدة مرحلة «الهسكالا» أي التنوير والثقافة ، وكأي حركة جديدة كانت بداية الهسكالا من الضعف بمكان ثم ما لبث أن اشتد عودها بعد ذلك .

أقول هذا في معرض حديثنا عن «قصائد المجد» التي نظمت في تلك المرحلة والتي يدعو فيزل — من خلالها — الى خروج اليهود الى الشوارع الأوروبي والأخذ بالعلوم الحديثة ، والتي يركز عليها



على موسى باعتباره « المسكيل » أى المثقف أو المتنور ، الذى يحمل لواء الثقافة ويقود أبناء شعبه نحو التنوير ، بينما يقف على الجانب المضاد فرعون مصر مع العماليق والرعاة — بجهلهم وجهالتهم وكراهيتهم للعلم — ليحاربوا الثقافة . ويحولوا دون انتشارها، فكأنما أراد فيزل أن يستقى نعوتا من مرحلة حديثة — وهى مرحلة الهسكالا — ليضيفها على مرحلة قديمة من التاريخ وهى مرحلة وجود بنى اسرائيل فى مصر . فهو الذى هو قائد الهسكالا والتنوير ، يتبعه فى ذلك شعبه ، بينما يحاربه المصريون القدماء ويقفون حجر عثرة أمام الثقافة والمعرفة، ومن يعارض «الهسكالا» من اليهود — فكأنما يقف مع المصريين والرعاة ضد شعبه وضد « سيد أنبيائهم » موسى ، فيحق عليه آنذاك ما يحق على المصريين من صفات وويلات .. وهكذا أبقي فيزل على أدوار القصة القديمة كما هى ، فالمصريون يشجعون الجهل ، يقودهم فى ذلك فراعينهم ، بينما يشجع بنو اسرائيل العلم والثقافة ويقودهم فى ذلك « موسى » !! بيد أن الممثلين هذه المرة كلهم من بنى اسرائيل ، دعاة الهسكالا ومعارضيه . — لقد استلهم فيزل — فى هذه الملحمة — شخصية « سيد أنبياء بنى اسرائيل » لتكون ذات تأثير قوى على الجموع اليهودية ، فى وقت كانت هذه الجموع تفتقد الى قائد يهودى قوى شجاع يقف فى مقدمة الصفوف ليواجه المترمتين من أبناء شعبه رافضا لأفكارهم الحسيدية<sup>(٢٧)</sup> المترمته ومنطلقا بشعبه الى حيث المعارف الانسانية العامة .

وقد احتدم جدل كبير حول اقدام فيزل على نظم هذه الملحمة ، وحول الدوافع التى أدت به الى هذا العمل ، وهو الذى لم يقدم على نظم أية قصيدة دينية طيلة حياته قبل هذا<sup>(٢٨)</sup> ، وأجمع معظم نقاد الأدب العبرى الحديث — وعلى رأسهم جريتش ، ان كلمات هيردر فى هذا الشأن كانت بمثابة دعوة صريحة لفيزل كى يؤلف قصائد المجد<sup>(٢٩)</sup> ، فنحن نجد هيردر يقول فى كتابه عن روح الشعر العبرى « كم ادهش حين أعلم انه ليس لدينا حتى الآن عمل عن موسى ، وعن انقاذه للأمة من العبودية ، وتحويلها الى أمة تعبد الرب ، وانى أرى أن عملا كهذا يعتبر أكثر قيمة وسموا من سائر القصص الواقعية التى تدور حول الحروب والرحلات ، فهو أقدم مشرع نعرفه قام بسن القوانين التى تلقى

منا المهابة والاجلال ،حياته المليئة بالمتغيرات المدهشة ، ميلاده وتعلمه فى مصر ، ثم خروجه منها محبة لشعبه . ودعوة الرب له فى الصحراء ، والصراع بين اله آباءه وبين الفرعون و كهنة مصر ، والخروج بقومه عبر البحر ، وعمود النار والسحاب ، ونزول التوراة ، والمعجزات التى حدثت فى صحراء سيناء ، وتطلعه الى ارض كنعان ، كل هذه الأحداث تشكل مادة ثرية للشاعر . . اننى لا آمل أن أثير بكلامى هذا شاعرا ألمانيا ، انما أملى أن أثير شاعرا عبريا من يهود ألمانيا يمكنه أن يخرج هذا العمل الى حيز التنفيذ ، باعتباره موضوعا قوميا «<sup>(٣٠)</sup> بينما يرى كلوزنر أنه متأثر فيها الى حد بعيد بقصيدة المسيح لكلوبشتوك (\*)» ولا سبيل لأن نعثر فيها على نظرية جديدة عن تلك الأحداث التاريخية أو حتى على خيال مجنح أو متانه لغوية<sup>(٣١)</sup> ، وكلوزنر يقول ذلك من منطلق أن قصائد المجد عند فيزل تنتهى بصعود موسى للجبل وتلقيه الوحي ، وهو بالضبط ما حدث فى قصيدة المسيح عند كلوبشتوك حيث انتهت بصعود المسيح وجلوسه بجانب الرب .

بيد أن كلوزنر — فى هذا الرأى — يتناقض مع الرأى السائد بأن الجزء السادس قد أكمله ابنه بعد وفاته ، فهذا الجزء يتضمن عملية صعود موسى للأجبل ، ولذلك فإن التناقض قد بات واضحا وشديدا بين رأى كلوزنر ورأى أغلبية النقاد ، فإذا كان فيزل متأثرا بكلوبشتوك فلا بد أن نسلم أيضا بأن فيزل نفسه هو الذى كتب الجزء السادس وليس ابنه .

وعلى أية حال فإن الملحمة قوبلت بنقد شديد حيث انتهى النقاد الى أنها تفتقر الى مقومات الطابع الملقى وقوة الخيال ، ووصفوها بأنها ليست سوى قصص من الكتاب المقدس فى أبيات ، وبأنها شروح للتوراة المعدة فى صورة شعرية<sup>(٣٢)</sup> ، أو كما قال جريتش « هى تاريخ بنى اسرائيل مكتوب فى إطار شعرى »<sup>(٣٣)</sup> .

---

(\*) كلوبشتوك هو شاعر المانى معاصر لفيزل .



وبالرغم من أن « قصائد المجد » هذه تتناول قصة دارت أحداثها كاملة على أرض مصر وتحت سمائها ، وهى قصة الخروج التى جعلها اليهود ركيزة أساسية فى فكرهم الدينى والاجتماعى والسياسى ، نقول انه بالرغم من ذلك كله الا أنها لا تعكس لنا شيئاً عن المسرح الذى جرت عليه الأحداث ، عن الطبيعة المصرية سواء فى وادى النيل - قبل الخروج - أو فى صحراء سيناء بعد الخروج ، لم نعثر حتى على مجرد تلميح ولو من بعيد ، وهو أمر كان ميسوراً فى عصر فيزل ، ذلك العصر الذى تعددت فيه الرحلات الفردية والجماعية ، والتى تمخض عنها فيض هائل من كتب الرحلات على اختلاف أنواعها ومصادرها ، بل ان فيزل لم يعمل خياله - ليصف هذه الطبيعة - كما فعل غيره من الأدباء فيما بعد .

وإذا سلمنا أن هذه الملحمة تفتقد الى وصف طبيعة المنطقة التى دارت عليها الأحداث فعلىنا أن نسلم أيضاً بضعف الخيال الأدبى واضمحلاله . ويبدو أن فيزل كان يهدف الى جعلها ملحمة فكرية فلسفية يعبر فيها عن نظرتة الخاصة فى الأحداث المعاصرة له وعن شخصية تاريخية هى شخصية موسى ، ليربط فيها بين ماضى اليهود وحاضرهم ، فتحدث عن كل شئ عدا الوصف ، ولكن هذا لا يغنى عن القول بأن الوصف والخيال كانا من الضعف بمكان فى تلك المرحلة المبكرة من الأدب العبرى الحديث ، ليس عند فيزل فقط بل عند معاصريه من الأدباء .

ويتحدث فيزل عن قدوم بنى اسرائيل الى مصر فيقول :

לִקְרַאת יִשְׂרָאֵל מִצְרַיִם שָׁמָּה ،  
 אֶת כָּל שְׁעָרֵי עִירָם לָהֶם פָּתַחָהּ -  
 וּבְמִיטָב הָאָרֶץ שָׁאֲנוּ לָשֹׁב .  
 שָׁם הָרְבוּ בָנִים כְּדָגִי יָם שְׂרָצָה ،  
 שָׁם חִילָם וְאַסְמָם לָרֹב מְרָצָה .

## الترجمة :

سعد المصريون بمقدم بنى اسرائيل  
فتحوا لهم كل أبواب مدينتهم  
وأقاموا في أكثر مناطق الأرض سكنة  
هناك تزايد الأبناء وتكاثروا كأسماك البحر  
هناك نمت قوتهم وفاضت صوامع غلالهم

فالشاعر في الأبيات السابقة يتحدث عن قدوم بنى اسرائيل  
الى مصر ابان حكم يوسف ، وكيف استقبلهم المصريون بصدور منسرحة،  
وكيف أكرموا وفادتهم ، ثم كيف عاش القادمون في مصر في جو من  
الهدوء والسكنة فتناسلوا وتكاثروا وزاد عددهم ، فالمصريون هنا  
كرماء ومرحبون ومصدقون ، وفجأة يقول الشاعر :

(٢٤)

פְּתָאֵם נְחִפָּה יוֹמָם אֶל חֶשֶׁכַּת לַיִל  
- וַיִּדְיָהֶם לֹא מָצְאוּ כָּל אֲנָשִׁי חַיִּל  
וּמַנְאֲבוּ: בְּפֶשׁ, מִכַּכָּר צָרָה  
כִּי הִפָּה לֵב סָם לְשִׁנּוֹא צֹר וְרָה,  
חֶרֶשׁוֹ בְּעוֹת, הִתְנַפְּלוּ בַּעֲבָרִיהָ,

## الترجمة :

وفجأة انقلب نهارهم الى ليل بهيم  
لم تعثر اياديهم على من يدافع عنها  
ومن هول الأزمة ومن أسى النفس  
تحول قلب دافى، وأصبح يكره أغنامك  
ربضت الوحوش واحتالت بعبيدك

فهنا أصبحت مصر فجأة دارا للعبيد ، قطعت على بنى اسرائيل  
سكنيتهم ، فشعروا تجاهها بالمرارة ، وطفقوا يكرهونها ويمقتونها ،



والغريب أن فيزل لم يذكر السبب في تحول سلوك المصريين تجاه بني إسرائيل فجأة وعلى هذا النحو . ومن الواضح أن الشاعر تناول في الأبيات السابقة أيضا مصر حكومة وشعبا ، ولكنه لم يتناولها كأرض مثلت مسرح الأحداث في القصة .

ثم يتحدث فيزل عن قيادة موسى للعبريين في الخروج من مصر ، وكيف أنه زهد في خيرها لأنه لاسعادة في خير يصاحبه ألم ، ولا انبهار بعجائب يصاحبها انحلال ١١ .

וַיְבָרֶךְ אִישׁ הָאֱלֹהִים מֵאֲדָן מִצְרַיִם  
אָנָּה סֶנֶחַ הָעֲלִים עֲקֹבוֹתָיו לֹא הוֹדִיעַ  
בִּי אֲוִיבִי עַד בִּי יִדְלֹק אֶתְדִי יִשְׁגֶּנּוּ  
לְעֻזֹּב כָּל מִוֵּב מִצְרַיִם לֹא הוֹסִיף מִן קֶדֶם  
הַיַּעֲצֵב עֻזֹּב מִוֵּב לְעַד לֹא יִשְׁפִּיעַדִּי  
יַעֲצֵב יוֹדֵד מְדֻלֹּת לֹא הָסֵךְ בְּהִנָּה  
אִישׁ לֹא דָלָה בְּהִדְלֹת לֹא יֵשֵׁב בְּשִׁפְלָה  
אִישׁ לֹא עָמַל לְאַסֹּף עוֹשֵׁד לֹא יִדַּע עֲוִי

(٢٧)

الترجمة :

وهرب رجل الله من أرض مصر  
ناح وهرب ، يخفى أثره دون أن يعلن  
أن عدوه الجبار سيتبعه ويهاجمه  
ولم يتألم حين ترك مصر وخيرها  
وهل يتألم من يعزف عن خير لن يتبعه ؟  
وهل يتألم من يهجر عجائب لا يتغنيها ؟  
وشخص لا يكدح ليحقق ثراء ، هو شخص لا يعرف الفقر  
وشخص لا يكدح ليحقق ثراء ، هو شخص لا يعرف الفقر

ومن الواضح أن فيزل في « قصائد المجد » كان متأثرا إلى حد كبير بالأسلوب التوراتي الكلاسيكي وهو أسلوب ساد أدب الهسكالا كله حيث كانت عملية احياء اللغة العبرية ما زالت في مهدها ، فالألفاظ

والمصطلحات — بل كثير من العبارات — مستمدة بالكامل من التوراة ، ولم يكن الأسلوب فقط هو الذى استمد من التوراة ، بل ان المضمون ذاته لم يكن الا سردا لما ورد بين سطورها ، وهكذا أصبحت الملحمة خلوا من كل فكر خاص أو خيال أدبي ذاتي وهما من الأسس الرئيسية في فن الشعر ، بل في الفنون الأدبية كلها .

أما النموذج الثانى فهو قصيدة  
أسنات بنت فوطيفار<sup>(٣٧)</sup> التى كتبها يهودا ليف جوردون<sup>(٣٨)</sup>  
: ( ١٨٣٠ — ١٨٩٢ ) :  
777772 777772

وردت هذه القصيدة في ديوان  
قصائد يهودا الذى نشر عام ١٨٦٨ ، وهو ديوان يتخذ من أساطير حكماء اليهود وكهنتهم موضوعا أساسيا له<sup>(٣٩)</sup> . وطبقا للقصيدة فان فوطيفار يعتبر أبا لأسنات التى تزوجها يوسف ، كما اعتبرت زليخة — زوجة فوطيفار — أما لها . وقد استند جوردون في ذلك الى التقاليد القديمة القائلة بأن يوسف تزوج من ابنة زليخة امرأة فوطيفار التى لم تنجح في اغراء الشاب العفيف والانحراف به عن جادة الصواب ، فانبرى الشاعر يصف ذلك الحب الطاهر الذى يكه يوسف لابنة سيده الرائعة الجمال التى كانت تبادله الحب . وفي الوقت الذى تتهم فيه زليخة يوسف بأنه حاول أن يحملها على الانحراف عن جادة الصواب — مما أدخله السجن — تتشب في صدر الصبية حرب عنيفة بين ثقتها بالقوية بصدق أمها التى تقدرها وبين حبها ليوسف ، وهذه الصبية — التى أصبحت صبية البلاط لدى ملكة مصر — هى التى تذكر لملك مصر — حسب ابتكار الشاعر — العبد يوسف حاكما للبلاد المصرية بأسرها وزوجا لأسنات ابنة زليخة عدوه اللدود .

وهكذا ذان الأم التى حاولت أن تراود فتاها يوسف عن نفسه لم تستطيع أن تحقق ما عقدت العزم عليه ، ولم تفز بيوسف بل فازت به ابنتها . . وهكذا تدور القصيدة حول التهمة التى حاقت بالمصريين : رغبات ، وشهوات متمثلة في زليخة ومنافستها لأسنات ابنتها ، وفي



المقابل نجد موقنا آخر ، نجد عفة وطهارة يتسم بها يوسف الذى تذكره القصيدة باعتباره ممثلاً لبنى اسرائيل ، وبالتالى فان المصريين القدماء تحكمهم الشهوات والرغبات ، بينما تحكم بنى اسرائيل الطهارة والعفة . ومن عجب أن نوريت جوبرين ١٦٦٦ ١٦٦٦- وهي ناقدة شهيرة فى اسرائيل يقول : « يجب أن نفهم هذه القصيدة ونستوعبها فى إطار كفاح الفرد ضد المجتمع ، ونضاله ضد الاتفاق الاجتماعى العام »<sup>(١٠)</sup> فكأن المجتمع المصرى القديم كله كان فاسقا وزنديقا ، وكأن بنى اسرائيل مجموعة من الأطهار والملائكة !! فهل ينسحب خطأ زليخة وما اقترفت من ذنوب وآثام على شعب بأكمله ، وهل كل الفراعين وعامة الشعب «زليخة»؟ وهل كان كل بنى اسرائيل «يوسف» ؟ ولم لا ينظر الى الواقعة كحدث فردى لا يرتبط بالأمة كلها ؟ وهل من الضرورى أن ينسحب فسق زليخة على مصر ، وطهارة يوسف على بنى اسرائيل ؟ أم هو تصيد وتحريف لحقائق التاريخ ؟ !! اننا لا يمكننا أن نصدر حكما عاما بالانحلال على مجتمع عثرنا فيه على فرد أو عدة أفراد يتسمون بالانحلال ، كما أنه لا يمكننا أن نطلق حكما عاما بالطهارة والعفة على مجتمع لمجرد أننا عثرنا فيه على فرد أو عدة أفراد يتسمون بالعفة والطهارة ، ولكننا يمكننا أن ننظر الى كلتا الحالتين باعتبارهما الفردى وليس الجماعى .

واذا كانت « قصائد المجد » التى نظمها فيزل تفتقر الى التصوير والخيال ، فاننا نجد جوردون يحاول أن يضمن قصيدته - اسنات بنت فوطيفار - مناظر الطبيعة والبيئة المصرية ، ولكن فى إطار من أحكام وسمات أدب الهسكال الذى كان يلتزم بالخطوط العامة فى الوصف دون الاغراق فى التفاصيل ، فهو يصف مصر فى القصيدة باعتبارها « سوق العبيد » ، وهو مكان يضم العديد من الأجناس والألوان من أبناء الشعوب جميعا ، كما يصور المصريين وقد احتشدوا فى هذا السوق لاختيار ما أرادوا من عبيد وهو يتفق مع ما ورد فى التوراة من أن مصر هى « بيت العبيد » ، حيث يقول الشاعر :

טם עושים חוסים ולהבים יעמדו.  
 מלוד ומטוט דמטק וקבל.  
 משקא מערב מאשור ומחרו.  
 מהם נרלי קומה עומסים במכל.  
 מהם נקדים בקיח יעמדו.  
 שרים ומחוללים ופרטים על נכל.  
 נהמון קנים שונים שקמה נקהלו  
 ובהנם ויבקרום למחרם ישאלו.

(٤١)

الترجمة :

هناك يقف الزوج السود المتحمسون  
 من اللد ومن تخوم دمشق وبابل  
 من سبأ ، من العرب ، من آشور ومن الهند  
 منهم شرفاء ( طويلاو القامة ) تحملوا الشقاء  
 ومنهم أقزام يشتغلون في البيت  
 يغنون ويرقصون ويعزفون على القيثارة  
 واحتشد هناك مختلف العملاء ( الزبائن )  
 ليفحصوهم ويختبروهم ويسألوا عن ثمنهم .

ثم ينتقل الى بلاط فوطيفار وزير الشرطة ، فيصفه بشكل أكثر  
 دقة وتفصيلا ، مستخدما المجاز والاستعارة ، فيصفه بأنه « جنة عدن »  
 في مقابل ما يعانيه الشعب من ضغوط الحياة وآلامها ، وهو - أي  
 فوطيفار - لا يعبا بهذه الضغوط ولا يعير آلام الشعب انتباها

פחדים נחמד שחל על פלני מים.  
 בו יעל כל עץ נחמד לעינים.  
 שם ינץ השקד המרח הנץ.

(٤٢)

الترجمة :

بستان بديع مغروس على ضفات البحر  
 اثمرت فيه كل شجرة تعجب الناظرين  
 هناك يتهدم اللوز ويثمر الكروم



لقد أسهب جوردون في إطلاق أطيب الصفات على قصر فوطيفار ، بيد أنه لم يخلقها حبا في اظهار الجمال والابداع ، بل ليعقد المقارنة بين حياة الحكام وحياة عامة الشعب ، وليصل الى النهاية الى أن هؤلاء الحكام كانوا شديدي الظلم لا يعاون بما يقاسيه الشعب ، ومن المثير للدهشة ان كاتبة مثل نوريث جوبرين تقول عن هذا الوصف « ان من لا يدرك ما يتحدث عنه جوردون — منذ الوهلة الاولى — سيعتقد أنه يصف بيتا في أرض اسرائيل ، وربما لا يخطر له أنه يدور حول بيت من بيوت مصر » (١٣) وكان الابداع والجمال سمة خاصة من سمات بنى اسرائيل لم يقدر للآخرين أن يحظوا منها بالقليل ، أو كأن أدباء العبرية لا يصفون جمالا وابداعا الا اذا كان ينطبق على بنى اسرائيل فقط ، ونسيت نوريث — أو ربما تناست أن الشاعر يوظف لكل ملكاته الفنية ليرز انصراف حكام مصر الأقدمين عن معاناة شعبهم .

ولقد استمر وصف فناء فوطيفار في مواضع متعددة من القصيدة أظهر خلالها بعضا من خصائص مصر الفرعونية مثلما قال :

סביב נאצו כל אלו מצרים  
שם פסל אמון בדמות איל קרנים  
סידם ובשל-צמון בדמות צמח

(١٤)

الترجمة :

وقفت آلهة مصر محلها ملتفة  
هناك تمثال آمون في صورة تيس ذي قرنين  
وساخر وواحد من (أهل الباطن) السحرة في صورة أفعى

وقد ورد في القصيدة أيضا ذكر « فيضان النيل » الذي كان يشكل عيدا بالنسبة للمصريين . يوم يتعلقون فيه بأطيب الآمال بعام سعيد من الخصوبة والنماء فيقول :

יום האזלים ותג לבני ספרדים  
לשפת שיתד כל הארץ האלקת:  
יום עלות הנארה כי נא הנשים  
ויקשרו שנת מארה וספרדת.

(٤٤)

الترجمة :

يوم بهجة وعيد لبني مصر  
تذهب الأرض كلها الى نهر شبحور  
يوم يفيض النيل وتصلح مياهه  
فتبشر بعام مبارك من الخير

أما مربية أسنات . فتسمى تحفيس وهو أحد الأسماء المصرية  
القليلة التي تظهر في كتاب العهد القديم ، والذي ظهر أول ما ظهر اسما  
لامرأة فرعون مصر في عهد سليمان ، ثم صار اسما لمدينة في مصر (ارميا  
٢ : ١٦ ، ٤٣ : ٧ — ٩ ، ٤٤ : ١ ، ٤٦ : ١٤ ، حزقيال ٣٠ : ١٨ ) .  
وهي مدينة التجأ اليها اليهود هربا من انتقام البابليين بعد قتل جدليا (\*) ،  
ويبدو أن بني اسرائيل كانوا قد اتخذوها مسكنا دائما لهم ، وتحفيس  
من الأسماء التي يمكن أن نعثر عليها تقريبا في كل انتاج يحكى عن  
مصر (٤٦) .

وقبل أن ننهي حديثنا عن يهودا ليف جوردون يجدر بنا أن نشير الى  
ما ورد في كتابه ( (משנה אבות אמثال יהודה) ) عن مصر ، وقد نشر  
هذا الكتاب عام ١٨٦٥ ، واستمد معظم هذه الأمثال من أمثال لافونتين  
الفرنسي وكرييلوف الروسي وغيرهما ، وأما الأمثال الأخرى فقد كانت  
من وضعه حيث استمدها من الأحداث المأساوية التي مر بها اليهود في  
تجمعاتهم في أوروبا (٤٧) .

(\*) اخذ ملوك المملكة الجنوبية « يهوذا » .



وامتازت هذه الأمثال بأسلوبها التوراتى حتى أن القرائين وضعوها  
فى كتب القراءة العبرية المقررة على تلاميذ المدارس (٤٨) \*

والمثل الذى يهمنى فى هذا الكتاب هو  $\text{לֹא יִשְׁכַּח מִצְרָיִם} \text{ וְיִשְׁכַּח מִצְרָיִם}$  أى الضفادع التى فى نيل مصر (٤٩) وهو مثل كان اليهود يطلقونه فى عصر  
جورجون — وفى منطقته ذاتها — على زعماء الشعب ، ويشير المثل الى  
أن قادة الضفادع وكبارها عادة ما يتسمون بالفهم والشراسة عند تناولهم  
الطعام دون النظر الى صغارهم . وكذلك زعماء الشعب — فى عهده —  
ينصرفون الى مصالحهم الذاتية دون النظر الى مصالح عامة الشعب .

أما لماذا الضفادع فى نيل مصر ؟ فانها تتعلق — طبقا لما ورد فى  
التوراة خروج ٨ : ١ — بالمصائب التى حاقت بمصر والمصريين ابان  
عصر موسى من جراء رفض فرعون مصر طلب موسى بأن يطلق شعبه  
ليعبدوا يهوا ، والا فان الرب سوف يرسل الضفادع فى كل أرجاء مصر  
فتلتهم خيرها وينتشر الجوع ويفتك بالشعب ، ثم صارت الضفادع عند  
اليهود — بعد ذلك — رمزا للنجاسة . ولكن الفرعون تراجع عن رفضه  
فصلى موسى للرب ، فماتت الضفادع جميعها وزكمت رائحتها النتنة  
الأنوف ، ولذا صارت الضفادع اشارة الى الرائحة الكريهة . وجدير  
بالذكر أن « ضربة الضفادع » هى الضربة الثانية التى لحقت بمصر  
وأهلها أثناء عصر موسى والتى سنتناولها فى الفصل الثالث من هذا  
الباب ، فالاشارة الى مصر بالضفادع هى اشارة سلبية أستمدتها  
جوردون من التوراة كما استمد غيرها من الصفات السلبية .

« موسى » ومصر عند أحادها عام (٥٠)  $\text{מֹשֶׁה וְמִצְרָיִם}$

١٨٥٦ ، ١٩٢٧ : ١

يعتبر مقال  $\text{מֹשֶׁה וְמִצְרָיִם}$  موسى أطول مقالات أحادها عام ،  
ويتناول فيه علاقة موسى بمصر والمصريين والأحداث التى وقعت له أثناء  
خروجه من مصر الى سيناء ، كما يدلى بدلوه فى قضية جدلية تتناول تأثير  
أبطال التاريخ على مسار حياة الجنس البشرى ، حيث يقرر « البعض أن

الابطال هم صناع التاريخ ، وأن الشعب ليس الا مادة من خلقهم ، بينما يرى آخرون أن الشعب هو القوة الأصلية ، وليس أبطاله الا نتاجا ضروريا له « (٥١) . ثم يحول الموضوع كله للتطبيق على شخصية موسى ، وعما اذا كان « موجودا حقا ؟ وهل حقا عاش وعمل بصورة تتفق مع ما تقبله أمتنا اليهودية ؟ وهل هو حقا مخلص اسرائيل ، وواهب التوراة بصورتها المحفوظة لدينا ؟ (٥٢) ويرد على ذلك أن « موسى » عند هؤلاء يختلف عن « موسى » عند اليهود ، وحتى اذا توصلوا الى أن موسى الرجل لم يكن له وجود مطلقا ، فان ذلك لن ينقص شيئا من « الواقع التاريخي لموسى المثالي الذي صار أمامنا في صحراء سيناء ، ليس أربعين عاما فقط ، بل آلاف السنين وفي كل الصحارى التي سرنا فيها بدءا من مصر وحتى الآن » (٥٣) .

وهكذا ، إن صحراء سيناء لم تعد تدل — في الأدب العبري الحديث — على تلك المنطقة الشمالية الشرقية من حدود مصر ، بل على بلاد الشتات الكثيرة التي عاش فيها اليهود والتي خلعوا عليها صفات العذاب والقحط والاقفار ، أصبحت صحراء سيناء رمزا لكل الصحارى التي سار فيها اليهود منذ عصر موسى وحتى الآن ، وهو رمز واضح للاضطهاد والعبودية ، ومن المعروف أن مفهوم بنى اسرائيل لعملية الخروج ، أنهم تحولوا في صحراء سيناء من « مجموعات من العبيد » الى « شعب » ، وهى الصحراء التي تلقى فيها موسى التوراة . فحين تذكر الصحراء لا مناص من ذكر مصر .

ويلتقط أحادها عام إحدى عبارات التوراة التي تصف المصريين بالعنف والجبروت وتصور بنى اسرائيل بالوداعة والمسألة فيقول : « رجل مصرى يضرب رجلا عبريا ، القوي يركل بقدمه الضعيف ، وهذه هى الرؤية الأولى وقصة كل يوم ، يتذمر النبي ويقف الى جانب الضعيف » (٥٤) ، فالمصريون يتصفون بالعنف والظلم لأن أحدهما اختصم مع عبرانى ، أما اذا اختصم عبرانى مع عبرانى آخر فكلاهما ضعيف ، أما العنيف فهو غرعون الذى يعملان عنده « اثنان من العبريين يختصمان انهما شقيقتان ، وكلاهما ضعيف ، وكل منهما عبد لدى فرعون » (٥٥) فالسماحة



ودمانة الخلق - نرى رأى اتحاد هاعام - هو صفات اليهود ، وأما العنف  
والظلم ، والجبروت فهي صفات المصريين !! • ومصر أيام موسى - في  
نظر اتحاد هاعام - هي أرض المتاعب التي لم يعرف بنو إسرائيل الراحة  
فيها » يذهب موسى مع أغنامه الى الصحراء ، ويأتى الى جبل الرب  
حوريب ، ولكن ما زالت الراحة بعيدة المنال «<sup>(٥٦)</sup> ، ومصر عنده - كما في  
التوراة - أذلت بنى إسرائيل فيقول : « انى رأيت مذلة شعبى الذى فى  
مصر •• والآن هلم فأرسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من  
مصر »<sup>(٥٧)</sup> لأنها بيت العبودية الذى رزخ فيه بنو إسرائيل تحت وطأة  
الظلم<sup>(٥٨)</sup> •

صحراء مصر عند حاييم نحماني بياليك<sup>(٥٩)</sup> חיים נחמן ביאליק  
١٨٧٣ - ١٩٣٤ :

واذا كان حديثنا عن « موسى » عند اتحاد هاعام قد أدى بنا لتناول  
« صحراء مصر » بمعناها المجازى فى الأدب العبرى ، فان هذا من شأنه  
أن يدفعنا للحديث عن الصحراء بمعناها الجعيد هذا عند حاييم نحماني  
بياليك ، باعتبار ، أكثر أدباء العبرية استخداما لها بهذا المعنى ، فقد نظم  
فى ذلك قصيدتين تحملان عنوان מחי מדבר האודנים  
موتى الصحراء المتأخرون عام ١٨٩٧ ، מחי מדבר  
موتى الصحراء ، عام ١٩٠٢ • فقد أدرك بياليك أن الجموع اليهودية  
مقتاعسة عن عمالة الهجرة الى فلسطين وإعادة احياء ما أسماه « أرض  
الآباء » ، فكتب القصيدة الأولى ليؤجج فى قومه الحماس للهجرة الى  
فلسطين تحت قيادة المنظمة الصهيونية التى عقدت مؤتمرها الأول فى  
نفس العام الذى نظمت فيه القصيدة • ويقول فيخمان מחי  
عن هذه القصيدة « لقد وجه بياليك فى هذه القصيدة نداء مشجعا الى  
تأهئ الصحراء يستحثهم أن يعبروا ويتخطوا ضحايا العبودية فى طريق  
الهجرة الى العالم الواسع الذى تشع فيه شمس الأمل الجديد<sup>(٦٠)</sup> •  
فبياليك يقول فى قصيدته •

קומו, חצי סדר, צאו מתוך השממה;  
עוד הדרך רב, עוד רבה המלחמה.

רב-לכם לטע, לטע קערקה -  
ולסניכם סרושה דרך גדולה, רחקה.

רק ארבעים שנה נחע בין הקרים -  
ובחול סמע ששים רבוא סגרים.

סן-צעדכם יגזי סדר ונדרס -  
איש נאיש בלבבו יסמע הר סצמיו

(61)

الترجمة :

قوموا أيها الساردون في الصحراء ، اخرجوا من وسط القفر  
فالطريق لا يزال طويلا ، والمركة ما تزال مديده  
وكفاكم تجوالا وترحالا في البيداء  
وأمامكم الطرق العظيمة الرحبية ممتدة  
أربعون عاما مكثنا تائهين  
ودقنا في الرمال آلافا مؤلفة  
وحتى لا يقلق خطوكم في الصحراء نائميها  
فعلى كل فرد منكم أن يسمع وقع خطواته في قلبه (62)

فالصحراء هنا هي صحراء العالم وليست صحراء مصر ، كما أن  
النائمين هنا ليسوا اليهود الخارجين من مصر تحت قيادة موسى ، ولكنهم  
شعوب العالم ، وقد أشار لاحوفر להובר الى ذلك بقوله  
« لقد جرد بياليك الصحراء - في هذه القصيدة - من مضمونها المعروف ،  
ووسع معناها فصارت صحراء الشعوب ، وكان هذا الأمر مألوفنا ايان  
جميعه احياء صهيون ، حيث استخدمت صحراء مصر - التي شرد فيها  
اليهود - رمزا للدول التي تشبثوا فيها بعد ذلك » (63) .



ولم تكن الهجرة اليهودية الى فلسطين قوية في مهبها ، فقد كانت  
استجابة اليهود أنفسهم لنداء الهجرة ضعيفا ، ولذا انتاب بباليك الالى  
ونظم في مرارة قائلا :

וכבר תקעו כחצרות למסע, וכבר  
גד מסנות נבו גם-האר -  
ומדוע לא-יסע ויארלו על-מה  
נצב והם כסוף-ראש מול הקרו  
את-מה נצר עוב לו במדבר הזה?  
מה-משוסטות עיניו בנצא?  
לכה דומם תבכינה, תטפנה? את-מי  
תבקשנה על ראש הר-נבו?

(٦٤)

الترجمة :

لقد دقت الطبول للرحيل  
ونزل القائد من قمة جبل نبو (\*)  
ولم لم يشد اليهود رحالهم ؟ ولماذا ؟  
يقف صامتا منكس الرأس أمام الجبل ؟  
ماذا يحزنه لو أنه ترك هذه الصحراء ؟  
ماذا تتأمل عيناه في الوادي ؟  
لماذا تبكيان في صمت وتتهملان ؟ وعم  
تبحثان على رأس جبل بنو ؟

(\*) جبل نبو هو أحد جبال مؤاب ، وقف عليه موسى قبل وفاته واخذ  
يراقب فلسطين ( التثنية ٣٤ : ١ ) وربما كان هو جبل « النبا » شرقي  
الأردن بثمانية أميال .

بل ان ربط بياليك بين خروج اليهود من مصر ، وبين خروج اليهود  
من الدول التي يعيشون بين ظهرانيتها يتجلى بشكل أوضح حين يقول :

יְרַקְבוּ בְּקִלְתָּם סְרוּתִים עַל-צִדְרוֹתָם.  
שֶׁבִּקְתָּםם וְשָׂאוּ מִמָּצְרִים אוֹתָם.

(٦٥) יִמָּסַק לָמוֹ הַלּוֹמִם، הַלּוֹם רֹב בְּצִלִּים، שָׁמָיִם،  
דְּוָדִים מְלֵאֵי בָשָׂר בָּרִים וְעֶצְמוֹת.

الترجمة :

ليتعفنوا في عارهم وهم متمردون على نصرهم  
التي حملوها من مصر على أكتافهم •  
ايحلو لهم حلمهم ، حلمهم بالكثير من البصل والثوم  
وبالقذور الكثيرة العظيمة الملوئة لحما

فبياليك يشير ضمنا في البيتين الأخيرين الى ما كان اليهود يتمتعون  
به في مصر من نعم تنكروا لها بعد ذلك ، وبالرغم من أنه نعت موتى  
الصحراء بالصفات السابق ذكرها ، الا أننا نجدهم يمجدهم ويصورهم  
بأنهم عمالقة عظماء راقدون بجوار خيامهم ، ورايضون كالأسود فوق  
رمال الصحراء ، وذلك في قصيدة موتى الصحراء حيث أضفى عليهم قوة  
خارقة يفزع منها النسر القوي ، والحية الرقطاء والأسد الهصور ، ويقول  
لاحوفر « ان النسر والحية والأسد يرمزون الى مصر وبابل وروما على  
التوالي ، تلك الدول التي أرادت أن تقضى على اليهود وتمحو كل ذكر  
لها ولكن لم تستطع » (٦٦) •

وهناك قصيدة أخرى لبياليك يتحدث فيها عما لاقاه اليهود في مصر  
من « أهوال » ، عنوانها « כִּן בַּז זֶה מִסֵּר אֱלֹהִים חָקָא אֵן זֶה עֲقָב  
הָרֵב » ، يقول بياليك •



ושםכם את-רוחכם עלי כל-שש נָר  
 ובחיק אָבן נָר את-נשכם תשקעו  
 ובאוד בערךם מססר דם בין שני זולתכם -  
 תאכילום גם-אכול את-נשמתכם.  
 ובניתם אתם למצדיכם את-פיהם ואת-רעמס  
 וקח ילדיכם לכם ללבוים |

(٦٧)

## الترجمة :

استغرقت أرواحكم في كل ما هو أجنبي  
 كما تلقون بأنفسكم في أحضان كل صخرة غريبة  
 وبينما تقطر الدماء من أجسادكم بين أسنان مفترسيكم من النهمين  
 فإنكم تطعمونهم أرواحكم أيضا |  
 انكم تشيدون لمضطهديكم مدن فرعون بيتوم (\*) ورعمسيس  
 وانكم لتتخذون أبناءكم حجارة لهما

فهو يستسلم التاريخ التوراتي في هذا الجزء من القصيدة ، فمدن  
 فرعون هي مدن مصرية وصفها بباليك بأنها مدن ظالة متجبره ، وقد نظمت  
 هذه القصيدة عام ١٩٠٥ . أثناء قيام حركة التحرر في روسيا والاندفاع  
 معظم شباب اليهود للقيام بحراسة « حدائق الأجانب » (٦٨) ، فهو يشبه

(\*) بيتوم : مدينة مصرية قديمة كانت تقع على الفرع الشرقي للنيل ،  
 ومعناها «بيت الاله آمون» ، وهي إحدى مدينتين كبيرتين ، استخدمتا في  
 تخزين الحبوب والغذاء في مصر قديما .

(\*\*) رعمسيس : هي كذلك مدينة مصرية قديمة كانت تسمى احيانا  
 ( بن - رعمسيس ) أي بيت الاله رعمسيس ، ويقال أنها مدينة الشمس  
 المحرقة ، وأنها نسبة للاله رع ، وأن الذي شيدها هو رعمسيس الثاني .

المدن الروسية آنذاك بالمدن المصرية القديمة ، كلاهما ظالم ، وكلاهما يستغل شباب اليهود لصالحه الذاتى دون النظر الى أولئك « العبيد » المسخرين للبناء ، وما يلاقيه اليهود فى روسيا ، هو ما لاقاه بنو اسرائيل فى مصر ابان حكم الفراعنة . وهكذا يعنف بياليك قومه ويواصل زجره الشديد لهم ، فلعل صراخه يجد صاغيا ، وتعنيفه يجد تائبا أو نادما من أولئك اليهود الذين اندمجوا فى الشعوب الأوروبية ونسوا « قضية شعبهم » .

وفى قصيدة קראו לנושים نادوا الأفاعى يصرخ الشاعر صرخة شعب « استؤصل من أرضه » ورمى به فى مجاهل الصحراء الجذباء ، وهى صحراء ملبدة بالغيوم ، غارية قاحلة ، لا رحمة فيها للانسان الاسرائيلى ، فتمنى الأخير أن يموت ويفارقها ، يقول بياليك :

הכלו מייכם בשממון בערים ובקבש כל  
ושאלתם את נפשכם למות ובקבלי מייכם מן עקו.

קראו לנושים נשאו ועקתכם עד לב השמים. (٦٩)

כי הנה נמקד מדברכם، נמקד בנושאים נרות.

الترجمة :

ذبلت فى البيد حياتكم فى عرى وجفاف بنى كل شئ ،  
فتمنيتم لو متم ، وصرختم من ألم طاغ  
نادوا النور فتحمل صراخكم الى كبد السماء  
فلقد ذكرت صحراؤكم وامتلات غيما ورياحا

فالشاعر يخاطب قومه بأنهم لا بد خارجون من « صحراء العالم »  
التي لاقوا فيها الأهوال ، كما سبق لأجدادهم أن خرجوا من « صحراء

« سيناء » بعد أن ذاقوا الأمرين ، والصحراء في الحالتين قاحلة مقفرة  
 ملبدة بالغيوم . ومما تجدر الإشارة إليه أن تشبيه عالم الشتات وأهواله  
 — بأنه امتداد لأهوال صحراء سيناء — لا يقتصر على آحاد هاعام وبياليك  
 فقط ، بل امتد الى العديد من الأدباء العبريين ، حتى كاد لفظ « الصحراء »  
 يفرغ من مضمونه الحقيقي في الأدب العبري ، ليكتسب دلالة جديدة  
 تتعلق بمعاناة بني إسرائيل في صحراء سيناء ، فها هو شاول تشير  
 نيوفسكي<sup>(٧٠)</sup> שואל צדניחרפסקי ١٨٧٥ — ١٩٤٣ .

يواصل استخدام « الصحراء » بدلالاتها الجديدة في قصيدة  
 بعنوان מנגינה מעزובה :

מנגינה לי ונגינה לי

מימים משקבר.

ממדבר ים, מקרן אור.

ממחזות על נהר קבר.

ועולה היא ופורצה היא

עו סגור הלב התם.

שיר דמי הוא, שיר נצחי הוא.

שיר מלא עו ורם.

מי אתם דמי רווחים ב?

דמי דור המדבר? ק?



الترجمة :

معزوفة ولحن لى  
منذ أيام قد خلت  
من صحراء مترامية ، من شعاع نور  
من مشاهد كانت على نهر  
تخرج منفجرة  
فتدخل الى كل قلب طاهر  
شعر يقطر دما ، شعر خالد  
شعر يفيض جرأة وسموا  
من أنت أيتها الدماء التى تغلى فى عروقى ؟  
هل أنت دماء جيل الصحراء ؟

فالشاعر يشير الى أن الغضب الذى اندلع فى صدور جيل الصحراء  
من بنى اسرائيل يتوارثه أبناؤهم جيلا بعد جيل ، وأن هذه الأجيال لن  
تنسى ما حدث لأجدادهم فى صحراء مصر ، مهما تجولوا وطافوا فى  
صحارى أخرى .. ولم ينس الشاعر أن يصف الانسان اليهودى بأنه  
ذو « قلب طاهر » ولكنه يقطر دما من هول ما رأى منذ بدء التاريخ \*

واذا كانت الصحراء قد اتخذت شكلا سلبييا دائما عند كل من أحاد  
ها عام وحاييم نهمان بيالك وغيرهما ، الا أنها اتخذت عند — أورى  
تسفى جثيفج<sup>(١٢)</sup> ٦٦٨ ٦٦٨ ٦٦٨ — الشكلين معا : السلبي  
الذى سبق الحديث عنه — والايجابى الذى يعبر عن « نور » هذه  
الصحراء « وبهائما » حين هبط فيها الوحي على موسى ، وهو نور الهى

أضاء الكون وبين طريق الحياة أمام بنى اسرائيل ، فالصحراء — فى معناها الايجابى عند جرينبرج — بقعة طاهرة شهدت تحول مجموعات من العبيد الى شعب حين تجلى نور السماء لموسى . يقول جرينبرج فى قصيدة  
על דעת לסוף عن معرفة الطريق •

האור בדורי הרי גם כלפני מתן דת  
לא סיני זה ההר לפניך הפוער ועשן  
כי אם הגורל העלייך הבוער ומצא

الترجمة :

الأجواء فى جيلى حبلى بالمعجزة كقبيل نزول الوحي  
ليس ما أمام جيلى هذا: طور سيناء المضطرم بالنار والدخان  
بل القدر الأعلى المتأجج المرسوم

فطور سيناء — الذى يضطرم « بالنار والدخان » فى القصيدة السابقة — لا يضطرم قتلا وابداء لليهود . ولكنه يضطرم نورا وحقا حين تجلى الله على موسى ، فهى نار اليه تجلت على اليهود بالشريعة والاستقامة (٧٢) ، ولكن هناك صورة أخرى « لسيناء » التى تضطرم فيها نار الشيطان وأهواله ، تتخذ فيها سيناء صورة نار المحرقة وأفران معسكرات الموت ، ففى قصيدة « مسالك النهر » يقول جرينبرج •

شيب وثبان ، أمهات وكنات  
وكذا أطفال رضع يتهيئون كى يصعدوا  
الى سيناء الأهوال  
والى غيابة الجب ينزلون  
كى يرقدوا مع الجميع وبذا ينتهى الموت

ان صعود الشعب قديما على طور سيناء أيام موسى ، حيث تجلى الله وأنزل التوراة ، كان موقف الخلود للأمة ، ومصدر كل خير لها ، أما الكارثة والابادة فكانت صعودا على « سيناء الالهوال » التي أصبحت موقف الخزي والانكسار للأمة مما يتناقض مع الموقف القديم .

وخلاصة القول أن أدباء العبرية فى العصر الحديث أخذوا يصمون مصر بسيل من الصفات السلبية التى استمدوها من موروثاتهم الدينية فقط ، وهى صفات تتطوى على تناقض كبير مع بعض الأحداث الواردة فى تلك الموروثات ذاتها ، ولذا فهى تفتقد الى أساسيد ودلائل من التاريخ العام .

وقد دارت هذه الصفات جميعها حول محورين أساسيين :

أولا : اذا اتصف فرد أو عدة أفراد بصفة معينة ، فان هذه الصفة تنسحب تلقائيا على الشعب الذى ينتمى اليه هذا الفرد أو هؤلاء الأفراد ، فلم يكن هؤلاء الأدباء ينظرون الى الأحداث فى شكلها الفردى المحدود ، فما يتسم به يوسف من عفة وطهاره ، وما يتسم به موسى من جلال ووقار ينسحب بدوره على بنى اسرائيل ، وما تنصف به « زليخة » من كرية الصفات ، وما يتسم به « فرعون موسى » من ظلم وجبروت ينسحب أيضا على مصر والمصريين .

ثانيا : ان ادباء العبرية كانوا يميلون غالبا الى عقد المقارنة بين المصريين وبنى اسرائيل فى هذه الصفات ، ومن البديهي أن تكون الصفات السلبية كلها من نصيب مصر ، بينما تكون الصفات الايجابية من نصيب بنى اسرائيل ، فمصر هى أرض الجهل والجهالة بينما بنو اسرائيل هم شعب الثقافة والنور ، ومصر هى العنف والظلم ، بينما بنو اسرائيل هم الوداعة والمسالمة ، ومصر هى بيت العبيد ، وبنى اسرائيل هم الشعب المقدس ، ومصر هى القحط والاقفار ، وبنى اسرائيل هم الخصب والنماء ، ومصر هى الرائحة الكريهة ، وبنى اسرائيل هم شذى الورد وعبيره ،



وغير ذلك من الصفات والصور التى تنطلق جميعها من عقيدة واحدة  
تسببت فيما لحق بهم — من العالم كله — عبر العصور ، بل تسببت فيما  
حدث للإنسانية كلها من أهوال ، وهى عقيدة « شعب الله المختار » ...

أما آن لهؤلاء القوم أن ينظروا الى ما تحت أرجلهم من أديم  
الأرض وما فوق رؤوسهم من رجوم السماء فيقبلوا العالم حتى يقبلهم  
العالم ؟ !! \*

\*\*\*



## الفصل الثانى

### مصر الفرعونيه

تظهر مصر فى هذه الصورة فى أوائل القرن التاسع عشر حين فرغ العالم الفرنسى الشهير شمبليون من فك رموز حجر رشيد عام ١٨٠٢ ، فقد بدأت الحضارة المصرية تفصح بجلالها عن مكوناتها التى ظلت حبيسة آلاف السنين ، وعلى اثر ذلك توالى البعثات العلمية الأثرية الأوروبية الى مصر عساها أن تساعد فى الوصول الى أسرار هذه الحضارة التى بهرت العالم كله .

وفى تلك الفترة كان الشعب المصرى قد ولى محمد على حاكما فى البلاد ، فقام بالعديد من الانشاءات والاصلاحات ، وأرسل العديد من أبناء مصر الى أوروبا لينهلوا من معين الثقافة الحديثة وعلومها العامة ، وهو ما يطلق عليه المؤرخون « الانفتاح المصرى على الغرب » . وكان لهذه الأمور الثلاثة — فك رموز حجر رشيد ، والبعثات الأوروبية الى مصر ، والبعثات المصرية الى أوروبا — الأثر الكبير فى تعريف العالم كله بالحضارة المصرية القديمة وعمقها ومعارفها وفكرها ، بحين عادت البعثات الأوروبية الى بلادها دونت ما وصلت اليه فى عدة مؤلفات ، كما دونت البعثات المصرية الى أوروبا العديد من المؤلفات التى تتحدث عن هذه الحضارات ، وكان لهذا الفيض الهائل من المؤلفات أثر كبير فى انفتاح العالم على الحضارة المصرية وسعيه لمعرفة المزيد عنها .

وقد انعكس ذلك كله على الآداب الأوروبية ، وما هتئت الروايات والمنظومات والمسرحيات وشتى فروع الأدب — التى تتناول حياة الفراعين وحضارتهم — أن غمرت الساحات الأدبية فى أوروبا ، وبات فى مقدرة



العديد من القراء ان يغوصوا فى أعماق وأسرار هذه الحضارة عن طريق المؤلفات العلمية تارة ، والمؤلفات الابداعية الأدبية تارة أخرى •

ولما كان الأدب العبرى — فى تلك الفترة — يعيش فى كنف الآداب الأوروبية ، ينهل منها اتجاهاتها وأساليبها ومضامينها ، يتأثر بما تتأثر ، ويحاكيها محاكاة كاملة ، فقد غزته تلك المؤلفات بنوعها العلمى والأدبى ، ولم يكن فى مقدوره أن يتجاهل هذه الحضارة ، وهى التى بهرت العالم كله وجذبت اليها العين والقلم • فبدأ أدباء العبرية يقتاولونها فى مؤلفاتهم ، وهم فى تناولهم لها لم يشذوا عن أدباء العالم وكتابها حين تناولوها تقريرا لها ، وانبهارا بقوم كانت صنعتهم الأولى الحضارة •

واذا كانت مصر التوراتية قد ظهرت جلية فى المرحلة الأولى من الأدب العبرى الحديث وهى مرحلة التثوير (الهسكالا) فان مصر الفرعونية تجلت بشكل واضح فى المرحلة الثانية من ذلك الأدب وهى التى أسماها النقاد « مرحلة الأحياء القومى »<sup>(١)</sup> والتى تمتد من تسعينات القرن العشرين وحتى الحرب العالمية الأولى ، حيث أخذت الكفة ترجح بين اليهود لصالح التيار القومى الذى أخذ يتبلور ويشتد عوده تدريجيا فى شرق أوروبا نتيجة لعدة عوامل من بينها :

١- استعاضم قوة التيار القومى لدى الأمم الأوروبية حتى أطلق على القرن التاسع عشر « قرن القوميات » •

٢ — انتكاس دعوة الهسكالا التى فشلت فى خلق اليهودى المثالى الذى يجمع بين الثقافة العامة والانتماء القومى •

٣ — تضاعد موجات العداء لليهود ق أوروبا الشرقية وخاصة فى روسيا القيصرية •

وقد أدت هذه العوامل وغيرها الى سريان التيار القومي بين جماهير اليهود ، وباتوا يعملون على انشاء وطن خاص بهم يحميهم من كل اضطهاد ويدراً عنهم الاتهامات والشبهات .

واذا كانت مصر الفرعونية قد بدأت تظهر مع بدء مرحلة الاحياء القومي ، الا أنها لم تنته بنهايتها ، بل اننا نعثر عليها في فترة ما بين الحربين : وخاصة عند الشاعر يعقوب كاهان<sup>(٢)</sup> : יַעֲקֹב קָהָן ١٨٨١ - ١٩٦٠ .

ورب قارئ يحدث لديه شيء من الخلط والتشويش بين مصر التوراتية ومصر الفرعونية على اعتبار انهما تنتميان الى العصر القديم ، بيد أن هذا الخلط يزول ويتلاشى اذا ما علم أن المقصود بمصر التوراتية هو ما ورد عن مصر والمصريين في التوراة ، بينما المقصود بمصر الفرعونية هو ما يتعلق بفروع الحضارة المصرية القديمة والتي أجمع العلماء على أن وصفها يجلب عن وصف أية حضارة أخرى في أية بقعة في العالم<sup>(٢)</sup> . . . ولا بد لمن يكتب عن مصر بهذا الوصف أن يكون ملماً بقدر واف من المعرفة عن تاريخ مصر القديم وعقيدتها ورموزها وعاداتها وأعراقها ، فاذا ما أضاف الكاتب الى هذا العنصر الواقعي عنصره الذاتي متمثلاً في الفلسفة والفكر والأسلوب ، لاخرج لنا عملاً أدبياً متكاملًا ذا مذاق خاص .

وعلى سبيل المثال نجد آحاد هاغام<sup>(٤)</sup> ١٨٥٦ - ١٩٢٧ يكتب مقالا تحت عنوان יַעֲקֹב קָהָן בין المقدس والعلماني<sup>(٥)</sup> ، ليفند فيه بررات الاصلاحيين<sup>(٦)</sup> في دعوتهم أن تتم الصلاة اليهودية باللغة الألمانية بدلا من العبرية ، فعقد مقارنة بين الأشياء المقدسة والأشياء العلمانية ، وتوصل الى أن الأشياء المقدسة تكسب كلا من مظهرها وجوهرها القدسية والاجلال والبقاء ، بينما تكسب الأشياء العلمانية هذه القدسية لجوهرها فقط فيقول : « في الشيء العلماني نحتفظ بالقشرة من أجل ما بقلبها ، غاذا أكلنا ما في هذا القلب ألقينا بالقشرة ، أما في الشيء المقدس : اننا نرفع من قيمة القشرة الى نفس قيمة ما في قلبها »<sup>(٧)</sup>

وسعى وراء أسانيد تاريخية يؤيد بها وجهة نظره ، نجده يستعين بالقدماء المصريين ، على محافظتهم على جوهر طقوسهم ومظهرها فيقول :

המצרים הקדמונים היו משתמשים בימי חגים ידועים רק בכלי אבן. מנהג זה נשאר להם לנחלה מאבותיהם הראשונים שחיו „בזמן האבן“, בזמן שלא ידעו עוד בני אדם להשתמש בחמרים אחרים והיו עושים כל כליהם מאבן (Lubbock). ואעפ"י שלמדו אחרי כן לעשות להם כלים מחמרים יותר טובים, החליפו אמנם בנקל בימות החול את האמצעי הגרוע בטוב ממנו, אבל בימי קודש לא נועזו להוציא ישן מפני חדש, כי פה היה האמצעי עצמו לדבר שבקדושה וכהני-מצרים בודאי בקשו ומצאו לדבר טעמים גדולים על פי הסוד, כלומר, בקשו ומצאו מטרה חדשה לאמצעי שנתישן, תוך חדש לקליפה שנחרוקנה.

(א)

لقد كان القدماء المصريون يستعملون في أعيادهم الأواني الحجرية فقط ، لقد ظلت هذه العادة لديهم كارت ورثوه عن آبائهم الذين عاشوا في العصر الحجري ، في الوقت الذي لم يتوصل فيه الإنسان إلى استخدام مواد أخرى فكانوا يصنعون كل أوانيهم من الحجر . . . وعلى الرغم من أن المصريين قد تعلموا — فيما بعد — أن يصنعوا الأواني من مواد أفضل من الحجارة ، واستطاعوا — في الأيام المعاصرة — أن يستبدلوا تلك الأدوات الرديئة بأدوات أفضل منها ، إلا أنهم — في الأيام المقدسة — لم يجروا أن يتخلصوا من القديم في سبيل الجديد ، فهنا أصبحت تلك الأواني مقدسة في حد ذاتها ، ومن المؤكد أن رجال الدين المصريين قد بحثوا ووجدوا أسبابا كثيرة لهذه العادة ، أي بحثوا ووجدوا هدفا جديدا لتلك الأواني التي عفا عليها الزمن — عن قلب جديد للقشرة التي أصبحت خاوية » .



فأحاد هاعام يشير معنا الى تتمسك المصريين القدماء بديانتهم وطقوسهم . ولم يكن هذا التمسك من حيث المضمون أو الجوهر فقط ، وإنما امتد الى المظاهر والأشكال . فقد تمسكوا بالأواني الحجرية تقديسا واجلالا لها . بالرغم من التقدم الذى أحرزوه فى صناعة الأوانى من خامات أكثر متانة وجمالا من الحجارة . كما أنه يشير الى استمرارية الخلق والابتكار التى كانت تميز الحضارة المصرية القديمة . والهدف من استلهامه هذا المثل الواضح وبين . فهو يتخذ من المصريين رمزا أمام شعبه كى يتمسكوا بدينهم وطقوسهم ولغتهم ، فلم لا يحافظ اليهود على أكثر الأمور الدينية هامشية مثلما سبقهم المصريون الى ذلك ولم لا يتمسك اليهود بصلواتهم مضمونا ولغة ولماذا يتركون اللغة العبرية – ففى صلاتهم – الى غيرها من اللغات ؟

وإذا كان مقال احاد هاعام ينتمى الى مرحلة الاحياء القومى ، فان مسرحية يعقوب كاهان | *הפירמידות* وعنوانها *הפירמידות* تنتمى الى مرحلة ما بين الحربين حيث نشرها عام ١٩٣٩ . وهى من المسرحيات الفلسفية التى حلق فيها كاهان بخياله وغاص عميقا فى تربة الحضارة المصرية القديمة وأعمدتها الرئيسية وتفريعاتها العديدة . وقد لعبت الأساطير والرؤى والواقع والألوان دورا هاما فى أحداث تلك المسرحية<sup>(٩)</sup> كما يتجلى فيها أثر التيار الرمزي الذى يستبطن النفس ويستشف الروح معتمدا على الإشارة والتلميح لا الافساح والتصریح .

والفكرة الرئيسية التى تدور حولها المسرحية هى فكرة « الخلود » ، وهى فكرة قتلها الانسان بحثا منذ فجر التاريخ وسعى وراء تحقيقها لذاته . وحين تحلوا ذكره « الخلود » على السطح فلا بد أن يكون للمصريين القدماء مكان بارز ورئيسى فيها ، حيث تضعهم حضارتهم القديمة موضع الريادة فى البحث عن هذا الخلود وطبيعته والهدف من الوصول اليه ، وتشهد على ذلك أهراماتهم التى نسيدها والتى تعتبر أبرز الأدلة المادية القديمة لبحثهم عن الخلود<sup>(١٠)</sup> ، كما يؤيده أيضا العدد الكبير من المومياوات وتحنيط جثث الموتى التى يقف العلم الحديث أمامها عاجزا

منبهرا ، ناهيك عما خلفوه من أوان وآثار نادرة ما زالت تسترعى الانتباه  
وتثير اعجاب الانسان في كل مكان وزمان •

ويعبر كاهان عن هذا كله في صورة شخصيات ، تلعب كل منها  
دورا معينا في تحقيق فكرة الخلود ، وتبدأ المسرحية بوصول شخصية  
القائه - الذي يرمز الى الانسانية التي هامت على وجهها منذ بدايتها  
وحتى الآن<sup>(١١)</sup> - الى منطقة الأهرامات في الجيزة ، فثعر وكأنه قد  
وصل الى « دار الخلود والأبدية » ، مما شجعه على البقاء فيها واو  
لليلة واحدة ، يستريح فيها من عناء السفر والترحال الطويل ، خاصة وأن  
هذه المنطقة خالية من ضجيج الحياة وصخبها ، فيقول :

הִנֵּה כֵּן אֶעֱמַד סוּף סוּף וְזִין זִישׁ זֹתִי  
לְסִנֵּי נְצוּרוֹת הַמִּדְבָּר וְחִידַת הַקְדוּמִּים -  
חֳלוֹת: סִלְעִים, מַעֲבֹת - אֶבֶן לְעִנְקִים,  
וְלֵיל הַמִּדְבָּר, קֶדְמוֹן וְשֹׁאֵי לְאִיר־חֶקֶר,  
אֲשֶׁר הַבּוֹיֵק רָוִים עַל רֹאשָׁם, עַל רֹאשֵׁי.

סֵה אֶבֶה לְעַח.

לוֹ לִקְלֹה אֶחָד נָה לְעַח מִרְעַשׁ חֶמֶד -

סֵה אֶבֶה לְהַעֲת. וְאוֹלִי יִגָּב אֵלַי

(١٢)

מִרְחֹשֵׁי הַדּוֹרוֹת הָהֵם, הַזֵּי הַנֶּצֶח.

لاترجمه :

هأنذا أقف في النهاية وليس معي أي انسان

وأمامي أسرار الصحراء ولغز الأقدمين

رمال وصخور وتماثيل حجرية ضخمة

وليل الصحراء ، قديم وعظيم بلا حدود

يطبق بالأسرار على وجوههم ووجهي  
 هنا أود أن استريح  
 ولو لليلة واحدة ، أستريح فيها من صخب الحياة  
 هنا أريد أن أتأمل  
 همسات تلك الأجيال ، فلاسفة الخلود

وفرض عليه سكون المكان وشموخ الأهرامات، وكتل الجلاميسد  
 المتناثرة ، والمقابر المتعددة ، وما يعرفه عن تاريخ النائمين فيها ، بعضا  
 من التساؤلات التلقائية التي تراود كل من يذهب الى تلك المنطقة، هل  
 حقاسيفنى الانسان الذى أحسن الله خلقه وتصويره دون أن يترك  
 أثرا يخلده خلودا أبديا ؟ وهل فكرت الأجيال السابقة فى ذاك التأمل ؟  
 والام توصلت من نتائج ؟ فيقول :

הָאֱמָנָם יִבְלַע, כָּלִי הַשָּׂאִיר שְׂרִיד, הַמָּוֶת  
 אֲשֶׁר יֵצֵר אֱלֹהִים בְּתַבְנֶתָה רַבָּה  
 מִה־יִּרְמוֹז הָאוֹרוֹת הַסֵּלָאִים מְלַמֵּעָה  
 מִה־יִּלְאֵט הָרוֹחַ הַבָּא מִכְנֶפֶת־תַּעֲלֹמוֹת  
 מִה־יִּגִּיד לֵב אָדָם בְּמַשְׁכִּיזוֹתָיו פְּנִימָה  
 מִה־תִּלְמַד דּוֹרוֹת־הַקְּדוּמִּים הָהֵם תַּעֲאִים,  
 מְקִימֵי אֱלֹה מְבַצְרֵי־עוֹלָם שֶׁמֶת הַמִּדְבָּר,  
 וְמִה־תִּהְיֶה לְחֵלּוֹמָם –

(١٣)

هل حقا سبييتلع الموت ، دون أن يترك له أثرا  
 ذلك الذى أحسن الله خلقه ؟



والام ترمز الأنوار المبهرة فى العلا ؟  
 وبم تهمس الروح القادمة من جنح الأسرار ؟  
 وماذا يروى قلب الانسان فى خلجاته الداخلية  
 بم حلمت تلك الأجيال الفخورة  
 التى شيدت هذه الحصون القوية عند حافة الصحراء  
 وما نتيحة حلمهم ؟

وبينما تراوده هذه التساؤلات ، غلبه الفعاس من جراء متاعب الحياة  
 ومشاق الطريق وأمتثالا لسكون المكان وهدوئه ، نام فى عالم آخر يختلف  
 عن عالم الانسان ، فربما يسمع همس الأجيال السابقة وهى تفكر فى  
 الخلود ، وربما تصل الى مسامعه أسرار أولئك الذين شيدوا أضخم وأبقى  
 صرح فى التاريخ الانسانى ، وبينما هو نائم أمام الاهرامات ، واذا  
 بالملوك الثلاثة بناة الاهرامات يستيقظون من سباتهم الطويل ويتجلون  
 أمامه بلباسهم الملكى ، فيردد فى نفسه ، أولئك الذين رفعوا اسم مصر فى  
 أنحاء الدنيا كلها وفى كل الأزمان ، أولئك زادوها قوة ، وسجدت عند  
 أقدامهم الكثير من الممالك والشعوب ، ولكنهم — بعد ذلك كله — آلوا الى  
 الموت ، ولم يكتب لهم الخلود ، وهامم يستيقظون ليجدون الأرض كما  
 هى ، ما زالت الاهرامات قابضة فوق الهضبة ، وما زالت النجوم لامعة  
 براقعة فى السماء ، حتى ظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم ، ويتحدث  
 كل منهم مع الآخر ، وينصت التائه لهذا الحديث الذى تناول فيه كل ملك  
 انجازاته وانتصاراته ، ثم يتساءلون عما اذا كانوا قد نجحوا فى التغلب  
 على الزمن ومشاكله وعلى التغيرات التى تطرأ عليه حيناً بعد حين ، وعما  
 اذا كانوا قد نجوا من الفناء ، وهو عنصر رئيسى فى الحياة ، ولكنهم لم  
 يستطيعوا الوصول الى اجابة شافية ، فأيقظوا الكهنة وجماهير الشعب  
 وجنود الجيش عليهم يستطيعون الاجابة ، ولكن دون جدوى ، وفجأة يبرق  
 ضوء شديد وتصدح الأجراس بموسيقاها الصاخبة ويظهر اخفائون ،  
 فيثور الكهنة والملوك فى وجهه ويتهمونه بالكفر والالحاد وتحنيسه لشريعة  
 آبائهم وأجدادهم وانتهاكه لكل مقدساتهم بالديانة التى نشرها بين أبناء

الشعب في عصره ، ثم ينصرف الجميع عنه ، ولكنه يهدىء من روعهم جميعاً حين اعترف بأن كل شيء مآل إلى الموت ، وأنه لا جدوى من خصام يعكر صفو النفوس القاسية تحت الثرى ، ويقول :

אַל-נָא אֵל-נָנוּ בְחַמַּת קְנֵאֲחֶכֶם תְּהַדְסֵנוּ  
 لَا כְּאֲחֵי לָרִיב עִמָּכֶם - וְמָה עֵי נָרִיב?  
 הָאִם לֹא אֶחָד הֵעֲרָל, מָצָא גַם אֲחֶכֶם  
 גַּם אוֹתִיו לֹא עָכְרָע אִישׁ אִישׁ כְּכָר דּוֹמָם אֶת-שַׁעַר  
 הַמַּעְרָב ١ -

(١٤)

للاترجمة :

لا • لا تصدوني بلهيب كراهيتكم  
 فأنا لم آت لأختصم معكم ، فما معنى أن نختصم ؟  
 ألم يلحقكم ذات المصير  
 الذي لحقني أيضاً ؟ ألم ننقل فرداً وراء الآخر إلى  
 الباب الغربى ( المقبرة ) (\*)

فيأمر خوفوا بقية الملوك والكهنة بأن يسمحوا لاختاتون بالحديث ،  
 فعساه أن يجيب على ما يراودهم من تساؤلات فشلوا جميعاً في التوصل  
 إلى إجابة عليها ، واسترسل اختاتون في حديثه حتى أجاب عنها جميعاً  
 إجابة ترضى المؤلف نفسه فيقول :

(\*) اعتاد المصريون - منذ القدم - أن يدفنوا موتاهم ناحية الغرب  
 حيث تغرب الشمس ، كإشارة لغروب الإنسان عن الدنيا .

מעולם ועד עולם. דור הולך ודור בא  
 וכל-דור וכל-איש נקלע ברכמה, קולע  
 במו-ידיו בה חלקו, אם מעט ואם רב.  
 אשרי האיש, קלע בה נפשו לתפארת!  
 עמד תעמד. התפארת הזאת לעולם  
 וכל יריעת החיים בקבודה תפכה.  
 אם גדול אם קטן חלקי, אחת ידעתי:  
 עבדתי באמתה, ומסעל חיי,  
 מסעל האמת, קים ועומד לעד.

(10)

من الأزل والى الأبد ، جيل يمضى وجيل يأتي  
 وكل جيل وكل فرد يشكل خطا في نسيج ، ويحدد  
 دوره بنفسه ، ان قليلا أو كثيرا  
 فطوبى للإنسان الذي جعل الجمال والمجد هدفا  
 فسوف يبقى هذا المجد الى الأبد  
 وسيوفره نسيج الحياة كلها  
 إذا كان دورى كبيرا أو صغيرا ، فذات مرة عرفت  
 أنني عملت باخلاص . وأن صنيع حياتي هو  
 صنيع الحقيقة ، قائم وباق الى الأبد

فاخناتون -- فى هذه المسرحية -- رمز لد التاريخ الانسانى وتعاقبه  
 وهو رمز للانسان فى كل مكان وزمان ، ذلك الانسان الذى يشكل حلقة فى



سلسلة طويلة هي عمر البشرية ، حلقة تصل ما قبلها بما بعدها ، وبدونها تنفصل السلسلة بعضها عن بعض ، ويتوقف اتصال الأجيال ، وما على الانسان في حياته الا أن يكمل ما بدأه سابقيه وورثه عنهم ، ثم يترك هذا الارث لمن بعده ليقوموا بدورهم باستكمالها ، وبهذا يكون الانسان قد شكل من نفسه حلقة اتصال بين الماضي والمستقبل ، بل يكون قد أدى دوره في تاريخ الجنس البشرى ، وهذا هو الخلود في رأى اخناتون •

والنتيجة التي توصل اليها اخناتون تتطوى على عزاء للانسان التائه الذي أتعبته دروب الحياة وأعيتة قضاياها ومشاكلها ، فلم ير فائدة فيما يبذله من مجهودات ومشاق ليحظى بذلك الخلود ، فالانسان يمضى ويفنى ولا يبقى له سوى أعماله التي ينفع بها الأجيال القادمة من بعده ، والتي سيذكره الناس عنى مر العصور من خلالها •

ومع بزوغ الفجر يستيقظ التائه من نومه ، فيتدأخل عليه الأمر فيما اذا كان ما رآه وسمعه حلما أم حقيقة فيقول :

חלום! וְעַם קָרִין-אֹרַח בְּקֶרֶן נִסְחָר וְאֵינִי.  
אִךְ יֵשׁ חֵלֹם-לְיִלָּה וְהָאֵלֶּם מִן הַיָּמִים...

(١٦)

لاترجمه :

حلم تلاشى مع أول خيط من الصباح ولم يعدله وجود  
ورب حلم فى الليل أكثر من علم فى الصباح

ثم يواصل التائه تجواله فى الدنيا ولكن بمنظور جديد ورؤية مغايرة استلهمها من القدماء المصريين الذين فكروا فى الخلود منذ فجر التاريخ ، وتركوا من الشواهد المادية ما يؤيد هذا الفكر •

وهكذا يشير الكاتب الى أن المصريين القدماء قد توصلوا — منذ آلاف السنين — الى ما يشغل الانسان حتى اليوم . لم لا يكتب للانسان الخلود ؟ وهل اذا مات لا يبقى له ذكر أو أثر ؟ وهى أفكار عالجتها الأديان — فيما بعد — من اتجاهات متعددة ركزت جميعها على خلود الاعمال وسرمدية الأرواح وفناء الجسد .

وقد ضمن يعقوب كاهان المسرحية بعضا من مفاخر ملوك مصر بانجازاتهم ، فيتحدث عن سفنهم التى مخرت عباب البحار ، وخيولهم التى دكت رمال الصحارى ، وقيادتهم التى جابتا لأرض طولاً وعرضاً ، وحضارتهم التى بهرت العالم شرقه وغربه ، فيقول :

אני, סחורע, זוני וזאזאי.  
בני לעי, אל האלים, ומקדשי רצוני,  
אשר פאלים משלנו, היכלי-ענקים  
הקימונו, נאון מסעלנו הרב יססרו.  
אנחנו את-שם מצרים הגדלנו, הרבינו  
חילה ועשרה, ראשונים גבולה פרצנו,  
ועל מרחבי ערב-לוב דאו סרשינו,  
ועד חוסי הקבנון טסינוחנו חקרו.

(١٧)

للاترجمة :

أنا سحورع ، أنا وذريتي  
سلالة رع ، اله الآلهة  
نحن الذين حكمنا كالألهة ، وشيدنا قصور اضخمه  
تتحدث عنا أمجادنا الكثيرة التى حققناها  
نحن الذين عظمنا اسم مصر ، وضاعفنا  
بأسها وثراءها ، وانطلقنا عبر حدودها الأولى  
وطار فرساننا الى صحراء ليبيا المترامية  
واقترحت سفننا البحر حتى حدود لبنان

ثم يقول على لسان تحتّمس :

מְנַשֵּׁר אֶדִיד כְּנָסִי הֶרְחֵבֹת פְּרָשָׁתִי  
מִנֶּשֶׁשׁ וְעַד גְּדֹחַ פָּרַת. עֲמִים כָּרְעוּ  
לְרַגְלִי, עָרִים נִסְלוּ. יָם גָּבֹל הַחֲמִים,  
מִבְּצָר־אֲפִירִים קָרַשׁ, לִסְנִי וְשִׁפְרִי.

(١٨)

كنت كنسر قوى بسط جناحيه العريضين  
الكوشيين وحتى ضفاف الفرات • ركعت شعوب  
عند قدماي ، وسقطت مدن • وحدود الحيثيين  
التي كانت حصنا لفرسان قادش ، تهاوت أمامي •

ويقول على لسان رمسيس :

מִקָּל הַמִּלְכִּים לִסְנִי הָאֲרָכָתִי יָמִים  
עַל כִּסְאִי, מִקְדָּשִׁים וּמִצֻּדֹת לְבָנוֹת הַרְצִיתִי  
מִקָּל הַמִּלְכִּים, אֲנִי, רַעַמְסֵס הַגָּדֹל,  
בְּחִיר־הַבְּחִירִים לְאֶמֶן. הָיוּ לִבִּי יָמִי  
יָמִי זֶהָר שֹׁקֵט וְעַל וְשָׁלוֹם לְמִצְרַיִם!

(١٩)

عن كل الملوك الذين سبقوني ، طالت أيام  
حكمي ، فأكثر من تشييد الهياكل والقلاع  
أكثر من سائر الملوك ، أنا رمسيس العظيم  
أحب خلان آمون ، كانت معظم أيامي  
أشراقا وهدوءا وقوة وسلاما على مصر



فيرد خوفو عليهم جميعا قائلا :

אֲכֹן הִגְדַּלְתֶּם עֲשָׂה, מְלָכִים אֲדִירִים!  
עוֹד לְדוֹר אַחֲרָיו יִסְפֹּר סִפְרָתְכֶם עַל אֶרֶץ.  
(٢٠)

لاترجمه :

حقا ، لقد أحسنتم العمل أيها الملوك الاجلاء  
ولسوف تظل أعمالكم تروى على الأرض حتى الجيل الأخير

ومن الحق أن نقول ان يعقوب كاهان قد بذل جهدا كبيرا ليغوص في  
اغوار التاريخ المصري ، في الأسماء ودلالاتها وألقابها وخصائصها الدينية  
والسياسية والاجتماعية ، حتى انه أورد في بداية المسرحية قائمة  
بالشخصيات المشتركة فيها ووظيفة كل شخصية منها في في مسيرة  
التاريخ المصري ودورها في ارساء أسس الحضارة الانسانية ، ثم  
أضفى على ذلك كله من نظريته الفلسفية الذاتية الجردة ، فخرجت المسرحية  
على هذا النحو من الجودة .

ولا يقتصر ذكر مصر الفرعونية على مسرحية يعقوب كاهان ومقالات  
آحاد هاعام ، ولكنه يمتد الى كثير من الأعمال الأدبية العبرية في العصر  
الحديث ، فيأتي أحيانا كموضوع رئيس يدور العمل الأدبي كله حولها ،  
كما يأتي - أحيانا أخرى - كموضوع ثانوي لا يشكل بنية أساسية في  
هذا العمل ، وعلى أية حال فحين تذكر مصر الفرعونية كموضوع أساسي  
أو ثانوي ، فإنها تذكر بالتقريب والانبهار .

واذا كانت فكرتا الموت والخلود هما الشاغل الأكبر للإنسان «المتجول»  
في مسرحية يعقوب كاهان ، فإنهما عند يهودا عميحاي (٣١) עמיחי

في قصته 7207 7K10X2 سد اسوان» (٣٣) شكلتا أيضا الموضوع الرئيسي في القصة ، فكيف يتأتى لأديب مثل عميحاي أن يكون بجانب آثار الفراعين في صعيد مصر ولا تسيطر على وجدانه فكرتا الموت والخلود ؟

فقد وفد عميحاي الى مصر عام ١٩٤٢ ضمن جنود الجيش الانجليزي في الحرب العالمية الثانية ، ومكث فيها لمدة عامين للاشتراك في معركة العلمين ، وهي فترة استطاع خلالها أن يتحرر من اطلاعاته والممه بتاريخ الأدب العبري ، مما ساعد على صقل شخصيته الأدبية . وقد عبر عن ذلك عميحاي نفسه في مقابلة أجرتها معه مجلة بروزا 7275 |  
الاسرائيلية (٣٣) حيث قال : « في تلك السنة ١٩٤٢ كان الألمان يقتربون من منطقة العلمين المصرية ، وكانت ثورة رشيد على الكبرى في العراق ، وكان الاحساس بالاختناق يسيطر على وجدان مواطني فلسطين ، وتم انضمامي للجيش البريطاني ، كما تم توزيعي على مصر » (٣٤) . . . ثم يضيف — بعد ذلك — قائلا :

« مكثت في مصر لمدة عامين ، لم تكن هناك حرب ، وكانت كل أعمالي تتركز في تهريب السلاح لجماعة الهجاء في فلسطين . وفي تلك الفترة ترددت كثيرا على المكتبة الخاصة بنادي الجنود اليهود في مصر ، فقرأت الكثير عن الأدب العبري . . . . قرأت كل ما وصل الي من كتب ، وبذلك اطلعت على معظم آداب الهسكالا . . . وفي الحقيقة كانت فترة وجودي في مصر فرصة كبيرة انتهزتها في القراءة والاطلاع ليلا ونهارا . . » (٣٥)

وعود الى قصتنا « سد أسوان » حيث يظهر فيها عميحاي أحد ثلاثة يهود انضموا للجيش الانجليزي في الحرب العالمية الثانية ، وقد قدر لهم أن يلتحقوا باحدى الوحدات القتالية في مصر ، وكان ثلاثتهم يعملون بالطبوغرافيا العسكرية حيث يقومون بتحديد الاتجاهات الأساسية وتوضيح الظواهر الجغرافية التي تميز مناطق العمليات ، ثم يقطع عميحاي سير الأحداث وينتقل فجأة من الماضي الى الحاضر فيذكر أن أحدهم قد قتل بعد ذلك في حرب ١٩٤٨ ، بل انه لا يذكر

לה אסמא , وانما اكتفى بأن يكتيه بقوله « ذلك الذي قتل في حرب ١٩٤٨ » ،  
ثم يعود مرة أخرى الى أعماق ذكرياته ، فيروي أنهم انتهبوا فرصة  
وجودهم في مصر فقرروا القيام بجولة سياحية لرؤية معالمها ، فكيف  
يقدر لهم أن يكونوا في هذا البلد — الذي يفد اليه السائحون من كل  
حذب وصوب ليتمتعوا بطبيعته وآثاره القديمة — فلا ينضمون الى ذاك  
الركب الطويل من الزائرين •

לפנות ערב טיחנו במסדונות הארוכים והריקים של המלון  
הגדול. בימי הלום מהחלכים כאן רוזנים בינלאומיים. ועסירי  
עולם. ודוזקות זכירות אנגליות. שבאות לחיות את קסם העולם  
היקדום ואת הדבר, חידה שהן שהיות בסביבה מערבית, לשהק

(٢٦)

قبل أن يرخي الليل أستاره ، تجولنا في الدهاليز الطويلة الخاوية  
لذاك الصندوق الكبير • في زمن السلم يطوف هنا حكام دوليون ، وأغنياء  
العالم ، وفتيات انجليزيات ، جاعوا جميعا ليشعروا بسحر العالم القديم  
وليحسوا بالصحراء •

وبالفعل بدأوا رحلتهم من مغاراتهم وخنادقهم « التي بنيت من  
حجارة الأهرام » (٢٧) ، واستقلوا القطار الى مصر العليا ، « الى حيث  
يربض أبطال العالم القديم » (٢٨) • وأثناء ذلك تعرفوا على فتاتين  
انجليزيتين فراققوهما أثناء الرحلة ، حتى وصلوا الى « وادي الملوك »  
فاستهوته آثارهم وآثارت انتباهته فقال في مشهد لأحد التماثيل  
الفرعونية :

הצללים היו יחיקים כבשליכחם. לגברים היה זקן מלבני  
וארוך כדבק בסנטרם. הנשים היו מדגיעות אותם. כלד אחד  
ישב והחזיק בידו את כפתח החיים. מאחורי עמדה אשתו  
הגמישה והענישה אותה. נדמה היה. כי אם לא היתה עושרת  
מאחוריו וניעה כלפי גופו ונבעת בו בקצה אצבעותיה, כשאצ-  
בעות ידו השנייה נתונות כבשקטות על שפהיה, היה אותו  
רעמסס אכזר מהפדז והורג בפסו כל חבא אל ידו.

(٢٩)



« كانت الظلال قديمة كأصحابها ، كان للرجال لحى مستطية  
تلتصق في أذقانهم ، وكان النساء يلاطفنهم . ويجلس أحد الملوك ممسكا  
في يده بمفتاح الحياة ، بينما تقف خلفه زوجته لتخفف عنه وتلاطفه .  
وبدا أنها ان لم تقف خلفه وتميل نحو جسده ولامسته بأطراف أناملها  
بينما ترسل يدها الأخرى على شفاها لتسكتها ، فان رمسيس القاسى  
سينفجر ويقتل بغضبه كل من تصل اليه يده » ..

ولا يفوتنا ما ترمى اليه عبارته « مفتاح الحياة » فى العبارة السابقة ،  
وعلاقتها بفكرة الموت والخلود ، فبالرغم من أن الملك يمسك به ، إلا أنه  
آل — فى النهاية — الى الموت ، وبات أمامنا أثرا بعد عين ..

ثم يقول عن تعبد الملكة حتشبسوت :

لְבַר־יָהּ כִּי־הָיָה בְּשָׂרָהּ־חַיִּים־עַל־הַמַּלְכָה חַתְשֶׁפְּסֻת.  
דָּבַר בְּבֵית־יְהוָה עוֹלָה בֶן־הַמְּלָכֹת וְהַמְּלָכִים הַדְּבָרָה אֲנִי  
בְּעֹלָמִית הַיָּד שְׂפֹרוֹת בַּשָּׁמַיִם כִּי־דָוִד בֶּן־יִשְׂרָאֵל בְּיָמָיו  
אֵלֶּה שֶׁבָּאֵן בְּכֹר־קֹדֶם הַבְּנִיִן הַצְּדִיקִים הַיְּהוּדִים הַזֵּה הַזֶּה־עַל  
אֶבֶן־זֶהֶת הַרְבֵּעִתָּה נִרְאָה שְׁתֵּי יָדָיו הַחַיִּים־עַל־הַיָּדָיִם הַזֵּה  
הַזֶּה־עַל־הַיָּד הַזֹּאת הַיְּדִיקָה אֵל־הַשַּׁעֲרָה הַלְּבָנִיתָה  
בְּשִׁמְרָתָהּ עַל־לִבָּהּ בְּרִשְׁתָּהּ הַלְּבָנִיתָה

(٣٠)

« فى الصباح زرنا المعبد الصخرى للملكة حتشبسوت ، سلسلة  
شاهقة الارتفاع تصعد من النيل عند قواعد المعبد . وأحجار مدهشة  
كانت بتأثر على المنطقة ، كأنها كلمات فى رأس شاعر .. ولكن هنا أصبح  
المبنى قديما ، ولحق الدمار بالملحق وما يقع خلفه . وفوق أحد الأحجار  
المربعة ظهرت يدان تمسكان بأصيص زينتته نقوش بارزة حتى منتصفه ،  
أمسكت إحدى اليدين الأصيص من أسفل ، أما الثانية فكانها تحرس  
شعلة نار حتى لا تنطفىء » .

أما الشعلة التي تحرص اليدان على عدم اطفائها ، فهي تشير الى  
الحرص على الحياة والخلود ، ولكنها انطفأت فى النهاية كما ينطفىء  
كل شئ ويؤول الى نهاية .

وبعد أن تنتهى الرحلة ، يعودون جميعا الى القاهرة ، فيفترقون عن  
عن البتاتين الانجليزيتين ويذهبون الى خنادقهم . . .

ومن يقرأ القصة مليا يدرك أن عميحاي قد شغله موضوع الموت ،  
وهو ما اشتهر به فى انتاجه الأدبى بشكل عام (٣١) ، فقد استهل قصته بالحديث  
عن رفيقه الذى قتل فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وحين استقل القطار  
مسافرا الى صعيد مصر أسهب فى وصف المقابر التي صادفته فى  
الطريق ، كما أنه أصر على الذهاب الى وادى الملوك ومدينة الموتى ،  
وأفاض فى وصفهما ، وحين اتقى وآثار البراعنة فى الاقصر كان يفكر فى  
الموت الذى مضى متمثلا فى أولئك الملوك ومن دفن معهم تحت الثرى ، بيد  
أن تفكيره فى الموت — هذه المرة — كان مبعثه فشل هؤلاء الملوك فى الفوز  
بالخلود ومآلهم فى النهاية — الى الموت ، وبعد ذلك كله نجده يفكر فى  
الموت القادم له نفسه فيرمز الى ذلك بقوله :

וכן גם ישבנו בספינת. מנחת-העם. הגדולה כשבואה היום  
כיום שהיום גמלים הא מנדו כאחד-יו יוכה-גית של עבר, אלא  
זכרונות של עתיד, שהפרדו בנינו. כי ידענו שלא נישאר  
יחדיו. ידי היו מונחות זו על זו, עד האמן נשארה על כנה  
אשת האמן שעל הקבר.

(٣٢)

« جلسنا وقتا طويلا فى الشرفه . كانت الشعلة البترولية تتحرك كلما  
داهمتها الرياح . ونظرا لأننا كنا صغارا ، فأننا لم ندخر ذكريات من  
الماضى وراءنا ، بل ذكريات المستقبل التي فرققت فيما بيننا ، لأننا أدركنا  
أننا لن نبقى معا . كانت يداى ملقاة احدهما فوق الأخرى ، واليد الحجرية  
ما زالت باقية على المرأة الحجرية التي فوق المقبرة » .

فعميحاي استهواه الحديث عن الموت وجلاله وماك الانسان اليه ، فراح يذكر به القارىء كلما وجد فرصة لذلك ، وقد ساعده على ذلك الجو العام الذى تدور القصة حوله ، فقد أتى الى مصر محاربا يعرض نفسه للموت ، كما وجد فى مقابر الملوك ما يشبع رغبته ويحقق مأربه ويمده بأسانيده ودلائله ، حتى بعد أن انتهت الرحلة ، عاد الى مغارات الحروب وخنازقها ، فربط بين موت الماضى الذى شاهده فى آثار المصريين القدماء ، وموت الحاضر الذى تعيشه القوى المتحاربة فى الحرب العالمية الثانية ، وموت المستقبل الذى ينتظره ، فأحياء اليوم هم موتى الغد ، وعالم الموتى بات مختلطا بدنيا الأحياء الذين يعيشون فى مقابر الملوك فى الكرنك .

وها هى باتيا كهانا (٣٣) כהן כהן تحكى فى احدى قصصها بعنوان ספריו أبو الهول — عن أمجاد فراعين مصر التى يتضاءل أمامها — كما قالت — أى مجد حققته الأجيال الحديثة فى العالم كله (٣٤) . والقصة المذكورة هى احدى قصص المجموعة التى تحمل عنوان ספריו עץ ההדר عند ازدهار شجرة الحمضيات ، والتى تجرى أحداثها أثناء الهجرة الثالثة ، وتدور حول حياة أسرة مكونة من الزوجين « رنا » و « أوريل » وابتنتهما راعوث وأم الزوج . ثم يدخل على هذه الأسرة دافيد جروس ، وهو صديق « رنا » منذ الطفولة ، ويتسم « بدماثة الخلق » وثرء العيش ، فيحاول أن يقنعها بالذهاب معه بعيداً عن المستعمرة التى تعيش فيها وتمارس أعمالاً شاقة كى تحصل على قوت يومها ، ووعداها أن يوفر لها حياة يسيرة دون تعب ودون بذل أى مجهود ، وفى نهاية القصة ترفض « رنا » ويفشل دافيد جروس فى اغرائها ، فعادت الى زوجها وعملها الذى كانت تمارسه فى المستعمرة . وكان دافيد جروس يحكى لها — على سبيل الاغراء — بعضاً من القصص التى وقعت أحداثها فى مختلف مدن العالم ، وفى اطار هذه القصص حكى عن مصر قصة « أبو الهول » وهى تدور حول رغبة سائح فى زيارة « أبو الهول » بعد أن زار متحف الآثار المصرية والأهرامات الثلاثة ، وبينما كان فى طريقه لتحقيق ذلك التقت به احدى النساء فتناولوا عبارات الاعجاب ونظرات الهوى ، وركنا الى أحد المنازل ونسى هدفه الرئيسى من الذهاب الى هضبة الأهرام ، وبالقالى لم تتحقق



له أمنيته التي راودته بزيارة « أبو الهول » ، وفي نهاية القصة تربط  
الكاتبة بين السر الذي تحمله هذه السيدة والسر الذي يحمله «أبو الهول»  
والذي لم يفصح كل منهما عنه .

والقاري ، للقصة يكتشف — من الوهلة الأولى — أن الكاتبة لا تقصد  
سرد الأحداث — في حد ذاتها — بقدر ما كانت ترمي الى وصف مشاعرها  
وأحاسيسها عند رؤية كل أثر من آثار هؤلاء الفراعين العظام ، فهي  
تستهل القصة بقولها :

— הבא למצרים ואינו רואה את הספינקס למי הוא דומה ? למתארח  
בבית ואינו רואה את בעליו, או לעובר ביער ואינו רואה את העצים,  
ואכן, בביקורי הקצר בקתור של מצרים, הלכתי לראות את חידת  
חדרות שלה, את הספינקס.

(٢٥)

بم تشبه ذلك الذي قدم الى مصر فلم ير « أبو الهول » ؟ انه يشبه  
ذلك الضيف الذي حل ببيت فلم ير أصحابه ، أو ذلك الذي مر بغابة فلم  
ير أشجارها ، ولذا ففي زيارتي القصيرة لقاهرة مصر ذهبت لأرى لغز  
أجيالها « أبو الهول » .

فأبو الهول — في رأيها راعي هذه المنطقة وحاميها ، وهو وحده  
الذي يملك أن يبوح بأسرار الأقدمين ومكنوناتهم التي واروها معهم  
تحت ثرى مصر ، وهو الذي دافع عن هذه الهضبة وتصدى لكل الهجمات  
والغزوات الشرسة التي كانت تستهدف الأهرامات وما يحيط بها من كنوز  
وما تكتنزه من أسرار .

ثم تبت مشاعرها وأحاسيسها حين زارت متحف الآثار فتقول :

— סיירתי את בית-הנכות סיוור חסות, הסתכלתי בפסלים ענקיים  
ובסניהם חוצירים, ביקרתי גם את מלכי מצרים במחלקת העליונה,  
חם קיבלוני בסבר פנים יפות ושקטות, כמנהגם משנות-קדם. הסאר  
העתיק הקסימני חלציבני : כי ידיעותינו במדעים המדויקים במלאכה,  
באמנות, בסכניק — מה חמה לעומת חסוד הגדול, סוד החניטה, שהעם  
חוז תורידו אתו לקברו ?

(٢٦)

... من جولة خاطفة ، فرأيت تماثيل ضخمة يركض  
 أمامها ... زرت أيضا ملوك مصر - في الجناح العلوي -  
 فاستقبلني بوجهه بشوش جميل هادئ ، كماداتهم منذ العصور القديمة .  
 استأنف ... القديم يلبي كما آتسى أيضا : لأنه ما قيمة ما نعرفه من  
 معلومات ، نتيجة في الصناعة والفن والتكنولوجيا إذا ما قورنت بهذا السر  
 العظيم . سر التحنيط ، الذي وراه هذا الشعب في قبره ؟ »

فالكاتبة تعبر عن انبهارها بما وصل اليه المصريون القدماء  
 منذ آلاف السنين - من علوم ومعارف تفوق ما وصل اليه العالم  
 كله من علوم حديثة في كل ميادين الحياة ، وكفاها أن العالم الحديث  
 - بما وصل اليه من نظرات واختراعات واكتشافات - لم يستطع  
 الوصول الى سر التحنيط الذي دفنه ملوك مصر . معهم في مقابرهم .  
 وبرغم ما وصل اليه هؤلاء العمالقة من تقدم حضارى - كان يمكن  
 أن يكون باعثا على الكبرياء والغرور - الا أنهم اتسموا بالتواضع ،  
 فقد استقبلها هؤلاء الملوك « بوجه بشوش جميل هادئ كماداتهم منذ  
 العصور القديمة »

ثم تتوقف الكاتبة عند التابوت الزجاجي الذي تسجى فيه مومياء  
 رمسيس الثاني ، فتتنظر اليه مليا وتتحدث الى نفسها بصوت غير  
 مسموع فنقول :

« قلب طوعت عمدتي לפני أروني حوكني » شبنو شون فرعة ، رع مسس  
 هسني ، مراهك سني المصومسكس اعنو ممحدي . رن بون رنلو التمسور  
 مשהو ، والتكريكس عكوشس لمحضه . حوه فرعه הגדול התאביר ، המדביר  
 עמים וארצות : הדרו האריך ימים בצורת הגופה החנוטה .  
 (٢٧)

« وقفت بقلب يخفق أمام الصندوق الزجاجي المسجى فيه الفرعون  
 رمسيس الثاني ، لم يفرغني منظر وجهه الجاف . فقط ابهام قدمه  
 المفتت قليلا والأربطة المتعفنه بشكل جزئي . هل هذا هو الفرعون  
 العظيم الجبار الذي أخضع شعوبا ودولا ؟ ها هو مجده يستمر طويلا  
 في صورة الجسد المحنط »

فأمجاد الفراعين كتبت لها الحياة من خلال تلك المومياوات  
العديدة التي تترخر بها متاحف الآثار في مصر ، ومن خلال ما تركوا من  
آثار تبهر العالم كله ، ثم تصل الكاتبة الى ذروة مشاعرها الذاتية  
فتقول :

”בן-אדם, כח אתה ומה ערכך למראה כל זה? הכל ורעות-דרות ומה  
תכלית לגופך לאחר מותך?”

(٣٨)

« يا ابن آدم ، من أنت وما هي قيمتك حين ترى كل هذا ؟ باطل  
وهباء . وما هو مصير جسدك بعد وفاتك ؟ » .

وهكذا توصلت باتيالكهانا الى ما سبق أن توصل اليه يعقوب كاهن  
من خلال الحضارة المصرية القديمة ، جسد الانسان زائل وعمله باق  
الى الأبد .

وعلى أية حال فان احساس باتيالكهانا بتساؤل الحضارة الحديثة  
أمام الحضارة المصرية هو احساس سائد بين معظم الأدباء العبريين ،  
شأنهم في ذلك شأن معظم أدباء العالم وعلمائه ، فمثلا دبوراً بارون  
דבורה טארן تعبر - في قصتها (\*\*) المنفيون הגולים - عن هذا  
الاتجاه مباشرة فتقول :

מנחם גוט, עד, שהאחרים התעסקו בכל אלה, הלך ומצא לו  
אבן ליד אחד החלים וחישב עליה. מכיון היה ומבוטל בעיני  
עצמו לבין ענקי-עולם אלה שמסביב.

(٣٩)

« وفي الوقت الذي انشغل فيه الآخرون بهذه الأمور ، ذهب مناحم  
جوت فوجد حجراً بالقرب من أحد القتال وجلس عليه ، جلس منكمشاً  
واضعاً في اعتباره أنه شيء تافه أمام عمالقة الدنيا المحيطين به .

(\*) سنتناول هذه القصة بالتفصيل في الفصل الخاص بمصر في  
أدب الرحلات .



ويُنشد مصر الفرعونية بعداً آخر عند دافيد شمعون (٤٠) ٦٦٦  
 ١٨٦٦ - ١٩٥٧ وخاصة في قصيدة ספנסים « تماثيل  
 أبي الهول » ، قد شاهد شمعون - بطريق الصدفة - تمثالين لأبي  
 الهول في إحدى المساحات الفرنسية . فأخذ يشبه « الأمة اليهودية  
 الإنسية في أوربا » بهذين التمثالين . فكلاهما اجتث من أرضه ووضع في  
 أرض غريبة عنه !! ، وكلاهما يحمل في داخله شمس الشرق الدافئة ،  
 ورغم ذلك يعاني من برد الشمال القارس يقول الشاعر .

מגדנת נילוס

מדברוני המדבר הלוחס

הובלו שי הענקים הפלאים

אלי גלי הצפון הנרגה

יומם גולים ערירים כמוני

המה שקועים בערפל מות

(٤١)

من ضفاف النيل

من حرارة الصحارى الملتهبة

نقل العماليق المدهشين هدية

الى أطلال الشمال الكتيب

يقضون نهارهم في عزلة مثلى

ويغوصون في ضباب الموت

وهذان التمثالان لم يستطيعا أن يأتلفا ويتكيفا بالبيئة الجديدة ،  
 ويئنان من وحشة الغربة ويتوقعان للعودة الى أحضان الأرض الأم ،  
 فيشكوان حالهما كما يشكو بنو اسرائيل . فكلاهما - حسب رأى  
 الشاعر - اجتث من أرضه ووضع في أرض الغرباء ، وهو تشبيه لم  
 يسبقه أحد في استخدامه .

وهكذا ذكرت مصر الفرعونية بالتقريز والاعجاب ، ولم يعثر أدباء  
العبرية فيها على ما يعينهم على تصويرها بالصور السلبيّة ، حسبهم في  
ذلك ما تضمنته العديد من المؤلفات العلمية والأدبية العالمية اطراء ومديحا  
لهذه الحضارة التي وقف العالم أمامها — وما زال يقف — مشدوها بها  
وبما وصلت اليه منذ آلاف السنين ، حتى بات بعض أدباء العبرية يشبه  
بنى اسرائيل بأبى الهول ، وهو تشبيه لم يكن الشاعر ليقوله الا اذا كان  
المشبه به يسمو بقدره وفكره الى مرتبه « شعب الله المختار » !! وهو  
ما يعكس انبهار الشاعر واجلاله لهذه الحضارات العريقة .

\* \* \*

## الفصل الثالث

### ١٠ مصر والمنفى

توصف مصر بهذه الصورة حين يتعرض بنو اسرائيل لأزمات أو تحل بهم مصائب أو كوارث أو يحيق بهم اضطهاد ، وتوصف مصر في هذا الاتجاه على أنها عدو قديم جبل على تدبير المكائد والمؤامرات لكي يفتك بالاسرائيليين ويلقى بهم بعيدا عن « أرضهم ووطنهم » ، وهم في ذلك متأثرون بما قُبِعَ في أذهانهم عن مصر التوراتية وما ترسخ في فكرهم بأن من يتعرض لهم بالشر أو التنكيل سيقسم الله ظهره ويبلوه بعظائم الأمور ! فكانما صارت لهؤلاء القوم « لعنة » تحل بكل من يحاول التصدي لأفكارهم العنصرية أو سلوكياتهم المتفردة ، وهي لعنة — أدعت توارثهم — أنها حلت بمصر والمصريين أبان عصر موسى ، حيث أصيبوا بعشر ضربات أو لعنات أنزلها الله عليهم « يهو » . على المصريين كي يمثلوا لتعاليم موسى وهكذا باتت مصر رمزا مجسدا للاضطهاد والتنكيل ، وبات كل ما يتعرضون له من نكبات وكوارث تكرارا لما لحق بهم في مصر أثناء موسى ، وصارت مصر قالبا تتكرر — من خلاله — أحداث الاضطهاد وأحداث العقاب والتقويم أيضا ، فما حل بمصر من كوارث ولعنات نتيجة عصيانها لتعاليم موسى سيحل أيضا بكل أمة أو شعب يعصى مطالب بنو اسرائيل أو ياكل بهم !!

وهكذا كثر تصوير مصر بهذه الصفات في أعقاب المذابح الروسية التي تعرض لها اليهود في ثمانينات القرن الماضي <sup>(١)</sup> ، وكذلك في أعقاب قيام السلطات التركية بطرد بعض اليهود من تل أبيب أثناء الحرب العالمية الأولى <sup>(٢)</sup> ، كما اشتدت هذه الصور ريوخا أثناء الاضطهاد النازي لهم في ثلاثينات هذا القرن <sup>(٣)</sup> ، وكذا في أعقاب الثورة العربية في فلسطين عام ١٩٣٦ ، وغير ذلك من الأحداث التي ليس لمصر أي دور فيها ، فما بالنا بالأحداث التي لعبت فيها مصر دورا رئيسيا ورائدا بدءا



من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م ومروراً بحربى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ونهاية  
بملحمة أكتوبر الخالدة ، هذه الحروب التى خاضتها مصر قائدة لأمتها  
العربية ودفاعاً عن أرضها وحققها فى الحياة ، والتى ما خاضتها الا لكى  
يسود العدل والسلام فى المنطقة ، ماذا نزن بصورة مصر فى الأدب  
العبرى بعد هذه الأحداث وغيرها : لا شك أن الصورة تصبح أكثر ظلاماً  
واظلاماً .

وقد أثر الأدباء الذين يتناولون مصر بهذه الصورة أن يتبعوا  
الرمزية فى كتاباتهم ، فبعض الأدباء يرى أنه بدلاً من أن يتناول الكارثة  
التى يتعرض لها من منطلق واقعها الملموس ودوافعها الحقيقية — مما قد  
يضاعف اضطهاده — فإنه يهرب الى الرمز ، فعساه أن يعبر عما يريد  
دونما عنق أو تمكيل ، فينقل الكارثة الى غير زمانها أو مكانها ، وبذلك  
يطلق لقلمه حرية التعبير دون خوف أو فزع ، ولولا ذلك لما استطاع أى من  
هؤلاء الأدباء أن يعبر — أثناء حكم منتر مثلاً — عن أحاسيس اليهود  
ازاء ما حل بهم من نكبات وكوارث ، ولو فعل لكان نصيبه من الاضطهاد  
أشد وأعنف ، ولذا فهو يخلق بالكارثة بعيداً عن مكانها وزمانها ، الى مصر  
القديمة ، ليقول ما يريد . ولذا اقتصر ذكر مصر على هذا النحو فى  
الأدب الرمزي الذى يؤمن بأن الحقيقة يجب أن تكون باطنه خفية ، وبأن  
المشاهد الواقعية فى المجتمع ليست الألوان من التمويه والتلميح خاصة  
حين تهدد الملمات أديب الواقعية اذا التزم بالحقيقة الماثلة .

واذا أردنا أمثلة على ذلك ، فإن « قصائد ضربات مصر » מכות מדינת

التى نظمها ناتان الترمان<sup>(٤)</sup> נחמן אלחנן ستكون أكثر الأمثلة  
توضيحاً لمقصدنا ، فقد استلهم الشاعر أحداثاً قديمة وقعت فى مصر فى  
عصر موسى — طبقاً لما ورد فى التوراة — وجعل منها أحداثاً تقع فى  
العصر الحديث .

واذا أردنا بلوغ مدركات الشاعر والوقوف على مقاصده فيما نظم  
من قصائد ، يجدر بنا أن نعطي لمحة سريعة عن الخلفية التاريخية

لذلك الضربات التي تتسلل ما تويها في لغتها هي عند هؤلاء ، فالمقصود بضربات مصر — في القصيدة — هي تلك الحوادث التي حاقت بمصر والمصريين ابان عصر موسى طبقا لما ورد في سفر الخروج ، وفي أكثر الأحوال المذكورة فان هذه الضربات ما هي الا وباء أو مرض أصاب المصريين ، ويبلغ عدد هذه الضربات عشر ضربات ، شملت البلاد كلها عقابا على عدم امتثال مصر لمطالب موسى وتعاليمه ، وكانت كل ضربة من هذه تحدث في أعقاب كل مطلب لموسى ، وبذا يكون موسى بدوره قد كرر مطلبه عشر مرات ، وأولى هذه الضربات هي حادثة تحويل مياه النيل الى دم أو شيء مثيل له ( الخروج ٧ : ١٤ — ٢٥ ) والثانية ضربة الضفادع التي انتشرت في كل مكان في مصر فالتهمت خيرها كله ( الخروج ٨ : ١ — ١٥ ) والثالثة ضربة البعوض ( الخروج ٨ : ١٦ — ١٩ ) والرابعة ضربة الدباب ( الخروج ٨ : ٢٠ — ٣٢ ) والخامسة الوباء الذي لحق بالحيوانات فنفق معظمها ( الخروج ٩ : ١ — ٧ ) والسادسة ضربة الدمل والتقيحات التي أتت على الانسان والحيوان ( الخروج ٩ : ٨ — ١٢ ) والسابعة ضربة البرد ( الخروج ٩ : ١٣ — ٣٥ ) والثامنة ضربة الجراد الذي أتى على كل شيء ( الخروج ١٠ : ١ — ٢٠ ) والتاسعة ضربة الظلام ( الخروج ١٠ : ٢١ — ٢٩ ) والعاشر موت الأبنوك ( الخروج ١١ : ١ — ١٢ : ٣ ) . وطبقا لما ورد في التوراة ، فان كل ضربة من هذه الضربات كانت تلحق بمصر حكما ومحكومين في أعقاب رفض كل مطلب من مطالب موسى .

وقد استلهم ناثان الترمز الأحداث السابقة — وهي من قبيل الثقافة المتوارثة — ونظم منها قصيدته وهي من القصائد التي يطلق عليها بالاداء (١١١١١) (\*) وتخيّل هذه الأحداث وكأنها لا مفر واقع

(\*) البالادا : هي قصيدة شعبية صالحة للغناء ، وغالبا ما يستند موضوعها من أحداث التاريخ ، وهي تهتم بإبراز النواحي الدرامية في هذا التاريخ ، كما تكشف عن صراع الانسان مع نفسه ومع المحيطين به . والفرق بينها وبين الملحمة ان البالادا صورة قصصية شعرية تتسم بالتركيز وأحيانا بالتعقيد ، بينها تهتم الملحمة بالحديث عن الأبطال والبطولة في المعارك والحروب بأسلوب يؤدي الى الملل أحيانا ، وبأسلوب ساذج وخال من كل تركيز أو تعقيد .

على الانسانية كلها فى العصر الحديث نظرا لما اقترفته مع اليهود من آثام  
شبيهة بما ارتكبه المصريون مع موسى وقومه<sup>(١١)</sup>

ويقسم ايلي شافيد<sup>(٥)</sup> 777 777 القصائد التي تتناول  
الثقافات الموروثة الى قسمين : نوع يمكن ادراك مغزاه ومضمونه عند  
قراءته منفردا لأول مرة ، ونوع آخر لا يمكن ادراك مقاصده ومضامينه  
الا فى اطار مجموعة متكاملة من القصائد تقرأ بشكل كلى من بدايتها حتى  
نهايتها، وبمعنى آخر فان هناك قصيدة يمكن فهمها فى اطارها الخاص والمحدد  
بينما هناك قصيدة أخرى لا يمكن فهمها الا فى اطارها العام وخطوطها  
العريضة مرتبطه ببعض القصائد الأخرى . ويتميز البوع الأخير بنزوعه  
الشديد الى الرمزية والتمويه ، وتنتمى قصائد ضربات مصر — التي  
نحن بصددنا الآن — الى هذا النوع . فاذا قرأنا كل قصيدة منها منفردة  
لبدت غامضة مبهمه ، بينما اذا قرأناها مرتبطة بما بعدها من قصائد لزال  
هذا الغموض واتضحت المعانى وتجلى المقصد .

وقد أجمع معظم المنقاد<sup>(٦)</sup> على أن ألترمان قد نظم هذه القصائد  
ابان الحرب العالمية الثانية ، فجاءت لتصور ويلاتها على الأمم والشعوب  
وما أحدثته من سفك لدماء الانسان على أنه انتقام من هذه الأمم  
والشعوب ، وعلى أن التاريخ يعيد نفسه لما فعلته هذه الشعوب مع اليهود،  
وهو انتقام يشبه الضربات العشر التي وقعت للمصريين القدماء فى عصر  
موسى . أما الدوافع الأساسية التي حدثت بالترمان أن يكتب هذه  
القصائد هي ما أحاط باليهود من أحداث فى تلك الحقبة ، فمع نشوب  
الحرب العالمية الثانية تفاقمت الأمور من جميع الاتجاهات ، فمن جهة  
كان الاضطهاد النازي يحكم قبضته على اليهود فى أوروبا ، وفى فلسطين  
احتدم الصراع بين الشعب العربى الفلسطينى والمنظمات اليهودية من  
ناحية، وبين هذه المنظمات وسلطات الانتداب البريطانى من ناحية أخرى .  
وكان على شاعر مثل الترممان أن يعبر عن موقفه تجاه تلك الأحداث جميعا  
فقرض هذه القصائد ، قرضها — كما تقول نورييت جوبرين<sup>(٧)</sup>  
لكى يعبر عن المحنة التي تمر بالانسان ، 777 777



الإنسان في كل مكان وفي كل الأجيال وخاصة جيل الحرب العالمية  
 الثانية ، حتى سذنية سفك الدماء . ثم انقياد لأركان المجتمع الأساسية  
 وفساد الشعب بتأثير السلطة وانتقامه من حكامه الذين أنزلوا به  
 حتى أنواع عذاب ، وفي النهاية يسود الدمار الذي المطلق . فالأساس  
 المستند هنا هو الاستعصرية والتكرار ، وما حدث للمصريين من انتقام  
 يحدث للعالم كله الآن . يحدث ماثلاً في ويلات الحرب الثانية وكوارثها  
 التي لم يفتت منها شعب من الشعوب . غنى القصيدة صعود من الضامن  
 التي العظم ومن الفرد إلى المجموع نقاشاعر يتخطى مشاعر « أنا »  
 الفردية واليهودية . ويصعد إلى الإنسانية جمعاء ، منها أياها ألا تنسى  
 ما فعلت تحيماً أو حديثاً حتى لا يتكرر لها ما حدث من مصائب « و ضربات »  
 متتالية تقف ضد مطالب اليهود وأمانهم ، وبذا يرتدى الحاضر ثوب  
 الماضي .

يقول أترمان مخاطباً مدينة نوآمون (١) في إحدى هذه القصائد ،  
 وعقولها في درب نوآمون :

نوحنا نوحنا نوحنا  
 نوحنا نوحنا نوحنا  
 نوحنا نوحنا نوحنا  
 نوحنا نوحنا نوحنا

(١) نوآمون . نو ، آمون نو : هي مدينة آمون ( الانصر الحالية ) .  
 وكانت تسمى طيبة في أيام الإمبراطورية المصرية ، وكانت طيبة قديماً معقل  
 للوطنية ومعبد الروح القومية ، خرج منها الثوار الوطنيون الأبطال الذين  
 طردوا الهكسوس الغزاة من مصر ، وجعلوا منها إمبراطورية عظيمة ،  
 ككهنس والرعاحسه العظام ، كما كانت العاصمة الدينية ومركز عبادة  
 « الشمس » عبادة آمون الذي أطلق اسمه عليها وأصبحت تعرف باسم  
 مدينة آمون .



וְכָל־יְהוָה וְכָל־הָאֱלֹהִים.

כִּי־הָיוּ־יְהוָה וְכָל־הָאֱלֹהִים

שֶׁיְהוָה שֶׁיְהוָה לְעַמּוֹ.

כִּי־לֹא־יָדָע־הָיָה־לְעַמּוֹ

אֵת־כִּי־לֹא־יָדָע־הָיָה־לְעַמּוֹ.

וְכָל־יְהוָה וְכָל־הָאֱלֹהִים

כִּי־לֹא־יָדָע־הָיָה־לְעַמּוֹ

כִּי־לֹא־יָדָע־הָיָה־לְעַמּוֹ

כִּי־לֹא־יָדָע־הָיָה־לְעַמּוֹ.

ومن التاج حتى بالى الأسمال

من بين القصص القديمة المتوارثة

تلتهب قصتك المنبوذة

كلّظي لا يمكن الدنو منه

تنهضين أنت من غابر الزمان

وذكر الذنوب والعقاب

فى لباس ملطخ بالدماء

نهضت ووقفت دون أن تتعفى

ووقفت فى بداية طرق الشعوب

فالشاعر فى هذه القصيدة يوقظ أحداث الماضى ، وهى أحداث كالنار المستعرة التى لا يمكن لأحد أن يقترب منها أو يتحمل لهيبها ، يوقظ مدينة آمون من سباتها العميق منذ غابر الزمان لتصبح رمزا حيا وتحذيرا دائما أمام الانسانية التى لا تستجيب لمطالب اليهود || رمزا للقتل والصلب والسقوط والسعير والدماء والعويل ، ثم يواصل خطابه الى المدينة قائلا :



את נל-ער לה-נצי הנצח  
הסוקרים נכסות נאי  
ערי-אל, די חובקת רצח,  
כה רואות את עצמן כרצח.

את נל-ער לערב ידכר,  
הנזקים אהלם על וכול,  
רוצחים אל תכל, קחכר,  
להדיי לה חנין הנזול.

להאיר לה בנרדח סריח  
ולקחוד לה בנרדח המון, -  
ועל כך נלקחת עריה.  
בבלידי, במכות אומן.

זו חזקה סונסים מתנים  
והדקים בה בבדל-בדל  
להוסיף על מכות מקרים  
זאת ענשו של מוסר-הכלל.

והקבץ אפססוף הסלח  
וקולר האדקה עמו  
לתלות בדדים נסלך  
ולקרקו מעוררי עצמו.

ובהכות על ראשים, באבן,  
האותות פוראו בסחוק,  
ובבטור לשח-כל, בתבן,  
אמתות פוראו בחזק --

الترجمة :

أنت تذكّار للضربة الغاضبة  
التي وصل صداها الى اليابس والماء  
ومدن الانسان اذا ما أغرقها الغضب  
فانها ترى نفسها اذا ما نظرت في مرآتك  
أنت أطلال شاهدة على الذباب والطاعون  
الذي نصب خيامه عند الحدود  
وخرج الى الدنيا أسرابا  
لتمثل أمامها مسرحية الانتقام  
لتظهر أمامها خيانة وزرائها

ولقد ظهر أمامها خيانة الشعب  
وبذا تنتشر الضياء على مدنها  
خانها شعله — بضربات آمون  
حينئذ حزم زعماءهم الدينيون خصورهم  
وخربوها بقطعة من عصا  
ليضيفوا الى ضربات مصر  
غضب الدرس المستفاد  
وتجمع غوغاء المنطقة  
يحملون قيود الاتهام الحديدية  
ليكبلوا بها الوزراء والملك  
بعد أن حلوها من أعناقهم  
وكأنها حجر يضرب على الرؤوس  
بدت المعجزات الساحرة  
وكثيران اضرمت فى قش  
بدت المعجزات الساحرة

فالشاعر يصرخ قائلاً بأن مدن العالم الحديث اذا ما حاق بها غضب  
اليهود فستصبح مثل مدينة آمون بلانها اذا نظرت الى مرآة (نو آمون)  
فلن ترى الا نفسها ، جزاء على ما اقترفته من ذنوب نو آمون ، فكان  
مدينة نو آمون قالب صبت فيه كل مدينة حديثة يضطهد فيها اليهود .

ويرمز الشاعر الى العصرين القديم والحديث بحوار يجرى بين أب  
وابنه ، يشكو فيه الابن مما يلاقيه من عنف واضطهاد وما يشهده من  
مظاهر الخراب والدمار فى المدن التى يعيش بين ظهرانيها ، فيرد عليه  
الأب مؤكداً أن هذا ما حدث فى غابر الزمان فى « نو آمون » ، ويقوم  
الأب بتفسير معنى كل ضربة ، والابن يبكى ويتوسل ، لكن كليهما — الأب  
والابن — مرتبط بهذا الواقع المرير وهما يهويان نحو الموت<sup>(١٠)</sup> ، وبهذا  
أعطى الترمان صفة الاستمرارية للدوافع التى أدت الى هذه الضربات<sup>(١١)</sup>  
يقول الشاعر :

אָבִי, אַיִן קִיז, אָבִי, אַיִן קִיז לִצֶמְאוֹן.  
 פּוֹכֵב גֵּרִים, בְּכוֹרִי, זוֹהָר עַל עֵיר אָמוֹן.  
 מִימִיָּה, אָבִי, קָמִים כָּאֵשׁ בְּכִדְיָהֶם.  
 דְּמִיָּה, בֶּן, סוּמִים וְאֵנִי בִידֵיָּהֶם.

אָבִי, אַיִן קִיז, אָבִי, לֵיל וְלֵיל וְלֵיל.  
 בְּלֵיל צִסְרֹדֶע, בֶּן, קוֹרֶסֶת עֵיר אָמוֹן.

אָבִי, אָבִי, דְּמִי בּוֹכִים בְּקוֹל הָמוֹן.  
 עֶסֶר הָאָרֶץ, בֶּן, סוֹרֵף אֶת עֵיר אָמוֹן.  
 לֵילָה גָדוֹל, אָבִי, דּוֹמֵם וְכֵל יְמוֹט  
 לֵיל נֶקְמוֹת, בְּכוֹרִי, גָדוֹל לֵיל נֶקְמוֹת.

(14)

الترجمة :

أبتى لا نهاية يا أبتى للظما  
 نجم الغرباء يا بنى يسطم فوق مدينة آمون  
 ماؤها يا أبتى يملأ قدورها وكأنه لظى  
 دماؤها يا بنى سامه ونحن تحت وطأتهم  
 أبتى لا نهاية يا أبتى للتوايح والبلاء  
 فى ليل الضفادع يا بنى تجثوا مدينة آمون  
 أبتى ، أبتى ، دمائى تبكى بصوت صاخب  
 أديم الأرض يا بنى يفترس مدينة آمون  
 ليلها طويل يا أبتى ، وصامت لا ينقشع  
 انه ليل الانتقام يا ولدى البكر ، ليل الانتقام طويل



وهكذا جعل الترميز من مصر رمزا سلبيا يدل على كل ما يتوقع حدوثه لشعوب العالم ، فدماء مضطهدين دماء سامه ، وماؤهم كالنيران لا تروى ظمأ ، ولذا فهم يعيشون في ظلام حالك لن يتبدد الا حين تجثو هذه الشعوب أمام الأجانب الذين سينتقمون منها مهما مر من الليالي .

ولم يكن دافيد شمعوني 1917-1927 أوفر حظا من أقرانه أدباء العبرية ، فقد سقط في نفس هوة الأوهام والخيالات التي سقطوا فيها وتوصلوا — من خلالها — الى نظريات ونتائج خاطئة من أساسها .

فقد اتخذت مصر في شعره صورة مخيفة تثير فيه الرعب والفرع كلما دنا منها ، فقد كتب شمعوني عام 1921 — وهو عام هجرته الى فلسطين بصفة نهائية — مجموعة من القصائد تحت عنوان 1925-1927 من صحراء الى صحراء ، تحدث فيها عن معاناته في رحلته الى فلسطين ، وصور هذه الرحلة على أنها انتقال من صحراء الى صحراء أخرى ، أو — بمعنى آخر — من صحراء أوروبا المقفرة الى صحراء يهوذا ، فقد بات العالم كله — بالنسبة لهم — صحراء .. وقد خص دافيد شمعوني مصر بقصيدة تحت عنوان 1927-1928 .

في ميناء بور سعيد ، استلهم فيها ماضي بني اسرائيل في مصر في عصر موسى وأشار الى أن العالم كله قد صار — بعد الحرب العالمية الأولى — صحراء مترامية الأطراف ، لا تقل في قسوتها وشقاؤها عن صحراء سيناء ، وان فترة الشقاء والبؤس — التي يعيشها بنو اسرائيل — قد امتدت الى أربعة آلاف سنة ، منذ خرجوا من مصر ، وهالهي النوائب تطل برأسها مرة أخرى ، ومن مصر أيضا ، ومن فوق قمة الاهرامات !! ثم يؤكد شمعوني في نهاية القصيدة على أن الصراع التاريخي بين المصريين وبني اسرائيل لن يشهد انفراجا ، فالشعب المصري ما زال مصافضا على خصائص أجداده من حيث ابتعاده عن الشفقة والرحمة ، وما يفعله الأجداد بفعله الأبناء ، ولذا « فالربط بين بحرين أسهل كثيرا من التقريب بين قلبين ، والطريق من البحر المتوسط الى المحيط الهندي أقصر وأسهل كثيرا من طريق نفس الى نفس » .

فحين اقتربت السفينة التي يستقلها من شواطئ مصر أصيب  
الشاعر بحالة من الغزع عبر عنها قائلا :

האם לא בני ישראל הם אלה  
העובדים בשר  
ונאמרים ובורחים  
מן העבודה  
בטפלות מלוקה קצם  
דלתה אלי טעורה  
ומרקידי בדקיה  
נכדתי את ציני  
אחוזות הקטקה  
באקוב טקסו:  
אורים ארמים  
דקרו על פני טים  
הרקו שלפלות ברנל  
סירות הופיעו באקל וצברו  
בפמים להטו כדבים  
ומכל העברים צעקו קללו, קתרונו  
מפניו  
צר לי, צר לי להפחד  
במרתיה, טים  
צר לא, לקה במחור  
לא נק מעקה למרתיה, טים  
צר לי להפחד בהם  
כי אם סאסר ננע ענכי ונרקא  
וסאסר כי קסה לי  
כשלסל את טרביטוף על קמפי  
קסה לי  
לזאת שנית מתאי נצר ונדובם  
אל שאון העולם  
בלחות טדורים פקאדקים

נדקפו עלי פתאום  
באפלת הלילה.  
סדר הסדר כרות הלילה  
הוישב סדר לזקן  
חמס' שנית ברנע כנע סדתי סלוקם.

צני בספרים.  
סדרים באות קנה  
סביטות אלי  
סדתי ספיקדות.

الترجمة :

هل حقا نهضوا من قبورهم  
المصريون القدماء  
ليصموا آذاني  
بصرخاتهم الهمجية؟  
اليس هؤلاء بنى اسرائيل  
الذين يعانون الاضطهاد  
ويتمردون ويصرخون  
من المعاناة  
في ظلام الليل الدامس  
جاءتني صرخه  
فأفزعتني من فراشي  
حدقت، بعيني  
اللتين يغالبهما النعاس



من النافذة الصغيرة  
أنوار حمراء  
تعدو فوق سطح البحر  
صلصلت سلاسل حديدية  
وظهرت ذوارق في الظلام ثم توارت  
وفي السماء التهببت النجوم  
ومن كل صوب صرخت ، لعنت ، صغبت  
مصر  
وا أسفاه ، وا أسفاه على فراق  
أرجائك أيها البحر  
ولكن لا .. لماذا أخفى ؟  
أن أسفى ليس فقط لأننى أحب أرجاءك أيها البحر  
ولكن لتعبنى وإنهماكى  
حين تراح جبال الألب من فوق كاهلى  
سيكون من الصعب على  
أن أخرج ثانية من زنزانتي الضيقة الصامته  
الى مخب العالم  
نوائب الظهر الاغبر  
تطل على فجأة  
فى بهيم الليل  
الوسادة الباردة بسبب رياح الليل  
التي تهب عبر النافذة

سذنت ثانية في التو حين لامست جبهتي الملتهبة

اننى في مصر

أربعة آلاف سنة

تنظر الى ( النواءب ) من فوق قمة الأهرامات !

ثم يشير الكاتب الى استعمارية اضطهاد بنى اسرائيل ومعاناتهم  
منذ خرجوا من مصر وحتى الآن فيقول :

מה לי ולפירמידות?

רבות מאות שנים מבוסות אלינו

משיא השמים הקהלים

مالى والأهرامات ؟

عشرات الآلاف من مئات السنين تحديق فينا

من قمة السماء الزرقاء

ثم ينتقل الشاعر من اضطهاد الماضي الى انتقام الحاضر ، مثله في ذلك مثل ألقرمان ، فهنا هي مصر ، التي اضطهدت بنى اسرائيل في الزمن الغابر ، تعاني من قسوة الحياة ومرارة العيش في الزمن الحاضر ، ويعبر الشاعر عن ذلك ببعض الغلمان الذين دفعتهم الحاجة الى أن يتشاجروا وينقاتلوا كي يفوز كل منهم « بتنظيف حذاء الشاعر » حين كان يجلس على المقهى في بور سعيد ، وكأن لبان حاله يقول : ها ان الشعب الذي ألحق بأجداده شتى أنواع الأذى ينحنى أمامه لينظف له الحذاء ، لعل في ذلك تكفيرا عما اقترفه أبناؤه من ذنوب !! كما يعبر عن ذلك بالاعرابى الذى يعتلى الجمل ولا ينشد سوى الأغاني الحزينة التى

תפסח ען מראה העיש וקסוה החיה ، ובעד אן ירי זה וזאכ תסטריר  
נפסו ותעדא חרירתו !!

נצרים שסרקרים. שווקים. לבושי קרעים ורצבים.  
עך עם עליצות וקדוה קציניהם השחורות  
יתחרו זה בנה בשל נצלי סמאקוה.  
שכל אחד רוצה לצחקו.  
עביט אל עליצות-קדוהם. אשר לא הספיקו עוד ססיהם כבוהה.  
אסכע אל רנוני קצב של הקצרי סזון  
הנשא על רכשת גמלו.  
עבים אל השמים הקהלים. הקהקים.  
ואנוס.

غلمان سمر مسفوعون : يرتدون خرقة ، وجوعى  
وبالرغم مما فى أعينهم السوداء من مرح الطفولة  
الا أن كلامهم يتنافس مع الآخر بسبب حداثى الذى يعلوه التراب  
فكل منهم يريد أن يلعبه  
وأنا أرقب مرح طفولتهم الذى لم تستطع الحياة اطفاءه  
واستمع الى الأغاني الحزينة من المصرى العجوز  
الذى يمتطى سنام جملة  
فأنظر الى السماء الزرقاء العميقة  
فأستریح !!

أما الرحمة والشفقة التى « افتقدتها » المصريون قديما فى تعاملهم  
مع بنى اسرائيل ، فانهم يفتقدونها الآن فى تعاملهم مع أنفسهم ، ويعبر  
الشاعر عن ذلك بصورة كلية مكانها أحد شوارع بور سعيد ، يظهر فيها  
شخص عجوز كيف البصر يطا بقدميه شخصا صغيرا أعرج ، فيصرخ



الأخير ويلمع العجوز ، غيتشاجران ويتقات ، ، ولا شك أن هذه الصورة ترتبط ارتباطا وثيقا بالصورة السابقة لها ، فكلتاها تشيران الى أن المصريين « لم يعرفوا » الشفقة والرحمة مع غيرهم أو حتى مع أنفسهم عبر تاريخهم الطويل .

עציר נזה בגלים

והוא

העציר מסרף את הזמן. על אשר נקאיו לו

בדרךבו על בגלו. הפצועה.

הזמן מסרף את העציר, על אשר לא פנה לו את סדרו.

صغير أعرج

وعجوز

الصغير يلعب العجوز لأنه آله

حين داس على قدمه المكسورة

والعجوز يلعب الصغير لأنه لم يفسح له الطريق ..

ويصل الشاعر — فى النهاية — الى أنه من الصعب التعايش مع شعب احتفظ بهذا، الخصال الفظة طيلة تاريخه دون محاولة منه للتخلي عنها .ولذا فقد استمر الصراع التاريخى الطويل والمرير بينه وبين بنى إسرائيل ، وهو صراع لن يتوقف لأنه « أسهل أن نربط بين بحرين من أن نربط بين قلوبين ، كما أن الطريق من البحر المتوسط الى المحيط الهندى أقصر وأسهل بكثير من طريق نفس الى نفس » .

ובלילה  
בצדדי של גשר תצליל סואץ  
לפני ספל לספס  
למשהי לו חרש:  
זל למער שני נמיה  
מער לחרב שני קרבות.  
ומדרך חים. מתיכון לאוקינוס הדו  
היא קרבה ובלה לאין צדד מדרך נסס לנסס.

وفي الليل  
حين كنت أقف عند جسر قناة السويس  
أمام تمثا لنديليسبس  
همست له  
الربط بين بحرين أسهل  
من التقريب بين قلوبين  
والطريق من البحر المتوسط  
أقصر وأسهل كثيرا من طريق نفس الى نفس

---

## حرب أكتوبر واستمرارية الاضطهاد :

وإذا كانت الأزمات والنكبات العالمية التي مر بها اليهود في العصر الحديث، قد حثت أدباء المبرية على استلهم الماضي الزائف الذي لصقوه بمصر والمصريين ، والذي صارت مصر بمقتضاه رمزا لكل مكان تعرضوا فيه لاضطهاد أو تحجيم . فان الحروب التي خاضتها مصر ضد الصهيونية والاستعمار العالمي دفاعا عن أمتها العربية بوجه عام والقضية الفلسطينية بوجه خاص ، كانت أكثر حثا ودفعاً لهؤلاء الأدباء ، فسأل لعابهم وتفتقت قريحتهم عن أسوأ الاتهامات ، فانهالوا على مصر رجما بالنعوت السلبية والصور الكريهة ، فما بالناس بحرب أكتوبر الخالدة وما تركته في نفسية الإنسان الاسرائيلي من ضرورة إعادة حساباته من جديد ، تلك الحرب التي كانت بمثابة زلزال مدمر هز الأرض تحت أقدامهم فصاروا كالسكارى من هول المفاجأة ، والتي أحدثت هزة عنيفة في الاستقرار السياسي وأدت الى انشقاق وتنافر بين مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية ، ناهيك عما سببته لاسرائيل من انهيار اقتصادي عبر عن نفسه في صور عديدة مما دفع الجماهير الاسرائيلية لرفع راية الدعوة الى التغيير وهو ما وصل الى ذروته بصعود اليمين بعد الحرب بثلاث سنوات بعد أن كان قابعا في الظل منذ قيام الدولة . ولم تكن الساحة الأدبية العبرية أقل حظا من الساحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهذه الساحة التي عاشت بـ قبل حرب أكتوبر — فترة — لا بأس بها — في نشوة الانتصار ، آلت بعد هذه الحرب الى انكسار أدى بأحد النقاد العبريين الى أن يستنكر تلك الروح السائدة بين الأدباء العبريين فقال : « لقد أدت الحرب الى حالة من الارتباك الشديد وهو ارتباك ينسحب على الأدباء كذلك ، افنى لا أستنكر الحيرة أو الارتباك . . غير أنه لا بد وأن نقرر أن الحائرين المرتكبين ليس في مقدورهم أن يكونوا هداة أو مرشدين للحائرين . ان الأدباء مازالوا مستمرين في اظهار استجاباتهم تجاه الاحداث التي وقعت كل حسب وجهة نظره . . . وبينهم قلة تجاهد لكي تشجع الشعب وتوازره في محنته . . . غير أن هناك في نفس الوقت



آخرين عديدين يصيفون أحزاننا الى أحزان . لقد اهترت ثقتهم اهترانا  
شديدا فراحوا يزرعون اليأس حولنا ، الأمر الذى ينطوى على خطر  
شديد يهدد مستقبلنا » (١٣) .

وانطلاقا من الذعر الذى أصاب مختلف التيارات والاتجاهات من  
جاء حرب أكتوبر . انبرت الاقلام الأدبية العبرية تكتب عن الماضى  
الرهيب وعلاقته بالحاضر المفرع والقادم المخيف ، وربطت بين هذا  
كله فصورته مصر على أنها « عدو أبدي دائم » .

وهذا هو أيهود بن عيزر 7177 72 727 (١٤) ، وهو ابن شقيقه  
الأدبية استيراب التى سنتحدث عنها بإسهاب فى الفصل الخاص بمصر  
فى أدب الرحلات والتى أحببت مصر وعشقت ترابها وسماءها وهواءها  
وارتبطت قويا بأهلها وانحنت أمام تاريخها ، والتى تحمل لمصر كل طيب من  
الذكريات روتها كتابة وشفاهة ، هاهو ذا قد كتب قصة تحت عنوان :  
717 71777 7177 ليلة تذكارية واحدة نشرها عام ١٩٧٨ ، أفاض  
خلالها فى وصف مصر بالأوصاف السلبية دون ذكر فضيلة واحدة ، فافسد  
ذكريات خالته التى ما فتئت تتباهى وتتغنى بها ، مما أغضبها ودفعها  
لاتخاذ موقف سلبى منه (١٥) .

وتدور القصة حول احدى الليالى التى أصاب الأرق فيها بطله  
القصة « راحيل » فعاشت فى أوام الماضى وربطت بينها وبين الحاضر  
من خلال انطباعاتها الشخصية ، وهى انطباعات تنظر الى مصر باعتبارها  
« عنصرا يبعث الذعر والخوف والأرق » سواء فى تاريخها القديم متمثلا  
فى أهراماتها ومتحفها « الكائن فى ميدان التحرير » أو فى تاريخها  
الحديث متمثلا فى حرب أكتوبر . وكثيرا ما ترى راحيل — حين تأخذها  
سنة من النوم — أحلاما مفرعة ، وحين تستيقظ نجدها تستمع الى اذاعة  
القاهرة تذيع خطابا للرئيس السادات متعلقا بحرب أكتوبر ، وقد تكررت  
هذه العملية كثيرا فى ثنايا القصة ، أحلام مفرعة يتلوها خطاب للسادات  
من اذاعة القاهرة ، بحيث نستنتج — من خلالها — اصرار المؤلف على الربط  
بين مشاهد الرعب والفزع فى الأحلام وبين ما يثيره خطاب لسادات فيها

من مخاوف . فحين أصابها الأرق وغارق النوم جفيعا استتمعت الى  
السادات يقول في اذاعة « كول كاعير » اذاعة القاهرة

”התחייבתי בפני זללה ודחייבתי בפניכם, בדיוק היום לפני  
שלוש שנים, לא להשאיר את משימת שיחרורה של האדמה  
הכבושה לדור הבא, זאת אני מקיים“

(١٦)

لقد التزمت أمام الله والتزمت أمامكم — في مثل هذا اليوم منذ  
ثلاث سنوات بالضبط — ألا أترك مهمة تحرير الأرض المغتصبة للجيل  
القادم وهأنذا أفنى بما وعدت .

وبينما هي تستمع الى ذلك أخذتها سنة من النوم فرأت في المنام  
واذا بها في مدينة « فايد » المصرية داخل أحد معسكرات الجيش  
المصري بين المدرعات ودانات المدافع وتحت أزيز الطائرات التي تداق في  
سماء المنطقة ، واذا بالجنود يلقيون بقنبلتين تجاهها ولكنهما لا تنفجران ،  
فيستبد بها الخوف وتباغتتها أحداث الماضي ، فتعود بخاطرها الى الوراء  
حين كانت في مصر ، ويستبد بها ذلك الخوف من جراء ما شاهده في  
متحف الآثار أو حين دلفت الى داخل الهرم الأكبر فتقول :

פרקי חייה במצרים עולים לפני

בבהירות מכאיבה. קהיר. בית-הנכאת. בלב פועם היא עומדת  
לפני ארגז-הזכוכית שבו שוכן פרעה רעמסס השני. מראהו אינו  
מפחיד כל עיקר. הפנים צומקים, יבשים. רק בוחן-רגלו  
התפורר, משהו, והתכריכים העוטים את גופו עבשים-  
למחצה.

(١٧)

» تتذكر بوضوح فصول حياتها المؤلة في مصر . القاهرة . المتحف  
.. حيث وقفت بقلب يرتجف أمام التابوت الزجاجي الذي يسجى فيه  
الفرعون رمسيس الثاني . لم يكن منظره مخيفا من أساسه ، فالوجه

جاف ومتجعد ، لم يتحطم منه سوى ابهام قدمه ، أما الإكمان التي تلفه فانها متعففة الى حد ما .

ثم تستيقظ بعد ذلك مباشرة ، فتستمع — مرة أخرى — الى اذاعة القاهرة والى السادات وهو يردد قائلا :

”התחייבתי בפני אללה והתחייבתי בפניכם, להוכיח קבל  
העולם, שמה שאידע בשנת 1967 היה דבר חולף ולא בר-  
קיימא, זאת אני מקיים תוך שלוש שעות, ב-6 לאוקטובר,  
חצו מצרים והאומה הערבית כולה, את מחסום הפחד — “  
(١٨)

لقد التزمت أمام الله وأمامكم ، أن أثبت أمام العالم أن ما حدث في عام ١٩٦٧ كان أمرا عارضا لا يدوم ، وهأنذا أنفذ ما وعدت . فخلال ثلاث ساعات في السادس من اكتوبر عبرت مصر والأمة العربية كلها حاجز الخوف .

فتهمس راحيل لنفسها بأنين مكتوم قائلة :

אסמע מני, יא סאדאט, אלדנא חבלו קסירח — שמע ממני,  
יא סאדאט, חבלו של השקר קצרו  
(١٩)

« اسمع ياسادات ، الكذب حبله قصيرا »

وهكذا فان كلمات السادات ، وموميا رمسيس ، تشير فيها النخوف والفرع ، فاللقاء السادات ورمسيس الثاني هو اللقاء لأجيال مصرية بثت الذعر بين صفوف بنى اسرائيل ، ولا يقتصر الامر عند بحكام الشعب فقط ، بل ان لواءها بالباة الجائلين والمرشدين السياحيين — عند هضبة الأهرام — ينطوى أيضا على ذكريات مخيفه حيث تقول :



רק הציגה בה רגלה על הקרקע, ומיד סבבה המק מורי-דוד  
ומוכרי-קמיעות. היא נבהלה. אך טרד מיהר לחלצה מן המצוקה.  
מרים קול. פוקד בערכית. גוער.

(21)

» وما أن وصلت قدماها الأرض حتى أحسها بها جمع من المرشدين  
وبائعي التماثيل . فدعرت . ولكن « تود » أسرع ليخلصها من تلك الورطة ،  
فرفع صوته وصرح بالعربية موبخا إياهم » .

ويتفق نود - وهو الشخصية الثانية في القصة - مع ثلاثة من  
المرشدين ليتجسروا معهما داخل الهرم ، وما أن دلفت قدماها الى الداخل  
حتى ارتجف جسدها واستبد بها الخوف

והם נכנסים לתוך המירמידה. היא חשה חלחלה. ואין מלא.

להיות סגורה וחחומה בתוך מיכנה האבן העצום. אילו נחש  
פרעה היאופס הגאה. שכעבור שלוש אלפי שנים חצי  
בנוחתו הנצחית. שהכין לעצמו בעודו בחיים גערה ששוחה. (21)  
בת סחח-חקוה. להיכנס למקום .

«لقد دخلوا الى الهرم . وشعرت هي برجفة، ولا عجب في ذلك، فقد  
خشيت أن تصبح سجيناً أو حبيسة هذا المبنى الضخم ، فهل كان يمكن  
للفرعون خوفو المتعطر أن يتنبأ أنه بعد ثلاث آلاف عام تجرؤ فتاة  
بسيطة من بتاح تكفا أن تدخل مرقده الأبدى الذي شيده حين كان حياً » .

وهكذا فإن الخوف يشكل عنصراً رئيسياً في أحداث القصة ، وهو  
خوف قادم من ماضٍ سحيق متمثل في مومياء رمسيس وفي الأهرامات،  
وما زال مستمرا الى اليوم متمثلاً في كلمات السادات وهجوم المرشدين  
السياحيين والباعة الجائلين .

ثم فجأة نتخيل أن منطقة الأهرام قد تحولت الى بركان ثائر وأنها لم تعد ترى تود، بل انها تشعر بحرارة اللهب الصادر عن البركان على وجهها :

ובחלומה היא רואה במקום הפירמידה הר-געש לוחם.

את פניו של טוד אינה רואה, רק מרגישה על לחיה

(٣٢)

את נשימתו החמה והעזה.

« وقد رأت في المنام وإذا ببركان ملتهب يثور في منطقة الهرم ، ولم تعد ترى وجه تود ، ولم تغذ تشعر سوى بالهواء الساخن الملهب نحو وجهها » . ويبدو أن الكاتب ربط من هذا الحلم وبين اندلاع الحرب وحدث زلزال أكتوبر ، فقد ذكر - بعده مباشرة - أن الطائرات السورية تحلق في شمال فلسطين وأن الجيش المصري يعبر القناة ، ومرة أخرى تستمع راحيل الى صوت السادات يردد نفس العبارة السابقة ، فيقول الكاتب :

הוא רוצה לצעוק: היא את הערבים מכירה. איך להאכין להם.

(٣٣)

הם רוצים לשחוט את כלנו, עד אחד.

« أنها تريد أن تصرخ ، فهي تعرف العرب . لا أمان لهم . انهم يريدون أن يذبحونا جميعا حتى آخر فرد فينا » .

وهكذا استمادت بطله القصة الاوهام اليهود وخيالاتهم القديمة وربطتها بالحاضر وربما المستقبل ، فشعرت أن نهايتها قد اقتربت ، ثم تستيقظ وينتهي الكابوس وتكتشف أنها ما زالت على قيد الحياة ، وأنها ما زالت في انتظار كابوس آخر يعيد لها نفس الأحداث ، فتلصق بمصر والمصريين نفس اتهم ونفس الصور !! . الاضطهاد والعنف والوحشية ، ونحو استمرار لنفس الصورة القديمة ، وامتداد الاوهام التي ورثوها جيلا بعد جيل ، والتي تظهر مصر خلالها باعتبارها سببا رئيسيا لكل ما حاق بهم من كوارث ونكبات سواء في الماضي البعيد أو الحاضر القريب .

## الباب الثاني

- ١ - مصر في أدب الرحلات •
- ٢ - مصر كموطن للميلاد •
- ٣ - صورة مصري الأرض المحتلة •





## الفصل الأول

### مصر في أدب الرحلات العبري

---

كان لتشتت اليهود في معظم دول العالم أثر كبير في ازدهار أدب الرحلات عندهم : فقد وفرت لهم ظروفهم العيش والاختلاط بالعديد من شعوب العالم ، وبالتالي كثرت معارفهم ومعلوماتهم عن كل أمور الحياة في البلاد التي عاشوا بين ظهرانيها ، وهذه المعارف هي المادة الرئيسية في أدب الرحلات . ولذا طفق كل أديب يكتب ذكرياته عن البلد الذي يعيش فيه ، فتوفر للأدب العبري خضم هائل من أدب السيرة والرحلات يكاد يغطي معظم دول العالم وشعوبها .

ولم تنقطع علاقة اليهود بمصر في أي عصر من عصور التاريخ ، حيث كانوا يبدون إليها مهاجرين أو هاربين من اضطهاد أو زائرين ، ومن هؤلاء الزائرين من كان يطيب له المقام فيستقر فيها متمتعا بدفئتها وما تنقسم به من سماحة وتعايش للاديان ، ومنهم من كان يعود إلى بلاده على أثر زيارته فيروي أو يكتب عما رآه أو خالجه شعوره حين كان في مصر .

وكلامنا هذا لا يقتصر على العصر الحديث فقط بل إنه ينطبق أيضا على العصور القديمة والوسيطة ، فها هو يهودا بورلا<sup>(١)</sup> יְהוּדָה בּוֹרְלָא يروي قصة حياة يهودا اللاوي<sup>(٢)</sup> יְהוּדָה הַלֵּוִי . — الشاعر العبري الكبير في العصور الوسطى — وزيارته لمصر عام ٩٩٧ وسعاده الغامرة وانفعاله الشديد برؤية طبيعتها الساحرة ونبيلها العظيم وحضارتها الشامخة وأهلها الكرماء حتى أنه قرض فيها العديد من قصائد الوصف والمديح الذي لا ينفع كتابنا هذا لتناولها<sup>(٣)</sup> .

نشأ هذا المحور في سبعينات وثمانينات القرن المنصرم على اثر ترايد الحملات المعادية لليهود في الامبراطورية القيصريّة ، والتي تخفّت تحت ستار الوطنية أو الحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، بالرغم من أن الدافع الأساسي لها كان غالبا محاولة السلطات القيصريّة الاستبدادية الهاء والجماهير المنهورة وشغلهم عما يعانونه من بؤس وتخلف ، بالإضافة الى محاولة الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود لهم ، ولقد وصلت هذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الموجهة ضد تجمعات اليهود وأحيائهم والمسماة بوجروم ١٩٠٥-١٩٠٦ . وقد كانت هذه المذابح دافعا رئيسيا لأن يؤسس اليهود العديد من الجمعيات الصهيونية التي تتبنى قضاياهم وتشجع الهجرة الى فلسطين فرارا من هذا الاضطهاد(\*) . وما أن انتهى ذلك العقد من الزمن حتى تدفق اليهود بكثرة الى فلسطين أملا في خلاص أو طمعا في احتلال ، وكان هؤلاء المهاجرون يمرون ببلاد المنطقة وهم في طريقهم الى فلسطين ، فمنهم من مر بسوريا ولبنان ، ومنهم من مر بالعراق والأردن ، وكثير منهم من مر بمصر عن عمد ليشاهد — عن قرب — تلك الحضارة التي لا يعرف عنها سوى ما سمعته أذنائه أو قرأته عيناه ، فعاش العديد منهم في مصر فقرات محدودة من الزمن ولكنها تركت في نفسه العديد من الذكريات .

(\*) من هذه الجمعيات جمعية بنى موسى التي أسسها أحاد هاعام سنة ١٨٨٩ ، وجمعية بيلو التي أسسها بعض الطلاب اليهود من أعضاء مجلة صهيون في روسيا عام ١٨٨٢ وهي جمعيات كان هدفها الاول تشجيع الهجرة الى فلسطين .



## ٢ - المحور الثاني :

ينطلق هذا المحور من تلك المزيارات التي كان يقوم بها يهود شرق أوروبا الى مصر ، حيث كانوا يشكلون أفواجا سياحية ضخمة ، تضم فيما تضم اليهود وغيرهم ، فتأتى هذه الأفواج الى مصر للاستمتاع بشمسها الدافئة ورؤية آثارها القديمة ، وكان ذلك فى أعقاب انتشار العلوم والمعارف الأثرية فى أوروبا ، وعند عودة هذه الأفواج الى بلادها كان أعضاؤها من الأدباء يكتبون عما خالج شعورهم أثناء الرحلة .

## ٣ - المحور الثالث :

يتأسس هذا المحور على النشاط المالى والتجارى الذى يمتعنه اليهود ويفضلونه على سائر الأعمال الاقتصادية ، والذى يلزم المشتغلين به أن يجوبوا بلاد العالم مجيئا وذهابا بحثا عن الصفقات والأرباح ، فتأتى تجارهم الى مصر ، وكانت لهم أدواتهم فى التعبير عما حملوه من ذكريات .

ونتيجة لهذه المحاور الثلاثة فان الصحف اليهودية - التى كانت تصدر آنذاك فى شرق أوروبا - فاضت بالمقالات والقصائد والقصص والأخبار التى تدور جميعها حول مصر وحضارتها وطبيعتها وأهلها . وقد أولت تلك الصحف لمصر هذا الاهتمام انطلاقا من أمرين ، أولهما تأثيرها بتلك المعارف الأثرية، وثانيهما أن هذه الصحف كانت تهتم كثيرا بالتجمعات اليهودية فى بلاد الشرق ، فتتبنى قضاياهم ومشكلاتهم<sup>(٤)</sup> ، وهو ما أدى الى اهتمامها أيضا بالبلاد التى تعيش فيها هذه التجمعات ، وهكذا توفرت لتلك الصحف المادة الخاصة بمصر سواء عن طريق المهاجرين العابرين أو الزائرين العائدين .

## ٤ - المحور الرابع :

ويرجع الى الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، حيث فر بعض اليهود من القدس الى مصر تجنباً لقوانين الرقابة التركية ، واستطاعوا أن يصدرُوا فيها العديد من الصحف باللغة العربية مثل المقطم والمقتطف ، وباللغة الفرنسية مثل *La Renaissance Juive* النهضة اليهودية<sup>(٥)</sup> ، بل وباللغة العبرية أيضاً مثل مجلة *הפועל הצעיר* العامل الفتى التي كانت تصدر في أول عهدها في القدس<sup>(٦)</sup> . وقد عاش هؤلاء الإنفيون أو اللاجئين حياتهم بكل أبعادها ، بل انهم أصدرُوا صحيفة جديدة نعبّر عن طائفتهم تحت عنوان *בבית* في الغربية<sup>(٧)</sup> ، أشرف على تحريرها يوسف أهارونوفيتش *יוסף אהרונוביץ* وزوجته دבורا بارون *דבורה בארון* .<sup>(٨)</sup> وبعد احتلال بريطانيا لفلسطين وأثناء الحكم العسكري ، وبسبب الرقابة العسكرية البريطانية ، طبعت في القاهرة - ولادة عامين - صحيفة *חדשות מארץ הקודש* أنباء من الأرض المقدسة ، وملحقها الأدبي *שי של ספרות* هدية الأدب<sup>(٩)</sup> ولا شك أن النهضة الصحفية التي صاحبت هؤلاء اللاجئين أدت الى نوع من الازدهار الفكري والأدبي بينهم ، كما تبوأَت مصر - باعتبارها المكان الذي تصدر فيه الصحف - مكاناً كبيراً وملاً ما فيها .

ثم اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ فجلس على عرش مصر السلطان حسين كامل . فتدفق آلاف اليهود الى مصر قادمين من الشرق والغرب ، وبخاصة من سوريا وفلسطين ، فأوتهم مصر ووضعت حكومتها العديد من الامكانيات تحت تصرفهم<sup>(١٠)</sup> . وكان لذلك كله أثر كبير في أن يكونوا فكره شاملة عن مصر شعباً وحكومة .

## ٥ - المحور الخامس :

نشأ هذا المحور ابان الحرب العالمية الثانية التي أتاحت فرصة كبيرة أمام اليهود لزيارة مصر ، فقد كانت البلاد تمتع بالعديد من اليهود المتطوعين في جيوش الحلفاء والذين تلقتهم الطائفة الاسرائيلية في مصر بالترحاب ، فأقاموا في مصر فترة من الزمن تجولوا خلالها في العديد من مدنها وقراها ، وانخرطوا مع أهلها ، وعاشوا طبيعتها ، وشاهدوا آثارها وحضارتها ، وحين حطت الحرب أوزارها وخلا كل منهم الى نفسه بدأ العديد منهم بكتب ما ادخرته ذاكرته عن مصر .

## ٦ - المحور السادس :

وهو يرجع الى ما بعد توقيع اتفاق السلام المصري الاسرائيلي ، حيث تدفقت الرحلات الاسرائيلية الى مصر كنشاط سياحي أو تجارى أو سياسى أو صحفى ، وهى زيارات لم تستطع - فى مجملها وحتى الآن - أن تمحو ما علق بأذهان بنى اسرائيل عبر التاريخ - من صفات سلبية لمصر ..

وعلى أية حال فقد كانت مصر ملهمة لكل من قام بزيارتها من أدباء العبرية ، فكتب عنها ما كتب ، ايجابا أو سلبا ، تقريرا أو تجريبا ، وفقا لطاقتها الشعرية التى يبعثها فى موضوعه الأدبى ، وطبقا للقيمة الفنية التى يضمنها تعبيره ، ولذا فإن وصف مصر - عند هؤلاء - شكل أحد العناصر الرئيسية والمركبات الأساسية فى أدب العبرية ابان تلك الفترة (١٢) التى عاود بنو اسرائيل فيها اتصالهم بمصر سواء بمحض إرادتهم أو رغما عنها ..

وذا أتينا الى صفات مصر التى ذكرها هؤلاء الكتاب نجد أنها انقسمت بين 'السلبية والايجابية' . وهذا أمر طبيعى اذا ما أدركنا



العلاقة الوطيدة بين الحالة النفسية للأديب وبين صورة وتشبيهاته ، فليس من الطبيعي أن يصور الأديب مكانا ذهب اليه عنوة وفسرا بأنه جنة الله في الأرض ، حتى ولو كان المكان ذاته كذلك ، لأن الارتباط النفسي للأديب بهذا المكان هو ارتباط سلبي ، ولذا تخرج الصفات والصور سلبية بدورها ، فيتجه الأديب العبري — من هذا النوع — الى استقاء الرمز من الصفات التوراتية ، أو بمعنى آخر استلهم الصور التي وردت مصرعيا في كتاب العهد القديم وتضمنها مقطوعته الأدبية، ويزداد الأمر سلبية واجفافا اذا لم يكن ذلك الأديب ملما باللغة العربية ، فهنا يتضاعف لديه شعوره بالغربة والوحدة وقسوة الحياة ومعاناتها ، وينطلق فكره هنا وهناك منقبا عن أكثر الصفات سلبية ليصور بها مصر .

وعلى العكس من ذلك فان الأديب الذي قدم الى مصر عن طيب خاطر — سائدا أو تاجرا أو غير ذلك من الأمور — وتتنفس هواءها ، واستمتع بدفئتها ، وشاهد حضارتها ، واختلط بأهلها وأدرك حب شعبها اكرام الضيف وميله نحو مساندة الضعيف ، وليس بنفسه تعايش الأديان ومماحتها ، واطلع على تاريخها بعمقه وثقافتها بعراقتها ، هذا الأديب سيصور مصر تصويرا ايجابيا حقيقيا ينطوي على معايير تخالف ما ورد من صفات سلبية في كتاب العهد القديم ، ويزداد الأمر ايجابية ومصداقية اذا كان الأديب على دراية باللغة العربية واستطاع الاتصال مباشرة بأفراد الشعب واطلع بنفسه على ثقافتهم وتقاليدهم ، هنا ينأى بنفسه تماما عن الرمزية السلبية التي احتضنها أدباء الوصف التوراتي ، وينخرط في خضم الصفات الايجابية الحقيقية ، بل يمكنه آنذاك أن يصف مصر بأنها جنة الله في أرضه<sup>(١٣)</sup> . وفرق كبير بين من وضع عصابة على عينيه فرأى الدنيا ظلما حالكا ، وبين من ترك عينيه حرة فرأى الدنيا نورا بهيا . ولنقتطف اللباب من أقوال إحدى أدبياتهم عن مصر حيث تقول : « هناك احساس يحس به كل من يأتي الى مصر غريبا ، وخاصة في أوقات السلم ، هذا الاحساس هو أن يظل هذا الفرد متمسكا ومنشبا بهذه الأرض ، محبا لها ولخيرها ولبشائنها وجهها وخاصة اذا

ما أبعد عن ذهنه أنها أرض المنفى أو بيت العبيد أو العدو التاريخي ،  
هنا سيصفها بإيجابية ، بل وربما بحماس بأنها جنة عدن « (١٤) .

وهكذا اتخذت مصر في نظر زائريها صورتين ، صورة سلبية رمزية ،  
وأخرى واقعية حقيقية ، وتضاربت كل منهما مع الأخرى طبقا لتضارب  
الحالة النفسية عند كل أديب ، وعلى سبيل المثال يوسف حاييم برنر  
מספר סיפורים ממצרים (١٥) ودبور بارون طردا الى مصر فاختلفت  
لديهما الصور الرمزية بالصور الواقعية وباتت مصر لديهما « توارثية »  
الصفات . وفي مقابلهما نجد استير راب אסתר רב (١٦) تصف  
مصر بإيجابية شديدة ، بل وأنها « جنة عدن » وذلك لأنها عاشت في  
مصر حياة ظيية كريمة في ظروف عادية تتسم بالأمن والاستقرار ،  
واختفت الرمزية وسلبيتها من إنتاجها الأدبي تماما . وسوف نرى ذلك  
كله من خلال مناقشة بعض الأعمال الأدبية .

### قصة لا צביון أحزان للكاتب يوسف حاييم برنر :

كتب برنر هذه القصة عام ١٩٠٩ ، ليروي فيها قصة هجرته الى  
فلسطين ، ولكنها لم تتوقف عند ذلك الهدف ، بل خرجت على نحو يحكى  
قصة الهجرة اليهودية في عمومها الى فلسطين ، وما ترتبط به من رحلات  
شاقة وما لاقته الجماعات المهاجرة من صعاب وأزمات . ولذلك فان هذه  
القصة تجمع بين الانطباع الشخصي لدى كاتبها والانطباع العام لدى  
قومه ، فهي حانة في سلسلة طويلة تسيطر عليها الأحوال العامة التي  
مر بها اليهود آنذاك .

أما الأحداث الواردة في القصة فليس من الضروري أن تكون أحداثا  
واقعية حقيقية ، مر بها الكاتب ذاته ، ولكنها يمكن أن تكون أحداثا

وقعت ليهود آخرين أيضا . ثم استقاها الكاتب كنماذج معينة ليوضح  
— من خلالها — ما كان يحدث لليهود أثناء هجرتهم . وهو حين يذكر  
هذه النماذج فانما يذكرها في اطار الصراع بين الخير والشر : وهو  
أسلوب تتميز به قصص برنر بشكل عام<sup>(١٧)</sup> ، ولا شك أنه جعل عنصر  
الخير متمثلا في الجماعات اليهودية المهاجرة ، كما جعل الشر متمثلا في  
الآخرين .

وفي القصة يظهر برنر في مدينتي الاسكندرية وبور سعيد اللتين  
كانتا آنذاك محطتين رئيسيتين يمر بهما العديد من المهاجرين الى  
فلسطين<sup>(١٨)</sup> . ويروى الكاتب ما حدث له ولأسرته في كل مدينة منهما ،  
ففي الاسكندرية تجلى الشر متمثلا في اثنين من اليهود أحدهما أعرج :  
ويرتدى الثاني قبعه : جاء الى ميناء الاسكندرية ليساعدا المهاجرين  
اليهود الذين يكتنفهم الارتباك والحيرة في هذا البلد الغريب ، والذين  
بدا عليهم الاعياء بعد أن بذلوا مجهودات شاقة وتعرضوا للعديد من  
العثرات الصعبة في ألمانيا قبل أن يستقلوا السفينة مبشرين الى  
الاسكندرية . ويروى الكاتب أن هذين اليهوديين تظاهرا بمساعدتهم  
وتذليل عقبات الخروج من الميناء أمامهم . ولكنهما — في حقيقة الأمر —  
كانا يخططان لخداعهم وسرقتهم . حيث تسلما من المهاجرين العملات  
الألمانية بغية تغييرها الى عملات مصرية . فسلبا منها جزءا كبيرا ووضعاه  
في جيوبهما ، وأعادا للمهاجرين جزءا بسيطا ، كل ذلك وهما يتشدقان  
باسم الصهيونية وخدمة مصالح اليهودية ، ويرفعان لواء المساواة  
ويتباهيان بأنهما يهوديان .

وعملية الخداع هنا عملية حقيقية وليست رمزية ، ذلك أن الخداع  
الرمزي — في الأدب العبري — يكون دائما من الشعوب الأخرى — وفي  
مقدمتهم العرب — لليهود ، وليس من اليهود للشعوب الأخرى ، أو من  
اليهود لليهود وهو ما حدث في القصة . فالخداع هنا خداع من يهودي  
ليهودي ، وهو ما لم يتناوله الأدب العبري — حتى عصر برنر — الا لماما ،  
وهي فكرة من الأفكار التي تدور في فلك « شعب الله المختار » .



ولما كانت الاسكندرية — فى نظر الكاتب — هى المسرح الذى تمثل فيه الشر دون وخز من ضمير . فان صورتها فى القصة تنقسم بالسلبية والاجفاف . وينسحب عليها ما انسحب على اليهودى المخادع ، وينبع ذلك من خلال النوافق بين الانسان والمكان ، فحين تظهر فى قصص برنر — شخصية سريرة فان المكان الذى تعيش فيه هذه الشخصية يظهر بدوره شريرا وسيئا وقبيحا . والعكس اذا ما ظهرت شخصية طيبة خيرة فان المكان الذى تعيش فيه يكون بدوره جميلا رائعا ، وقد ظهرت هاتان الحالتان فى كل من الاسكندرية وبور سعيد ، فاللقاء الاول بين المهاجرين ومصر يتسم بالسلبية حيث يقول برنر :

لאלכסנדריה באנו כעלות הבוקר. בחוף התגסלו עלינו ערביאים. במכנסים דומים לשמלת אשה, בהסצרותיהם המאיימות להיות לנו לעזר. אבל מה אני מססר לך? הלא גם אתה נסעת כמוני ויודע אתה את המנהגים. בקיצור, בעוד שאנו עומדים מכולבלים ואיננו יודעים מה לעשות במקום החדש, הקולני, הסראי, ניגש אלינו יחדי חיגר אחד והתרה בנו לבלי תח חסצינו לערביאים, משום שאחר-כך ידרשו אלה ממנו בעד הנשיאה יוחר משוים של כל החסצים. מיד נמלאנו אני, אבי המשפחה, חיבת וקורבה להאח הזה, והחיגר לקח ערבי עם עגלה, סקר לערבי לשים על עגלתו את כל חסצינו ולחובילנו לבית-הנחירות. חוצות אלכסנדריה המוזהמים ככל חוצות ארץ-הקדם.

(١٩)

« قدمنا الى الاسكندرية مع اشراقة الصباح ، وعلى الشاطئ انقض علينا عرب يرتدون سراويل تشبه فساتين السيدات ، وناشدونا — بالترغيب والترهيب — أن يكونوا لنا معاونين ، ولكن ماذا أقول لك ؟ فلقد سافرت بدورك مثلى وتعرف تلك السلوكيات . باختصار بينما كنا نقف مرتبكين لا نعرف ماذا نفعل ، فى هذا المكان الجديد المفعم بالضجيج والمتسم بالوحشية ، تقدم نحونا يهودى أعرج وحذرنا من أن نعطي أمتعتنا للعرب . لأنهم سيطالبوننا — بعد ذلك — بأجر أكثر مما تساويه الأمتعة كلها . . . . . وعلى الفور امتلأ قلبى — أنا رب الأسرة — حبا واقترابا من هذا الشقيق واصطحب الأعرج عربيا مع عربته ، ثم أمر

العربي أن يضع فوق عربته أمتعتا وأن ينقلنا الى محطة السكك الحديدية . كانت شوارع الاسكندرية قذرة كسائر شوارع منطقة الشرق » .

فالاسكندرية — في نظرة — تتسم بالوحشية والصخب والضوضاء ، كما أن شوارعها قذرة ملوثة ، أما أهلها من العرب فهم مستغلون يملأ قلوبهم الجشع ويطالبون بما لا يستحقون ، وهكذا تتضح — من خلال هذه الصفات السلبية — الرابطة القوية بين الشخصية والمكان في قصص برنر .

وإذا كان المشرق قد ظهر على مسرح الاسكندرية على يد يهودي ، فإن الخير قد ظهر بدوره في بور سعيد على يد يهودي أيضا ، فحين وصل المهاجرون الى بور سعيد ، التقى بهم يهودي من أهل المدينة ، فتقاضى منهم أجرا زهيدا مقابل نقلهم وأمتعتهم الى الباخرة التي ستبحر الى يافا ، فلم يكن مستغلا أو مخادعا ، بل ظل حريصا على تذليل كل عقبة تواجههم حتى أبحروا الى فلسطين ، ولذا وصفه برنر بأنه «ملاك» و«أسطورة» .

وانطلاقا من الارتباط بين الشخصية والمكان حظيت بور سعيد — في القصة — بالصورة الايجابية حيث يقول برنر :

המים היו צלולים. בלי גלים, השמש האירה, ונעימה היתה  
הנסיעה בסירה.  
(٢٠)

« كانت المياه نقية شفافة ، خالية من الأمواج ، كما كانت الشمس ساطعة ، وكانت الرحلة فوق السفينة جميلة وممتعة » .

أما صورة العربي في المدينتين فلم تتغير ، حيث أخذت طابعا سلبيا سيئا ، فبالرغم من أن المهاجرين لم يتعاملوا معهم أثناء رحلتهم ، إلا أن الكاتب وصفهم بالجشع والاستغلال . ولو كان الكاتب قد اقتصر على وصف عرب الاسكندرية بهذه الصفات السلبية لأرجعنا ذلك الى الرابطة القوية بين المكان والشخصية كما سبق ، ولكنه وصف عرب بور سعيد بنفس الصفات بالرغم من أن بور سعيد هي المسرح الذي ظهر عليه عنصر الخير في القصة ، فالعرب سيئون حتى ولو اتسم المكان نفسه بالخير

والجمال ، وبهذا اخرج برنר العرب من دائرة الارتباط بين الشخصية  
والمكان وذكرهم بأسوأ الصفات حتى انه قال فى عرب بور سعيد :

מובילנו לא סר מעלינו. כל הדרך רב עם הערביאים בעליהסירות,  
שהאשימוהו בלקיחת שוחד מאתנו. הוא מצדו האשימם, כי אין אלוהים  
בלבבם. (21)

« لم يفارقنا مرشدنا، كان الطريق مليئا بالعرب أصحاب الذوارق  
الذين اتهموه بتفاضي الرشوة منا ، ومن ناحية أخرى اتهمهم هو أيضا  
أنهم لا يعرفون الله » ثم يقول مى مكان آخر :

הערבים פושטים את העור מעל העצמות. בעד הנפשות  
והתפצים ידרשו בוודאי שלושה פדנקים 'ואולי ארבעה' (22)

« ان العرب يسلخون الجلد من فوق العظام ، وبالتأكيد سيطلبون  
ثلاثة فرنكات أو أربعة مقابل نقل الأشخاص والامتعة . »

ولم تسلم القاهرة من سلبية الصفات التى خلع الكاتب بعضها  
منها عليها فقال :

בקאהירה. בשעת העברת ממסע למסע עיי עליות ותחתיות  
ארוכות ומשונות לאין סוף. כשמשני עבריך נחלים עליך  
הסבלים לשרתך ולשאת לך את משאך, ואחז מתנער מהם  
כמו מזבובים וצועק בלי הסוגות ובגרון נחר: „לא, לא, לא! —  
עלתה שוב מתחת הקרקע אותה הברית! ! (23)

« فى القاهرة أثناء الانتقال من سفر الى سفر ، ومن خلال مرتفعات  
شاهقة ومنخفضات عميقة ليست لها نهاية ، يتعلق بك الحمالون ليخدموك  
ويحملوا عنك حمالك ، ولكنك تفتخر بعيدا عنهم كما لو كانوا ذبابا وتصرخ  
دون توقف وبصوت أبح لا لا لا : فى هذا الوقت ظهر ذلك المخلوق مرة  
ثانية من تحت الأرض ! » •



وعلى أية حال فإن نصيب مصر من الصفات السلبية فى القصة أكبر من نصيبها من الصفات الايجابية، على اعتبار أن الكاتب لم يأت إليها طائعا مختارا يبغي سياحة مثلا أو تجارة ، فسطور معدودة من قصة حياته تشير الى أنه فر من روسيا خشية أن يجند فى الجيش . وأنه ذهب الى لندن ، الا أن الملطات الروسية استطاعت أن تضيق عليه الخناق هناك أيضا ، فحاصره الفقر والضيق ، فاضطر الى الهجرة الى فلسطين مرورا بألمانيا — التى واجهته فيها الكثير من الصعاب — حتى وصل الى مصر . فالحالة النفسية للكاتب لم تكن مهيأة آنذاك للتعبير عن الجمال — اذا ما لاقت جمالا — بل ربما يمكنها أن تنظر الى ذلك الجمال بمنظار سلبى أسود ، فما باننا لو قدر لها أن تلتقى بالشر والآلام؟ لا شك أنها ستنظر الى ذلك بمنظار أكثر سلبية واكتئابا ..

بيد أننا نأخذ على الكاتب أنه ربط بين المكان وبين كل الخير والشر ، ذلك أن الأمر يتعلق بالانسان وسلوكياته بصرف النظر عن البقعة التى يعيش فيها ، فرب بقعة طيبة يخرج من بين أهلها شخص منحرف ، ورب بقعة قبيحة يخرج من بين أهلها شخص خيوع عادل . فنزعنا الخير والشر لتعلقان بالانسان وليس الأرض ، بل أن العلماء والفلاسفة كادوا أن يجمعوا على ضرورة أن يعيش المتناقضان فى آن واحد ومكان واحد حتى تستمر تعادلية الحياة وتوازنها ، ولذا فمن الطبيعى أن يحتوى المكان على عنصرى الخير والشر فى آن واحد ولا يمكن لأحدهما أن يعيش منفردا فمصر فى القصة مكان للمتناقضين ( الخير والشر ) على اعتبار أن من قاما بالخير والشر هما من أبناء الاسكندرية وبور سعيد ، ولكن هل هناك أرض تعيش فى خير مطلق أو شر مطلق ؟ فنفيض عليها بمعسول الصفات أو نهبط بها الى الدرك الأسفل ؟ لا نعتقد ذلك ، فكيف يتأتى لنا أن نطابق حكما عاما بالخير والجمال على مكان مجرد أن يظهر فيه انسان خير وصالح ، أو بالشر والفساد مجرد أن يظهر فيه انسان شرير ؟ ألا يمكن لهذا المكان أن يحتفل بوجود الاثنين معا ؟

ولم يقتصر تناول برنر لمصر عند هذه القصة فقط ، بل تحدث عنها فى فصل قصير من كتاب للرحلات تحت عنوان

٥٦٧٥٧٥

من مصر نشر عام ١٩١٥ . بيد أنه يقلل — فى هذه القصة — من إطلاق الصفات السلبية على مصر والمصريين . بل انه يصور عالمية المدن المصرية الرئيسية . كما يتحدث عن تعايش مختلف الجنسيات فى هذه المدن فى أمن وسلام . وأنهم يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم . ويتحدثون بلغة أوطانهم دونما ضغط من أهل البلاد عندهم . وأن الهدف من مقدم هؤلاء الناس الى مصر هو الارتزاق والثراء ثم العودة مرة أخرى الى بلادهم ؛ وقليل منهم من يقيم فى مصر بصفة دائمة ، فيفسح المصريون لهم الصدور ، ثم يقول برنر :

ולא, אלה אינם הבעלים האמיתיים של מצרים!  
אלה לא יקדמוה ולא יבנוה לעתיד לבוא!

(٢٤)

« لا ليس أولئك هم أصحاب مصر الحقيقيون ، أولئك لن يعمرها أو يبنوها فى المستقبل » أما أصحاب مصر فى رأيه فهم :

אנשים גבוהי-קומה, בעלי צווארים חזקים, הררי-  
שרירים על השכם. פנים שזופים ביותר ועינים  
גדולות פקוחות לרווחה ומפיקות בהירות ונדירות.  
באדרות רחבות, כהות וכחולות, ממעל לחלוקים.  
ארוכים ומתנוצצים בשלל צבעים, שאזורים רחבים  
הדקו אותם במתנים, התהלכו האנשים האלה, חשובים  
וגאים, והתרבושים עם המטפחות פרצופיהם דומים  
לפסלים אשר במוזיאון של קהיר. הלכנות, החבושים  
בראשיהם הזקופים כולם אמרו מלכות!

(٢٥)

« أناس طويلو الهامة ، ذوو أعناق قوية ، على كاهلهم جبال من الآثار ، وجوههم سمراء للغاية ، عيونهم واسعة مفتوحة عن آخرها ويشع منها النور والسخاء والكرم ، ترتدى نساؤهم عباءات واسعة ،





فقد كتبت دبورا بارون قصة بعنوان **المنفيون** : ٥٦٦٦٦٦  
تناولت فيها نازرة وجودها في مصر وخاصة في الاكندرية في الفترة من ١٩١٥ وحتى ١٩١٩ ، وقد صورت مصر في قصتها تلك على أنها « منفي جميل » تتوفر فيه كل أسباب الراحة والرفاهية والأمن والسلام ، ولكنها برغم كل ذلك « منفي » لها ، لأنها لم تأت اليها طائفة مختارة لتستمتع بها وبجمالها وطاقها وحضاراتها ، انما جاءت من فلسطين طريدة ، فلم تكن حالتها النفسية معدة كي تستمتع بما ترى أو تشعر به . ورغم كل ذلك فان قصة « المنفيون » تعتبر أكثر قصص دبورا بارون تعبيراً عن السعادة ورسماً للابتسامة ، فاذا كانت الموضوعات التي تناولتها دبورا بارون في قصصها يغلب عليها الحزن والأساء والمصادفات المفجعة ، الا أن الابتسامة عادت الى وجهها — بعد فترة طويلة من الأحزان — في قصة « المنفيون » (٣٩) ، ذلك أن الجو العام الذي كتبت فيه هذه القصة يختلف تماماً عن الجو الذي كانت تعيش فيه قبل ذلك ، والذي كتبت فيه سائر قصصها الأخرى (٣٠) .

ولا شك أن ادخال دبورا بارون الطبيعة الى عالمها القصصي مكنها من صقل شخصياتها وتبيان أنفسهم ، فتغيرات الطبيعة هي التي تكون مزاج الشخصيات ، وليس هناك من ينكر بأن هناك مشاركة داخلية ونفسية قائمة بين الانسان والطبيعة .

ولو قرانا القصة مليا لأدركنا أن أحداثها قد وقعت في الحروب العالمية الأولى ، وهي الحرب التي أصابت مراكز اليهود في شرق أوروبا بصورة شديدة (٣١) ، والتي اضطر اليهود ازاءها الى البحث عن ملاذ يأويهم وملجأ يكفيهم ماثونة الخوف والذعر الذي سيطر آنذاك على وجدانهم ، وكانت مصر أحد الحصون التي أوى اليها هؤلاء اليهود من سائر البلاد . ولذا نجد أن دبورا بارون قد التقت في الاسكندرية بالعديد من اليهود من مختلف الجنسيات ، جاءوا الى مصر فراراً من أهوال الحروب ، ولذا صورت مصر في القصة بأنها « حصن جين ندرت الحصون » .

ולقد تناولت دבורا بارون مصر ومدنها وحضارتها وتقاليدها واکرام  
 شعبها للضيف . فمصر ملاذ لكل مضطهد أو مظلوم ، مصر هي  
 بيت الأيتام ، ومأوى من لا مأوى له ، فموريس ليفي — تاجر القطن —  
 رجل مصري استقبلهم مرحبا حين وفدوا الى مصر هربا من الضغط  
 والاضطهاد ، وحين طلبوا منه أن يكون مرشدا لهم في الإقامة والتجوال  
 داخل مصر ومدنها لم يتردد أو يرفض بالرغم من أعماله التجارية الكثيرة  
 التي تستهلك معظم أوقاته ولذا قالت عنه دבורا :

אדיב היה, כמו בבית-המלון אז, וסבר פניו טוב, כשהגיעו לקהיר, ובקשוהו  
 שיהי להם למורה דרך, והוא איש נבד עסקים. נענה להם וגם בא אליהם  
 בסרב למקום אכסונם.

(ח)

كان لطيفا كما كان فن الفندق . بشوش الوجه ، حين وصلوا الى  
 القاهرة وطلبوا منه أن يكون مرشدا لهم — وهو ذو نشاطات واسعة —  
 لبي لهم مطلبهم وجاء اليهم في المساء في مكان أقامتهم » .  
 شخصية الانسان المصري في قصة « المنفيون » لدבורا بارون  
 تختلف كثيرا عما هي عليه في قصة « أحزان » ليوسف، حاييم برנר ، فهي  
 عند دבורا طيبة ، وديعة ، متسامحة ، مسالمة ، كريمة ، محبة لوطنها  
 مرتبطة بأرضها ارتباطا شديدا .

וי محور حديثה عن معالم مصر وصور الطبيعة فيها تقول :

הוא העבירם דרך תוצות אישמעאליה עתירת-הירק. הביאם  
 לגן-הסלאים אשר באיזבכיה ושתה אתם קתה בביתן עתיק אחד,  
 אשר צלמי איחדים עם בני-הסמלית שלו הציצו מתוך קירותיו  
 וקבוצה של חנוטים עמדה עמידת דם על סתנו. ואחר-כך —  
 בחשכת הלילה בין שורות של גנים רוויר-מסתורין, הפליגו יחד ברכיבה  
 לארבת החולות של גיזה הביאה אותם לקהיופוליס עתיקת-הימים  
 ולקלאן יסת-הנוף. הסתובבה אתם במשך שעה ארוכה בתוך  
 הסבוך של שוקי המשק, הישן והחדש, וזוחר עלו עד לרמם  
 הציטדל, ראו סה את שעונו של לואי סיליס, ואת מקדשו של  
 מחמר עלי, והציצו מגבהי מרומיו של זה אל העיר עם כל יער  
 המגדלות, ועמק היאור והמדבר המצהיב הרחק שם, מאחריה —  
 ומסנוורים מן הנוהר הרב, מתוך סתרחרת קלה, ירדו לתוך

(ח)

لقد تجول بهم فى شوار الاسماعيلية الغنية بالخضرة ، ثم جاء بهم الى حديقة العجائب فى الأربكية ، ثم احتسوا القهوة عند كشك قديم تظهر على حوائطه صور أوزوريس ولبناء أسرته ، بينما وضعت مجموعة من المومياءات الصامتة عند مدخل الخشك ، وبعد ذلك وحين أرخى الليل أستاره ، أذنعوا جميعا فوق ظهر مطية ذاهبين عبر صفوف من الحدائق الغنية بالأسرار الى الأرض الرملية فى الجيزة . . . . . ثم أتى بهم الى هيريوبولس الضاربة فى أعماق التاريخ ، وإلى حلوان بطبيعتها البهيجة ، ثم تجول معهم وقتا طويلا داخل أزقة أسواق الموسيقى ، القديم منها والجديد ، ثم صعدوا بعد ذلك الى هضبة القلعة ، وهنا رأوا ساعة فيليب ، ومسجد محمد على الذى تطل مآذنه من عليائها ومعها مجموعة هائلة من المآذن الأخرى - تطل جميعها على المدينة وعلى وادى النيل والصحراء الصفراء التى تلوح من بعيد ، ثم هبطوا بعد ذلك الى الظلمات ، الى عمق الأعماق فى بئر يوسف .

فهى تذكر جمال الاسماعيلية التى تكسوها الخضرة ، وكذا القاهرة بحدائقها الغناء وطبيعتها الرائعة فى حلوان ، وآثارها التى تعبر عن ماض مجيد شهدت له الدنيا ، سواء الآثار الفرعونية المتمثلة فى المومياءات أو تمثال أوزوريس أو فى الآثار الاسلامية المتمثلة فى قلعة محمد على وما يعاوها ويحيط بها من مآذن تنظر فى سموخ الى الوادى الخصيب فى أسفلها . .

والاسكندرية نفسها توصف بأنها « نور فائق »<sup>(٢٤)</sup> وأنها مدينة « بشوشة الوجه »<sup>(٢٥)</sup> أمام المنفين ، دمة الخلق عند مقدم الضيوف<sup>(٢٦)</sup> وأنها « المنفى المريح »<sup>(٢٧)</sup> و « رصعت حدائقها بالأصداف التى أخذت شكل الصفائر والأزهار ومياها تشرق تحت الشمس »<sup>(٢٨)</sup> .

وقد أشارت القصة الى تعايش مختلف الأديان والجنسيات فى الإسكندرية فى جو من السلام والأمان ، فهناك أسرة ألمانية تعرفت عليها بطلة القصة<sup>(٢٩)</sup> ، وصاحب البيت الذى تقيم فيه يونانى الجنسية<sup>(٣٠)</sup> ،



والطبيب الذى يتولى علاجها ايطالى (٤١) . والطبيب المرافق له فرنسى وغير ذلك من الجنسيات والطوائف، التى وفدت الى الاسكندرية بحثا عن الأمن والثراء والاستقرار وهو ما عبر الجو العام للقصة عنه ..

ولو نظرنا الى القصة نظره عامة لأدركنا أن الكاتبة تؤكد على تعادلية الحياة . وهو ما زخرت به كتاباتها . فالاضطهاد فى منطقة يقابله ويتعادل معه الأمن والسلام فى منطقة أخرى (شرق أوروبا ومصر) . حتى فى الوصف والتصوير نجدها تلتزم بذلك المبدأ ، فحلوان التى يلفها الاخضرار يقابلها ويتعادل معها هضبة الأهرام ورمالها الصفراء ، وماذن القلعة تطل من عليائها على وادٍ سحيق فيه بئر يوسف ، والأهرام تطل فى شموخ من فوق هضبتها على المروج المنتشرة أسفلها ، الى غير ذلك من الصور التى تبرر ايمان الكاتبة بالتعادلية بين المتناقضات .

وكاتبة أخرى هي استير راب <sup>270X 2X7</sup> تعتبر الشاعرة الاسرائيلية الأولى من يهود الصابرا (\*) ، (٤٢) حيث ولدت فى بتاح تكفا عام ١٨٩٩ . وعاشت فى القاهرة خمس سنوات من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٥ مع زوجها التاجر اسحق جارين <sup>7782 7737</sup>

سجلت قصة وجودها فى مصر شعرا ونثرا ، أما الشعر فقد كان خلوا من كل عنوان ، ولكنه يدور حول الطبيعة الجميلة التى تتسم بها صاحبيسة حلوان ، حيث كانت آنذاك قبلة لمن أراد استمتاعا بالطبيعة أو تأملا فى قدرة الخالق ، ناهيك عن أن استير راب صنفت فى الأدب العبرى على أنها من شعراء الطبيعة والوصف (٤٣) ، حيث أفاضت فى وصفها بشكل عام ، وانبهرت كثيرا بطبيعة بلاد الشرق وخاصة مصر وفلسطين ، ولذا جعلتها ركنا أساسيا لا غنى عنه فى أشعارها العاطفية القصيرة ، بل جعلت تلك

(ابيد) الصابرا - الكلمة العبرية  
شاب يهودى من مواليد فلسطين ..

الطبيعة الخلابة رمزا للحب والتهاب انعاضة , فهي تتغنى بالطبيعة المصرية  
في احدى قصائدها قائلا :

נוף התמרים  
דבקו בו הצעירים  
זאט בין גזעים —  
עמודי-הור —  
הם מתבדרים.

כענקי פרחים  
עלי גבעולים דקים,  
צפוח ממעל הצמרות  
כרי-דשא, ציורי-הנוף  
תוף האורות אובדים —  
נוף החלום לתועי-מדבר,  
יאור שב כבד-זרוע,  
כפלה יצוקה,  
בין התמרים

ילחך שטח, שטח;  
וממעל רקיע,  
כעין קלאופטרה,  
ירוק-כהה עם בוא הערב

(٤٤)

ياجمال النخيل  
حين يتعلق به السعف  
أو حين يتناثر في هواة  
عند الجذوع الثابتة في شموخ  
كورود عملاقه  
تقف على سوق رقيقة  
وتطل من العلياء الفيافي  
ومروج تظهر كأنها أحلام  
تضيح وسط الأنوار

كالعلم بمنظر ضبيعة عند تائهي الصحراء

ويمر النيل بين النخيل في كنجسج مزروع

أو كفولاذ مسبوك

فيبتاع الأرض شيئاً فنيئاً

ومن فوقه سماء

كعين كنيوباتره

ويصبح لونه الأخضر قاتماً عند المساء

فالشاعرة تطل علينا بصورة فنية كلية يشكل النخيل عمادا رئيسيا فيها ، فتشبه « السعف » بالزهور و « الفياض » بالبحار ، و « النيل » بالنسيج أو الفولاذ المسبوك ، وتربط بين هذا كله وبين ذكريات تاريخية مثل « التائهين في الصحراء » ، وكنيوباتره .

وأما القصتان فهما رديفان مربي الورد تحت شجرة الكافور في حلوان . وإذا ما قرأناهما أدركنا أن الكاتبة اهتمت فيهما بوصف الطبيعة وبهائنها أكثر من اهتمامها بالأركان الأساسية للقصة من أحداث وشخص وحبكة أو غير ذلك ، وكأنها كتبت هاتين القصتين لتصف جمال الطبيعة المصرية فقط ، ففي قصة « مربي الورد » شغل وصف الطبيعة أكثر من ثلثها ، حيث تتنى في مقدمتها على الطبيعة المصرية قائلة :

יוני-הבר הומיות כחוך עצי-הפילסל המסורבלים. השמש עולה  
זמוהיבה את הגגות השטוחים; דקלים חותכים שמיים בעמודי-  
גועיהם. הגינות שלפני הבתים מדיקות את שארית ריחות-הלילה  
טרם יגבר היום. היסמין — לח עדין. מטעם פוקח שפע עיניים  
על פני הגדרות; צל טחוב עוד מסתחר בין סבכי ורדי-הבר ועצי  
המנגר.



يرسل الحمام هديره وسط أشجار النفل المتشابكة ، وتشرق الشمس فتجعل البساتين المنبسطة ذهبية اللون • ويعانق النخيل السماء بجذوعه الثابتة • وتنفوح الحدائق المنبسطة أمام المنازل بشذاها ليلا وقبل أن يبرز النهار • ولم يزل الياسمين ناضرا ، يتسلق على وجه الحائط فاتحا عينيه الواسعتين ، وفي ندى يتخفى بين سيقان الزهور البرية وأشجار المانجو » ...

ثم تصف منظر النيل وهو يخترق الصحراء بينما مجموعات من الصيادين تنهل من خيره فتقول :

שמי-המידבר, שקופים ורחבים לאין-קץ,

במסילה העולה מן הנילוס, על פני סרין החול הצהוב של המידבר,  
זוחלת שיירה של אנשים, נשים וחמורים; שקוף וצח האוויר  
וחנועת השיירה נראית לכל פרטיה; כעדת-נמלים

(١٦)

كانت سماء الصحراء صافية وممتدة الى غير نهاية ، وترحف قافلة من الرجال والنساء والحمير عبر ذلك الطريق القادم من النيل ، ترحف على وجه البساط الرملي الأصفر الذي يغطي الصحراء ، كان الجو نقيا صافيا ، وتبدو حركة القافلة بكل تفاصيلها كسرب من النمل ..

ثم تنتقل الكاتبة الى موضوع القصة وهو وصف ليوم اعداد مربى الورد ، وهو - كما قالت - يوم لذيذ ، وهو وصف يتكرر كثيرا عند الحديد من أدباء العبرية الذين عاشوا في مصر فترة معينة من الزمن • ففي هذا اليوم استيقظت الفتاة كلمنتين مبكرا لتشارك في اعداد مربى الورد ، وفي هذا اليوم عادة ما كانت رائحة العبر تنتشر في كل أركان المنزل ، إلا ان رائحة الفتاة كلمنتين كانت تفوقها في التأثير على أنوف الرجال والفتيات ، فكانت تثير غرائزهم ، فحين كانت تهبط درج السلم الى الدور الأرضي لتحضر بعض القوارير الزجاجية لتملاها بالمربى ، نزل خلفها الفتى « محمد » - الذي تشبهه الكاتبة به مصرى

قديم يقبع في متحف الآثار بالقاهرة — فلم يستطع أن يكبح غريزته حيث اعترض طريقها وحاول أن يمد يده نحوها ، ولما كانت الفتاة مخطوبة لفرد آخر — لا ترغب فيه ولا ترى فيه فتى أحلامها بل تنتظر اليه على أنه مصدر بؤسها وتعاستها — فقد استجابت للعلاقة بينها وبين الفتى ، وحرصت على أن تكون العلاقة سرية ، إلا أن الكاتبة قطعت سير الأحداث وانتقلت ثانية الى وصف الطبيعة ، فتواصل وصفها للنيل والخضرة والنخيل ، وكأن الطبيعة — كما سبق القول — ما هي الا رمز للحب والهوى بين بطل القصة وبطلتها .

وفي قصة « تحت شجرة الكافور في حلوان » تشير الكاتبة الى أن مصر هي حصن الأمان ومصدر الطمأنينة لمن يفتقد الأمان والاطمئنان ، فأحداث القصة تدور في الفترة ما بين عامي ١٩٢٠ — ١٩٣٥ ، وهي الفترة التي أعقبت ثورة ١٩١٩ التي قادها سعد زغلول ، وبالرغم من هدير المظاهرات وزئير الجماهير التي ملأت شوارع مصر كلها ، والتي أفقدت نظام الحكم آنذاك اتزانه وأضعفت هيمنته على زمام الأمور وأشاعت في البلاد جوا من عدم الاستقرار ، إلا أنه لم يحدث أذى لأي أجنبي على أرض مصر ، بل عاش الأجانب حياتهم اليومية العادية دون أن يجبروا على فعل شيء ودون أن يلحقهم أذى أو يحدث لهم ما يعكر صفوهم ، وتشهد الكاتبة على ذلك حيث قالت :

« זה היה זמן של נגלול, ונוער מתמרד היה שורף קרונות-הטראם  
 . ברחובות רצועק: "יחזן אל נטן ו" ישבתי כמהגרת בארץ זו —  
 בעייתם לא בעייתי.

(٤٧)

كانت هذه هي فترة « سعد زغلول » ، حيث كان الشباب الثائر يقوم بأشغال النيران في عربات الترام في الشوارع وهم يهتفون « يحيا الوطن .... عشت مهاجرة في هذا القطر ولم تكن قضاياهم هي قضايای ، وفي مكان آخر تقول :

שוטטתי בלי כל פחד בין רועי העצים, סיגלתי לי את הניב המיוחד  
שלם, ולא היתה להם כלל תמיהה שאישה אירופית משוטטת  
לבדה — היו הרבה אנגליות, תיירות, שעשו זאת  
(24)

תגולת דון خوف בין رعاة الماعز • تعلمت اللهجة الخاصة بهم :  
ونم يندهشوا حين رأوا سيدة أوروبية تسير بمفردها ، فقد كانت سائحات  
انجليزيات كثيرات يفعلن ذلك ••

فالكاتبة هذا تشير الى حرص المصريين على عدم احداث ما يعكر  
صفو الأجانب المقيمين بينهم ضيوفا ، مما يجعل هؤلاء آمنين على  
أنفسهم من كل خوف •

وبأسلوبها الفصصى وحبها لوصف الطبيعة ، أفاضت استيراب —  
في هذه القصة أيضا — في وصف طبيعة القاهرة وأحيائها المختلفة ،  
بل أفرطت في الوصف حتى بدا اهتمامها بإبراز أحداث القصة وأركانها  
هزيلا اذا ما قورن بالاهتمام بالوصف والتصوير ، بل اننا نكاد نقول  
ان الكاتبة كانت تعتمد الى توزيع أحداث القصة على أماكن مختلفة  
حتى تتمكن من تصوير هذا المكان ، فوصفت منطقة الأريكية « وحديثها  
الدهشة ونخيلها الشاهق الذي يعانق السماء » ، كما وصفت منطقة  
وسط المدينة « ونظافتها وعبر زهورها ونشاط التجارة فيها » ، أما منطقة  
حلوان فهي مسرح القصة وهي الحى الذى كانت تقيم فيه الكاتبة ،  
وليست بمستغرب على استيراب — أديبة الطبيعة — أن تستأثر طبيعة  
حلوان بلها عتسب في الوصف فتقول :

מצאנו לנו בית בודד על קצה המדבר, וכודך וגדול האהיל עליו  
אקליפטוס ענק, זר לסביבתו, חוץ מתמרים ועצי מנגו אין רואים  
עצים. הלכתי שבי אחרי האקליפטוס ושכרנו את הבית — העתיקות,  
הצמחים המיוחדת, גדות הנילוס — היו קרובים מאוד, מהלך  
עשרה רגעים מהנילוס. שתי גדותיי נטועות תמרים ענק שגזעם



חלק ולכן כסיד. ובמועד משוכות עד המים, וכמים על  
הגדה דוכרות נושאות צריפי-עץ קטנים, מעון-קץ ליושבי העיר  
העשירים הבאים לנפוש ולשאוף קרירות. הנילוס העתיק והכבד  
היה מושך מאוד. (49)

עثرנו על בית על חافة الصحراء, בית كبير بمنزل تغطيه شجرة  
كافور عملاقة, ونحيط به الزهور, ولم نر أية أشجار سوى أشجار النخيل  
وأشجار المانجو, وقد استأثرت شجرة الكافور بقلبي فاستأجرنا البيت...  
الآثار, النباتات الفريدة, ضفاف النيل كانت قريبة للغاية, كانت  
لمسافة بيننا وبين النيل عشر لحظات... كانت ضفتاه مفروشتين بالنخيل  
العملاق ذي الجذوع الملساء البيضاء كالجص, ضفتان تتحدران نحو  
الماء, وفوق مياه الشاطئ ترسوا عوامات تحمل أكواخا خشبية  
صغيرة تستخدم كمصيف لأثرياء المدينة الذين يأتون ليتنفسوا هواء  
باردا... كان النيل العريق العظيم جذابا للغاية.

ويهودا עמיחאי — الذي وفد الى مصر مجندا في الجيش الانجليزي  
أثناء الحرب العالمية الثانية ومكث فيها لمدة عامين — تناولنا — في الفصل  
السابق — قصته «سد أسوان» من جانبها الفرعوني وما تحتويه من  
فكر في الموت والخلود وعلاقتها بالفكر الفرعوني في القديم,  
وما نحن نتناول هنا نفس القصة من جانب تصويرها للطبيعة المصرية  
والانسان المصري...  
فعلى اثر خروج عميحاي ورفاقه من خنادقهم التي حفروها في  
قلب الصحراء, مبتدئين رحلتهم لزيارة معالم مصر القديمة والحديثة,  
شاهدوا النيل فأثار بسحره عميحاي الأديب, فطلق يصفه قائلا:

כל נפישתנו נמשכה לאורך הנילות כמה טוב  
לארץ שיש לה ציר מרכזי כמו אותו נהר. מיד יודעים את  
כחוני השכיים ואין סדעים. בארצנו הרבה הרים ועמקים מער-  
בלים. וכל אחד בצביע לכחון אחד. דצריכים דמצפן או לכוכבים  
כדי ללכת. (50)

استمرت رحلتنا على امتداد الدبال ، طوبى لبلد الذى يملك محورا مركزيا مثل ذلك النهر ، ذلك ان أهله سيتعرفون فوراً على اتجاهات السماء . ولا يخذلون . أما فى بلادنا فان الجبال والوديان تشـطـر الأرض . وكف فرد يشير الى اتجاه آخر . ويحتاج أهلها الى بوصلة أو نجوم لئلا يحددوا الاتجاه .

ونما سبق لنا القول — فى الفصل السابق — فان عميحاي كان يعمل فى الطبوغرافيا العسكرية . وهو تخصص يدور حول الملاحة وتحديد الاتجاهات نهارة ونيلاً عن طريق البوصلة والنجوم وغير ذلك من الوسائل ، ولذا نجده — فى تصويره السابق للنيل — متأثراً بهذا العمل ، فيشبه النيل بأنه خبر هاد لكل من يضل الطريق ، فهو يحدد الاتجاهات دونما حاجة الى بوصلة أو نجوم ، أما فى فلسطين فان الجبال والديان تضلّ، التائه عن اتجاهه ، لأنها تقسم الأرض وتشطرها فيختلط الأمر بين الشمال أو الجنوب أو الشرق والغرب ، مما يصعب معه تكمله المسير دون مرشد من بوصلة أو نجوم ، ثم يدلّ على ذلك ويقول :

כעס הייתי

באנגליה כשיירדה קטנה וזהה קשה עלי להצוא את התימה.

במצרים אין צורך לשאול. אם לא דיאים את הנחל שמעים

אזכור. על כל פנים חרד נכבדים אלו.

(٥١)

ذات مرة كنت فى انجلترا . فى مدينة صغيرة ، وكان من الصعب على ان أعثر على نهر التايمز ، أما فى مصر فلا حاجة للسؤال . فاذا كنتم لا ترون النهر ، فأنتم تستمعون اليه ، ففى كل الأحوال ستجذبون نحوه ..

وحين وصل الى أسوان ، وشاهد السد وما يحتجزه خلفه من مياه يتحكم فى تدفقها متى وكيفما يشاء ، شبهه بالأديب الذى يختزن الأفكار بداخله ليكتبها فى الوقت المناسب وبالقدر الذى يريده ، فيقول :

ואני ממילא לא

יכול הייתי להרשיע, אלא להגיד מלים ודברים או לשמור אותם  
בתוכם. כדי לאומרים אחר שנים רבות בקול רם או בבתב. גם  
הסבר הגדול באכזאן אוגר כך את מימי הנחל ושומרים במרע  
יוציא אותם בהקפדה.

(52)

» ואני מן תלמידי נפשי למ אכן אספיע המסעדה, בל כנני אספיע  
אני אחי כלמא ואשיות או אני אחפזא בדיאלי קי אקולא בעד שנות  
טוילה בסוטה עאל או מקטובה. ואינא אלד אלכיר קי אסווא ידכר  
מיה הנחל ויחפזא קבל אני יכרזא באחאם .

וגיר זלכ מן האמלה הנני ירביט קינא עמיכאי בדקה בין הזואהר  
המאדיה הטביעה והזואהר האנסאניה המירדה קי אטאר ואחד, פקד שבה  
האדיב חני יכחזר אפקאר באלד חני יכחזר מיהא, קמא שבה הניל -  
והו זאורה טביעה - באלבוסלה הנני אכחזר האנסאן קי תחדד!  
האכזא, נאחיק, ען העיד מן הסור והתשיבהא הנני סאר קינא עאל  
נפס הנחל קי בקיה אכזא הנני.

ונזרא למיטרה פקרה המו עאל אחאסיס עמיכאי - קמא סבק אני  
זכרנא - ובאלרגמ מן אנה קאן יכארק אנזאק קי החרב העאליה השאניה,  
הא אנה ימקט החרב ויעדד מסאווהא עאל הפרד והמקמק (53), פקד קאן  
ינפיק אני ימוט עאל סריירה (54), וקאן ינזר אל החרב נזרה מכללה  
ען אקראנה פיקול קי קסט:

נכנסו חזילים מצריים, שגדחקו נפחדים במינה, אף-על-פי שזו  
היתה ארצם וזה היה קרונם. נעולים היו מיני נעליים חזאיות  
גסות, לראשיהם חבשו כיפות עגולות בצבע חאקי, אילו  
ידענו טעתידים אנו להילחם זה נגד זה, ייתכן שהייתי מסתכל  
בהם אחרת. אך בחדאי הייתי נוהג בהם כמינהגי אז, וכאן שוב

(55)



« دخل جنود مصريون وانكمشوا على الركن خائفين . بالرغم من أنها أرضهم وأن هذا قطارهم : كانوا ينتعلون أحذية نصفية غليظة . ويضعون فوق رؤوسهم أغصية مستديرة لونها كالكى . وكنا نعلم أننا سنحارب هؤلاء ، فى المستقبل . وربما نقتل شخصا أنظر انيهم نظره آخرى ... ولكن أنت أنسك معهم سلوكى الطبيعى آنذاك . »

فرغم عامه أنه سيحارب هؤلاء الجنود المصريين بعد فترة من الزمن إلا أن تعامله معهم كان تعاملًا حسنًا . ويبدو أن روحه من الداخل كانت ترفض كل أعمال القتل والعنف والصراع . وربما أثر عليه ذلك كله فانضم فى مرحلة لاحقة الى جماعة السلام الآن التى تنادى بتحقيق السلام مع العرب حقنا للدماء .

بيد أن آميحاى لم يذكر لنا مما أو ممن كان « يخاف » هؤلاء الجنود المصريون ؟ هل كانوا « يخافون » من جيوش الاحتلال التى تجثم فوق صدورهم وصدور شعبهم ؟ ليس هذا بخوف . وإنما غضب وضجر من وضع غير طبيعى ، عليهم أن يتحملوا مسئولية تغييره ، أم أنهم « يخافون » من ثلاثتهم — وهم يهود انضموا للجيش الانجليزى ؟ وليس هذا ايضا بخوف ، ولكنه شعور الحزن والاسى على ما الم بأرضهم حين وطأته أقدام الغرباء واستباحته شرفه وكرامته .

أما أنهم يخافون ، فليس هذا بوارد فى تاريخ العسكرية المصرية فى أى عصر من العصور . وحسبنا فى ذلك صفحات التاريخ التى سجلت وما زالت نسجك العديد من ملاحم "تضحية والفداء التى تصنعها العسكرية المصرية ... أليس هناك العديد — من غير المصريين — ارتبطوا بمصر فكريا ووجدانيا فآثروها على أرواحهم حين تعرضت للخطر فاستشهدوا فى سبيلها . مثلما فعل الظاهر بيبرس أو طومان باى أو غيرهما ؟ فما بالنا بأهلها الذين ارتبطوا بها تلبا وقالبا ؟ هل هؤلاء يخافون أم يتقزرون ، يهابون أم يغيضون ، يرتجفون أم يملأهم الحزن والأسى عما يحل بوطنهم آنذاك ؟ !

\*\*\*

ولم يمر على توقيع اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل سوى فترة قصيرة من الزمن . وهي فترة لا تسمح بانعكاس هذا الاتفاق على مجالات الإبداع الأدبي إلا لماسا ، ذلك أن الحاجز النفسي الذي يهيمن على وجدان أدباء العبرية لم يتيسر لهم — حتى الآن — اجتيازه ، خاصة وأنه عاش داخلهم يوجه أقلامهم وأفكارهم مئات بل آلاف السنين ، فكيف يتأتى مستويات — لم تتجاوز في عددها أصابع اليد الواحدة إلا قليلا — أن تمحو ما نقشه ذلك الدهر الطويل في قلوبهم من حقد وكراهية ...

ومع ذلك فقد كتب أقل القليل من القصص ، دارت كلها تقريبا حول « السلام » كمبدأ إنساني يجب على البشرية أن تسمو به وتجمعه منهاجاً للتعامل بين أفرادها ، ولنقتطف إحدى هذه القصص لنذكر على ما نقول .

القصّة كتبها إسحق بن نير<sup>(٥٦)</sup> 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000

فبراير ، وتدور أحداثها في القاهرة في السابع من فبراير عام ١٩٧٨ ، وتدور حول اثنين من الصحفيين المرافقين للوفد الإسرائيلي في مباحثات السلام ، نشأ بين هذين الصحفيين خصومة شديدة ونزاع دائم وصل للدرجة التي كان أحدهما يحبك للآخر خطة انتقام تؤدي إلى تحطيمه نفسيا ، « دافيد أوجست » يمقت زميله « هاردوف » بشدة ، ربما لأنه أكثر منه نجاحاً في عمله الصحفي . حيث يستطيع — بملكاته الشخصية — الاتصال بكبار الشخصيات السياسية والاجتماعية والحصول منهم على معلومات وفيرة ودقيقة ومفاجئة مما يكسبه بريقاً يحسده عليه زملاؤه .

ثم تسرع أحداث القصة ، فنجد أن « هاردون » كان قد استطاع أن يسلب من « دافيد أوجست » زوجته في الماضي ، ولكنها ماتت

بعد ذلك بقليل بعد أن أصابها مرض السرطان . ثم يتضح أيضا أن « هاردوف » كان مصابا — منذ فترة طويلة — بنفس هذا المرض ، وأنه التقى بـ « دافيد أوجست » عند الطبيب الذي كان يعالج كلا منهما . فلقاءهما كان لقاء شخصين اقتربت نهايتهما المحتومة . وهما يعرفان ذلك . فربما كان في هذا اللقاء عزاء ومواساة . وهو ما يجعل لقاءهما يخلف عن كل لقاء . ولم يكن « دافيد أوجست » على دراية بهذه التفاصيل . بل كان مشغولا في مطاردة « هاردوف » في شوارع القاهرة وحوالياتها . رغبة في الانتقام . وفي إحدى المطاردات التي قام بها فوجيء بصورة « صفريرا » — زوجته التي ماتت ، معلقة في أحد حوائط خان الحليلي كما فوجيء « بهاردوف » وهو يتقدم لشرائها ، ويضطرم بينهما الصراع حول الصورة كما اضطرم قبل ذلك على صاحبة الصورة نفسها ، ويذهب كل منهما إلى الحانوت خلسة عساه أن يفوز باقتناء الصورة . وفي إحدى هذه المرات نظر « دافيد أوجست » بدقة إلى الصورة فتبين أن الأمر قد اختلط عليه . وأن الصورة ليست صورة زوجته السابقة صفريرا ولكنها صورة لامرأة غريبة ذات ملامح فظة وقسمات رتيبة . فأخذته الدهشة وانتابه الندم على ما كان يضمر من شر لزميله ، وهكذا بدأت الخصومة بينهما يقل أوارها إلى أن انتهت تماما عند سرير « هاردوف » في فندق شيراتون ، حيث سقط الأخير مريضا فاستدعوا له طبيبين أحدهما مصري والثاني إسرائيلي ، فبنقله سويا إلى المستشفى بعد أن ترك وصية بيغى تحقيقها بعد موته ، ويكتشف « دافيد أوجست » من خلالها أن « هاردوف » كان مريضا بذات المرض الذي قتل زوجته ، وأنهما التقيا عند الطبيب المعالج ، فيشتد ألمه ويزداد ندمه ويزول الصراع وتطوى الكراهية بينهما صفحاتها .

ويبدو أن الكاتب قد تأثر — أثناء وجوده في القاهرة لمتابعة مفاوضات السلام — بالجو العام الذي كان يسيطر على المفاوضات ، فكتب هذه القصة ليثير بها إلى مصر وإسرائيل ، وأنهما التقيا بعد نزاع طويل وخصومة شديدة مثلما التقى « دافيد أوجست » و « هاردوف » ، خاصة وأنه يثير في أكثر من موضع في القصة إلى « سعادة الشعبين المصري والإسرائيلي باتفاق السلام » .



وعلى أية حال فإن الكاتب لم تفته فرصة وصف القاهرة عن قرب بعد أن كانت حلما يراود عيونه الشمالية ، وصف شوارعها وميادينها . وصف أرضها وسماها ، زرعها ونيلها وآثارها الشامخة ، وصف رجالها ونساءها وأطفالها ، وصف عاداتها وتقاليدها وأعرافها . وصف ذلك كله ليلا ونهارا ، وكان وصفه لها ليلا أكثر ايجابية من وصفه لها نهارا ، فهو يصف ميدان التحرير عند الظهيرة قائلا :

ועכשיו אחת-עשרה ושמונה דקות ואני לבד על הגשר העילי המוזר הזה, נסחף בין המון-המוני אנשים ללא פנים, ללא צורת יחיד, בבגדים אירופאיים מיושנים-משהו, בגלגיות, בחלוקים, בקרעי בד, בחליפות מהודרות, ריחות שתן ונפט, ברכום ושמן טיגון באוויר. צפירות עזות של האוטובוסים החגים סביב עמוד השיש ואשכולות-אשכולות של אנשים תלויים בהם. המדרכה מלוהטת בחום, באמצע החורף.

(52)

« والآن فإن الساعة قد بلغت الحادية عشرة وثمانى دقائق ، وأسير بمفردى فوق ذلك الكوبرى العلوى الغريب(\*) ، أنجرف بين جماهير غفيره ، خلف ظهورهم ، لم يكونوا جميعا فى صورة واحدة ، فمنهم من يرتدى ملابس أوروبية قديمة الى حد ما ، ومنهم من يرتدى الجلباب أو العباءات أو الملابس المزقة ومنهم من يرتدى بزة أنيقة ، ونفير صاحب لعربات الأتوبيس التى تدور حول عمود من المرمر ويتعلق فيها الناس كالضائيد ، والرصيف ملتهب من الحرارة ، بالرغم من أننا فى منتصف فصل الشتاء » .

وفى مكان آخر يصف شوارع القاهرة المتردجة نهارا فيقول :

טורים-טורים של מכוניות נעים במהירות על הגשר הגדול. פקק גדול ועצום שאינו נח לרגע. הכל מנסים לפלס להם דרך במלוא עוצמת המנוע. תוך בלימת חורקות, מימין ומשמאל. כנף מכונית אחת ניגפת בדלתה של מכונית שנייה; דופן שורטת דופן. מכוניות חובטות ומטלטלות זו את זו. הכל ממהרים ודומה — לשם המהירות בלבד הם ממהרים.

(58)

(\*) يتصد الكوبرى العلوى فى ميدان التحرير بالقاهرة ..



فالقاهرة — فى رأى الكاتب — جميلة بطبيعتها ، وهبها الله كل مكونات الجمال وفتنته . شمساً دافئة نهاراً ، رياحاً خفيفة لطيفة ليلاً ، طقساً نموذجياً ، ونبت الكاتب لها بأوصاف سلبية — خاصة فى فترة النهار — ينكب أساساً على سكانها . فبعض هؤلاء يفسدون جمالها ويلوثون نسيمها ويغتاون هدوءها ، ويهينون ما حبا الله به مدينتهم من فتنة وبهاء وسكينة بآثارهم للضوضاء واحداثهم للفوضى الضاربة أطرافها فى الشارع المصرى ، واللامبالاة التى يتسم بها قادة السيارات حيث يبدو كل منهم غير حريص على الآخر . ولذا فحين يخلد هؤلاء جميعاً الى النوم يعود للقاهرة بهاؤها وهدوؤها وسحرها .

ويشير الكاتب بوضوح الى الأمن الذى يتمتع به زوار القاهرة من الأجانب ، وحرص الدولة على توفير الرعاية الكاملة لهم ، ويؤكد — فى هذا السياق — ان الشعب المصرى شعب مسالم وليس مستسلماً ، وأن حجم الجريمة التى ترتكب فى القاهرة يتضاعف أمام الجرائم التى ترتكب فى أماكن أخرى كثيرة من العالم . فيقول بن نير ناعثاً أهل القاهرة فى مكان آخر :

סֵכֶר הַפְּנִים שֶׁל אֲנָשֵׁי הַמָּקוֹם, אוֹרֵךְ דוֹחַם, "אֲחֵה יִדְעִי", אָמַר לוֹ אֶהְרֹנִי  
בַּסְּלִיחָה כִּמְעַט. בַּמְּלֹךְ. "אִשָּׁה יִכּוֹלָה לִלְכֹּת כָּאֵן לְבִדָּה בַּלֵּילָה וְאֵף אַחֵר לֹא  
יִגַּע בָּהּ. זֶה מִפְּלִיא. אֵין כִּמְעַט מַעֲשֵׂי פֶשַׁע בְּקֶהֱיָהּ.

(٦٧)

« الوجه البشوش لأهل هذا المكان ( القاهرة ) ، صبرهم وطول أناتهم ، أنت تعرف — قال له « هاردوف ما يشبه اللغز فى الفنسدق ان المرأة تستطيع أن تسير هنا بمفردها ليلاً ، فلا يمسخها أحد ، وهذا أمر مدهش ، فليس فى القاهرة تقريباً أعمال إجرامية أو عنف » والحقيقة أننا أوردنا قليلاً من كثير وصف الكاتب مصر فيه سلبيات وإيجابيات ولكنه لم يخرج عما أوردنا من نقاط الوصف .



القارى ، لهذه القصة يدرك — منذ الوهلة الأولى — افراط الكاتب  
فى الواقعية ، فهو مثلا يذكر الأسماء الحقيقية لأعضاء الوفدين المصرى  
والاسرائيلى فى مفاوضات السلام ، وكذا أسماء الصحفيين ورجال الاعلام  
والأمن والنقل وغيرهم ، بل يذكر الأحداث التى مرت بها هذه المفاوضات  
بواقعها الحقيقى .. وعلى أية حال فقد كان لهذه الواقعية أثر كبير فى  
كثرة قرائه ومحبيه فى اسرائيل ، على اعتبار أنه يرمى الموضوعية  
الخالصة رعاية تامة ، ويرصد التجربة الحية رسدا يقظا ، ويستوعب  
ما فى الحادثة أو المشهد أو الشخصية استيعابا دقيقا<sup>(٦٢)</sup> مما جعل  
انتاجه خلوا من المؤثرات الداخلية لعواطفه وأحاسيسه فعدت قصته  
رسما جامدا للشخصيات والمزئيات ، وتسجيلا لظواهر المجتمع  
وتصاريف الحياة .

\*\*\*



## الفصل الثانى

### مصر كموطن للميلاد

#### وضع اليهود فى مصر قبل الهجرة :

يشهد التاريخ — على امتداد عصوره واختلافها — أن مصر كانت ملاذا لليهود من كل اضطهاد ، وانقاذا لهم من الجوع والاملاق ، ولذا اتخذها نفر عير قليل منه مأوى دائما يلوذون بأمنه وسماحته ويتمتعون برغد عيشه ويبتطلون باحترام من الانسان لأخيه الانسان . وكون هؤلاء اللاجئين الى مصر طائفة لا بأس بها ، منحت كل حقوق المواطنة ، لمارسوا حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية دونما ضغط أو اكراه أو تضيق للخلق ، بل أن بعضهم شارك فى الحياة السياسية المصرية ووصل فيها الى مناصب رفيعة المستوى <sup>(١)</sup> .

ولقد شهد القرن التاسع عشر تطورا كبيرا للطائفة اليهودية فى مصر ، حيث فتحت الأبواب أمامهم للهجرة اليها والانخراط فى شعبها ، وقد ساعد ذلك على توسعهم فى بناء المدارس والمعابد ومختلف التنظيمات والانشاءات التى تخصهم دون غيرهم <sup>(٢)</sup> ، وقد نص الدستور المصرى الصادر عام ١٩٢٣ على ضمانات جديدة للطوائف والأقليات ، استفادت منها الطائفة اليهودية الى حد بعيد ، وخصوصا ما أقره الدستور لهم فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين ، بالإضافة الى منحهم حرية العقيدة والرأى والصحافة والتعليم ، كما كفل لهم تسير امورهم الشخصية طبقا لتقاليدهم وعلى يد زعمائهم الدينيين <sup>(٣)</sup> . وترتيا على ذلك أحرز اليهود نجاحات ملموسة فى مختلف مجالات الحياة الدينية والعلمانية فأنشأوا



العديد من المعابد (\*) والمدارس (\*\*) والأندية والجمعيات الخاصة بهم .

تمتع اليهود في مصر بكل ذلك ، بينما كان يهود أوروبا مطاردين من مدينة الى أخرى ومن دولة لأخرى ، طوردوا في أفكارهم الدينية العنصرية ، وطوردوا في مؤسساتهم الاجتماعية والتجارية والثقافية والسياسية ، بل وصل الأمر الى أنهم كانوا يوضعون أحياء في أفران الغاز ، وأبت معظم دول أوروبا أن تمنحهم حقوق المواطنة الكاملة ، فأصابهم الذعر وهاموا على وجوههم من مكان الى مكان بحثا عن ملاذ أو مأوى .

ورغم ذلك كله ، مضت عجلة الزمان وهاجر معظم أبناء الطائفة اليهودية المصرية الى فلسطين ، وهناك سجلوا سيرة حياتهم وما ترسخ في أذهانهم ووجدانهم عن موطنهم الأول الذي ولدوا فيه ، فمنهم من ذكرها بالخير والتقريز ، ومنهم من ذكرها بالسلبية والتجريح ، وسواء حدث هذا أو ذلك ، فإن المحصلة النهائية هي أن مصر استمرت محافظة على مكانتها في الأدب العبري الحديث ، وبات العديد من أدباء العبرانية - وخاصة ذوو النسأة المصرية - يلقون الصوء على مصر وطبيعتها وحضارتها وتاريخها وأهلها وكل ما ينتمي اليها ، مصر كما عرفوها في طفولتهم وشبابهم .

(\*) في احصائية ذكرتها عواطف عبد الرحمن في كتاب ( الصحافة الصهيونية في مصر القاهرة ١٩٨٠ ) قالت ان اليهود أنشأوا في النصف الاول من القرن العشرين ما يقرب من تسعة وعشرين معبدا في القاهرة ، وعشرين معبدا في الاسكندرية .

(\*\*) استفادت الطائفة اليهودية من رعاية الحكومة المصرية ، فأنشأت - عددا من المدارس - بدأها الاشكنازيم عام ١٨٩٥ ، وكانت برامج هذه المدارس اليهودية اوروبية خالصة ، ولغة التعليم الاساسية فيها هي الفرنسية ، وكانت الانجليزية موضوعا اجباريا . ولذا كان خريجو هذه المدارس لا يعرفون اللغة العربية جيدا . كما اهتمت الطائفة بالتعليم الديني وبت المفاهيم الدينية في البرامج لدراسية ، وذلك كي يتسنى للطائفة تشكيل اتجاهات أبنائها وضمان ولائهم لطائفتهم ودينهم في المقام الاول .

وبناءً على ذلك ، فإن كل أديب من هؤلاء الأدباء يكتب انتاجه بشكل فردي ، إلا أنهم يلتقون جميعاً حول هدف واحد هو البحث عن الأصل والجذور ، فإزدواجية الوطن — التي يعاني منها المجتمع الاسرائيلي أدت بالكثير من الأدباء والكتاب العبريين أن يتحدثوا بأسهاب — في انتاجهم الأدبي والعلمي — عن موطنهم الأول الذي هاجروا منه ، وكانهم في حلبة صراع أو تنافس ، أيهم يبين موطنه الأصلي بصورة أكثر وضوحاً . على أنه من الحق أن نقول أن الأوصاف التي ترد في مثل هذه المؤلفات لا تقسم دوماً بالاجابية ، بل أن السلبية أحياناً ما تسيطر عليها وتشكل عمادها الرئيسي ، وربما يكون سبب ذلك محاولة كل أديب — من أدباء السلبية — اثبات أنه لاقي من ايمت والاضطهاد أكثر مما لاقي غيره ، أو أنه خاض الطرق الوعرة ثابتاً على دينه وعقيدته ومبادئه متحدياً أشق الصعاب ليصل في النهاية الى أرض الآباء فيتوهمون دور بطولة في قصة لا وجود لها ولا أساس !! وعلى أية حال فلا يكاد يكون هناك أديب من أدباء العبرية في العصر الحديث — باستثناء جيل ما بعد ١٩٤٨ — غير حريص على إبراز مواطن القوة أو الضعف في موطنه الأصلي ، وأصبح هذا الأمر طبيعياً ومنتشراً في المجتمع الاسرائيلي بشكل كبير حتى اليوم .

والنموذج الأول الذي سنتناوله في هذا المجال هو كتاب راحيل مكابي التي ولدت في مصر وعاشت فيها طفولتها وشبابها ، والكتاب بعنوان «*מִצְרַיִם*» «مصر التي لي» ، وهو كتاب يتبوأ مكانة رفيعة في تصوير مصر تصويراً ايجابياً ينبىء عن حب الكاتبة لمصر وتبأهيا بكل ذرة من ثراها<sup>(١)</sup> ، فقد أسهب هذا الكتاب في وصف مصر من الاسكندرية شمالاً حتى أسوان جنوباً ، فلم تفارق الكاتبة كبيرة أو صغيرة — مما صادفته على أرض مصر — الا وصفته مدحاً وثناءً . وحين ينتهي القارئ من هذا الكتاب يتبين أن الكاتبة لم تكن لتخط هذا الكتاب الا لكي تتباهى وتفخر بأرض ميلادها في مواجهة الآخرين المهاجرين من بلاد أخرى ، انطلاقاً من التيار السائد في الأدب العبري منذ وقت غير قليل والذي يتحدث فيه كل فرد عن أرض ميلادهم وذكرياته المنحوتة في وجدانه تجاهها .

ونحن لا يخالفنا شك في أن راحيل مكابى تفخر — فى كتابها — بأصلها المصرى وبالفتره الطويله التى عاشتها بين الشعب المصرى الذى وصفته « بالنبل وطيبه القلب والمقدرة الهائلة على الصبر وتحمل المكاره » (٥) . لقد تتبعنا راحيل مكابى — فى صدر كتابها — سجرة أنسابها منذ قدوم جدها لأبيها الى الاسكندرية هربا من اضطهاد كان يحيق باليهود فى شرق أوربا ، وكذلك منذ قدوم جدها لأمها من فلسطين الى الاسكندرية فرارا من تكتيل مارسه جنود الحملة الفرنسوية بقيادة نابليون بونابرت على يهود فلسطين ، وقد كلاهما الى مصر « فآمنتهم من كل اضطهاد أو خوف وأحاطتهم بانسانية الانسان » (٦) . وعاشت راحيل مكابى بين أسرة ميسورة الحال تتمتع بالرفاهية ورغد العيش ، واستطاعت أن تعبر تعبيرا دقيقا عن حياتها فى مصر ، بأسلوب بسيط خال من التعقيدات ، تحدثت عن الوطنية المصرية قائلة :

..... בכל-אופן זוכרת אני

המגנה עצומה בה נשחמכו לרחוב המונים שוצמים, חמוסי-מוח,

קוסצים וסולטים ועקות גרוניות יחיא סעדו — הם נשאו

בזרועותיהם את חמונתו של וגלול. לא ארע בבירור אם הית

זה ביום ששולח לחם-חירות הישיש לאי סישל, או שמא

בחזירתו.

(٧)

« وعلى أية حال فأننى أذكر مظاهرة عظيمة تدفقت فيها جماهير غفيرة متحمسة الى الشوارع ، وهم يهرعون ويعتفون « يحيا سعد ! » وقد رفعوا بأذرعهم صورة زغلول . ولكننى لا أعرف يوضح ان كان ذلك يوم ان أرسل المناضل العجوز الى جزيرة سيشيل أو عند عودته » . أما عن جمال الاسكندرية فقد أسهب فيه الحديث ، وتغننت بتعايش مختلف الجنسيات فيها وذلك « لسعة قلبها وصدرها » ، وتحدثت عن طبيعتها وبحرها وشواطئها وحدائقها وهوائها وسماؤها ومينائها وأهلها .. فقالت عن بحر الاسكندرية :



איתן הסבע הראשון. הראשי, השולט בתודעתי מימיהילדות,  
 היה הים. ריחו, משביו המלוחים, הגיעו לרבעים המרוחקים  
 ממנו ביותר, אך אנו מעולם לא היינו רחוקים ממנו באמת.  
 ים רוגע, חלק, שקוף, בהירבהיר, ים כחול שעל גליו הלבנים  
 בגיל צעיר מאוד סבלנו בו, למדנו להכיר ולאהוב את חוסו, את החול

(A)

أولى قوى الطبيعة الرئيسية التي خالجت شعوري منذ الطفولة  
 كان البحر ، نضاه ، هواؤه الملحي الذي كان يصل إلى أحياء بعيدة عنه  
 للغاية ، ولكننا لم نكن بعيدين عنه في الحقيقة .. بحر هاديء أبيض ،  
 شفاف ، صاف ، للغاية ، بحر أزرق ينعكس على موجه الأبيض ضوء  
 الشمس بقوة .. وفي سن صغيرة جدا سبحنا فيه ، وتعلمنا أن نعرف  
 ونحب شواطئه ورماله .

وعن حديقة أنطونيا ديس في الاسكندرية تقول :

אילנותיו גבוהים לאירשיעור. דשאיו המטופחים לא נועדו  
 לשחק ולחתגלגל עליהם. עם זאת זוכרת אני גבעה אחת —  
 ודאי מלאכותית — עוטת דשא. בראשה התנוסס פסל שיש לבן,  
 מאוחם ססלים שאיכלסו את כל הגן. היטב זכור לי גילגול  
 מלמעלה עד למטה, וריח הדשא המשפר. נדמה לי שכבר אז  
 הכרתי את כל השיחים וסוגי הדשא בשמותיהם. איני יודעת אם  
 מאז ועד היום ראיתי גנים שבהם לא חתגלגל אף עלה אחד  
 כמוש. — אין ספק שידיים למכביר עמדו לרשות הטיפוח הזה (א)  
 שאין לו קץ.

« أشجار عالية بلا حدود ، أذكر أن عشبها الذي غرس بعناية لم يكن مخصصا للعب أو التدحرج عليه .. وأذكر مع ذلك تلك الهضبة — التي ربما كانت صناعية — وقد كستها الأعشاب . أذكر أنه كان عند مدخلها تمثال مرمرى أبيض ، واحد من تماثيل عديدة انتشرت في جنبات الحديقة . أذكر التدحرج من أعلى الى أسفل ، وأذكر شذى العشب الذي يستأثر بالألباب .. وخيل الى أنني قد عرفت آنذاك كل النباتات وأنواع العشب بأسمائها .. اننى لا أذكر أنني شأهدت منذ ذلك الوقت وحتى الآن حديقة لا تتدحرج فيها ورقة ذابلة واحدة من أوراق الشجر . ولا شك أن آياد كثيرة كانت وراء هذه الرعاية اللأنهائية .

وبعد أن وصفت الكاتبة كل جزئية من جزئيات الاسكندرية وأفاضت فيها بالمدح والثناء نجدها تقول عن الاسكندرية كلها .

משתחלתי לקרוא ספרים ידעתי שאין במלוא תבל כולל מקום  
כאלכסנדריה זו, הידועה לי בליכך.

(١٠)

« منذ أن بدأت أقرأ كتباً عرفت أنه لا يوجد في الدنيا كلها مكان مثل الاسكندرية التي أعرفها » ..

واذا كانت راحيل مكابي قد أفاضت في وصف الاسكندرية بكل ما فيها باعتبارها مهدا الأول الذي تعلمت فيه كل شيء ، فانها تحدثت كذلك عن مصر ومدنها وقراها ، فقالت عن « نيل القاهرة الساحر » :

מביקורים ראשונים בקאהיר זכורים לי היאור רחב-הידיים,  
זרמו העצל והרוגע, מימיו העכורים, שעליהם נישא שסע סירות  
גדולות ואטיות, בעלות-מסרשים.

זוכרת אני את שסעת ירק-הגנים, שעל גדות היאור בקאהיר  
ואיים גסועים בו, \* \* \* \* \* את כל יופיו של הנהר עתידה  
הייתי לראות לאחר שנים, כאשר ביקרנו בלוקסור ועד אסואן  
סלעים עצומים ושחורים, עצים מוזרים,

(١١)

من الزيارات الأولى للقاهرة أذكر النيل وفرعيه المتسعين ، أذكر تدفقه الهادئ البسيط ، ومياهه العكرة التي تحمل فوقها العديد من القوارب الشراعية الكبيرة التي تتسم بالبطء .. أذكر حدائق خضراء كثيرة على ضفاف نيل القاهرة وفي الجزر التي تقع بداخله ، لقد لمست جمال هذا النهر بعد ذلك بسنوات حين قمنا بزيارة للأقصر وحتى أسوان صخور هائلة سوداء ، وأشجار غريبة ... »

ويتدفق حب راحيل مكابي لطبيعة مصر وبهاؤها فتتساب الصور الایچ بیه وتنتشر بین کل ثنايا القصة حتى قالت :

עורך מגיל צעיר, כמדומה, עוז היתח בי מחושת חסבע, חצמח  
וחסרת. . . . משום שארץ זו בה נולדתי נתברכה בסבע שופע  
ומוריק,

(12)

« منذ سن صغيرة كما يبدو ، غمرني الاحساس بحب النبسات والزهور ، ذلك أن البلد الذي كنت أعيش فيه ينعم بالطبيعة المتدفقة الخضراء » .

أما الأمثلة التي تدلل بها الكاتبة على رغد العيش ورفاهية الحياة التي تمتعت بها أثناء إقامتها في مصر فهي منتشرة في كل ثنايا القصة ، بدءا بالقصر الفخم الذي كانت تعيش فيه ومرورا بالمدرسين الذي علموها مختلف اللغات الأجنبية ( الانجليزية والفرنسية والإيطالية ) والموظفين القائمين على ادارة أعمالهم وشؤونهم التجارية ، والسائقين والمربيات والوصيفات والخدم وغيرهم من العاملين داخل القصر ، ونهاية بوصف « كلبها » الذي كان يعيش هو الآخر في رغد حتى قالت عنه راحيل مكابي :

דודתי גבריאלה היתה נושאחו בתוך ארנק ..... לאחר  
חירותה היו מגישים לו בכבוד ובחיבה שוקולד

(13)



» كانت خالتي جبرائيلاً تحمله داخل حقيية ، وبعد الوجبة كانت  
تقدم له بكل احترام وحب شيكولاتة ٠٠٠٠ » .

وتقول في مكان آخر :

דומה שאפילו כוס מים לא נהגנו ליטול בעצמנו. הנזקק לכוס  
מים היה מצלצל בפעמון ומבקשו מידי הסודאני, אשר בצעדים  
בלתי-נשמעים היה צץ מתאום בחדר, מלוא קומתו האפלה  
ובגלימתו הלבנה. החגורה חגורה אדומה, כאשר בידו טס כסף  
ועליו כוס מים מהבילי-ציגות.

(١٤)

» ويخيل الى انه حتى كوب الماء لم نتعود أن نحضره بأنفسنا .  
ومن كان يريد كوباً من الماء كان يضغط على الجرس ويطلب السوداني ،  
الذي يظهر فجأة في الحجرة ، بخطوات غير مسموعة ، بقامته السوداء  
المنتصبة وجلبابه الأبيض وحزامه الأحمر ، ويحمل في يده صينية  
فضية عليها كوب من الماء ينبعث منه بخار بارد » .

وهكذا عبرت راجل مكابي عن آحاسيسها ابان الفترة التي قضتها  
من حياتها في مصر ، تلك الفترة التي أحبت فيها أهلها وتعاطفت معهم  
ومع قضائهم ضد المستعمر الأجنبي فقالت :

ובחזרמניות הלא נדירות של ביקורים בכפרים המצויים עם אבא, מרד נעורי היה  
גואה בתוכי כאשר נחו עיני על מעדרים אלה, שבידי הפאלחים היחפים, בצעדים  
באיטיות בטיס הכוצי וחדבוק. אם לא הצליח שלטון המהפכה המצרית לזקוף את קומתו  
של הפלאח הזה מעל למעמדו ולשלפו מתוך טיס שדתו ומתוך ביצות האורז ושיעבוד  
קטיף הכותנה - לשווא כל המליצות. ראיתי כפר שלם, שקוע בעבודת שתילת האורז,  
גב כפוף, פנים חסרי הכעה, עיניים עטורות זבובים. בלבי היתה איתנה החחלטה,  
לא איתנה מרווחים שנסחטו מאלה. לא האמנתי שהם אותבים להתגורר בבקתות חסין  
חסרות החלונות, יחד עם חמורם ופרתם, כאשר התרנגולות מדלגות על הסף. לא  
תאמנתי שהם בוחלים במים זורמים וחפצים דוקא ב'ברכה' שכטבור הכפר, במימיה  
המרוטטים תמסמסים לנשילת ידיים, לשתייה, לרחצה ולכל יתר הצרכים. אף על פי  
כן תיתת רווחת בין האירופים סברא ש'הם אוהבים לחיות כך'.

(١٥)

» وفى مناسبات غير قليلة وفى زيارات للقرى المصرية مع أبى ، كانت ثورة الشباب تنتفض فى داخلى حين تقع عيناى على تلك المعاول والفتوس التى بمسكها الفلاحون الحفاه ، وهم يخطون ببطىء نحو ذلك الطين الناعم الزج . . . إذا لم تنجح سلطات الثورة المصرية فى رفع هامة هذا الفلاح المصرى وانتشاله من هذا الطين ومن وسط جذور الأرز وعبودية جنى محصول القطن ، فإن كل بلاغة أو فصاحة تصبح ضربا من ضروب الهوى والعبث . . . لقد رأيت قرية كاملة غارقة فى العمل فى زراعة الأرز ، ظهور مدينة ، وجوه تفتقد الى التعبير ، عيون يملؤها الذباب . وكان القرار فى داخلى قويا ، ألا أستمتع بالأرباح التى ابتزت من أولئك . لم أصدق أنهم يرغبون السكى فى أكواخ طينية بلا نوافذ ، سويا مع حمارهم وبقرتهم ، بينما يقفز الدجاج فوق الأطفال . . . ولم أصدق أنهم لا يحبون المياه المتدفقة السارية ، أو أنهم يرغبون فى مياه تلك البركة التى تتوسط القرية ، مياه راكدة تستخدم فى غسيل الأيدي وفى الشرب والاستحمام وسائر الحاجات والأشياء . . وبالرغم من ذلك فقد ساد بين الأوروبيين اعتقاد مفاده أنهم لا يحبون أن يعيشوا هكذا . . . »

ولم تكن أنداس هارثيل داجان <sup>16</sup>אנדאס הארצל דגן أقل حبا لموطن ميلادها الأول مصر من راحيل مكابى بل انها تغنت فيه شعرا ، ونظمت له ديوانا منفصلا تحت عنوان <sup>17</sup>אפואסה קהירית قصيدة قاهرية (١٧) ، يفيض شعورا مرهفا وشوقا ملتها وينساب بذكريات الطفولة والشباب التى ترسخت فى وجدانها عن مضر ومدنها وأحيائها وشوارعها وأزقتها ، فقد استهلت ديوانها بالحديث عن مصر بصفة عامة فقالت :

וְזֶכֶר הָאָרֶץ הַהִיא  
לְמִשְׁמֶרֶת  
אֵיךְ הָיִינוּ פְּחוּלָמִים

מלב טעם הסמך  
הדגלה והשמים  
על פה.

אין אבי  
לא מלאו לבו  
לגוד מארצו,  
מולדתו —  
בית אביו.

עד שאפלה  
נפשו בגעגועיו.  
שוכן עפר אבי  
פארץ נהיא

(18)

ذكرى هذا البلد  
حفظناها  
كيف كنا كالحالمين  
من شدة حلاوة النخيل  
والعجوة والزيتون  
حين يلامس الفم  
كيف، لم يجد أبي  
الجرأة  
ليهجربلده  
وطنه  
بيت أبيه  
حتى بادت  
نفسه حنيناً إلى الوطن  
ان أبي يرقد اليوم تراباً  
في ذاك البلد



شهي تذكر صراحة أن أباهما رفض أن يهجر من مصر باعتبارها وطنه  
وبلده وذكرياته . وأنه ظل فيها حتى وافته المنية ووري جسده ثراها ،  
ولذا فإن ارتباطها بمصر هو ارتباط دائم لأن أباهما قد بات يشكل جزءا  
من ثرى مصر . . . ثم قرضت أندا قصيدة أخرى تحت عنوان  
القاهرة ، عبرت فيها عما يعتل في وجدانها من حب لها فاضت ثساء  
وتقريزا لمدينة العاصمة حيث قالت فيها :

עיר ילדותי האחרת  
עיר אבי הנוקרת  
את המקור  
לאשי הנם לרגלי המקור.

בעירי הארמונות נוטסים  
רבש סרובים ומקנחת שושנה  
נהסקטאות פונסות ילדים

(١٩)

مدينة طفولتي الأخرى  
مدينة أبي التي سأذكرها  
حتى الغد وأذكر  
رأسي التي نامت عند جذوع النخيل  
في مدينتي القصور تقطر  
شهد الخروب ومربي الورد  
والأزقة التي تجمع بين الأطفال

وفي قصيدة رחוב דהר شارع الظاهر ، تصف نساء مصر بالفضيلة  
 والتزامهن بناموس الأخلاق ومحافظةهن على تعاليم دينهن فتقول :  
 הנה בנוסיה רעולות פנים  
 אוסרות בקרה  
 אינשאללה

ברחוב דהר

(20)

בסער בית-הפנס  
 צץ גויקה נותן רוחו -  
 הן אן בנותה ירטידין החجاب  
 ותקלן ברקה  
 אן נשא الله  
 فی شارع الظاهر  
 فی فناء المعبد  
 شجرة جوافة ترسل شذاها

بل انها تشير في قصيدة أخرى الى أمن اليهود وحریتهم في  
 ممارسة شعائرهم الدينية حين كانوا يعيشون في القاهرة ، ففي  
 قصيدة بعنوان ברחוב עבסיה فی شارع العباسية تقول אנذا :

נדעם  
 אם תבנו את לקך אל  
 רחוב עבסיה  
 ותקשיב לקולות העולים  
 משכונת היהודים;  
 אם בתצרות ובפתים מתבונן,  
 מבחין באותיות העבריות  
 הפורחות עד שיט-ההדס  
 השוכן בטח בגגות  
 בית-הפנס שבסקקיני,

(21)

ستعرف

إذا اتجهت بقلبك الى

شارع العباسية

وأصعيت للأصوات الذى تتردد

من حي اليهود

وإذا أمعنت النظر فى الأفنية والمنازل

سوف تميز حروفا عبرية

قرمر حتى شجرة الآس ( نبات عطري )

التي تقف آمنة فى حديقة

المعبود بالسكاكىنى

ولم تكثف أنداء هارثيل داجان بالتعبير عن ذكرياتها وحبها لموطنها  
الأول بقرض "شعر وتضمينه الصور الأدبية الفنية نقط ، بل انها رصعت  
ديوانها بالعديد من الصور الفوتوغرافية لأحياء القاهرة ومعالمها المختلفة  
التي تعبر عن تاريخها الطويل وخضرتها اليانعة ، ومروجها المزهرة ونيلها  
الخالد وأهرامها الشامخة وماذاؤها العالية ...

وعلى النقيض مما ورد فى قصة راحيل مكابى « مصر التى لى »  
التي تفيض بالعديد من الصور الايجابية ، نجد قصتي جاكلين كاهانوف (٢٢)

אקלית בן זכרון ונחמה בן זכרון (المولد فى مصر « כסא במצרים

« الفصح فى مصر » (٣٣) ، يكتنفهما العديد من الصور السلبية لمصر .

وجاكلين هذه ولدت فى القاهرة عام ١٩١٧ ولم تغادرها الا عام  
١٩٤٠ ، وقد ضمنت قصتها كل ما مر بحياتها منذ نعومة أظافرها حتى  
بلغت مرحلة الشباب ، وفى خضم ذكرياتها الخاصة تحدثت عن العادات  
والثقاليات التى تتسم بها مدينة القاهرة فى المواسم والأعياد ، كما أبرزت



— فی صدر قصنها الأولى — ذاك التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع المصري آنذاك، وأشارت الى أن الغالبية العظمى من المواطنين كانت تعاني شظف العيش وقلة الموارد . بينما تتركز الثروات الأساسية في أيدي حفنة قليلة من الأتراك والانجليز ، فهي تقول :

... חשתי שערבים מרובים יותר משאר בני-אדם, ושהם עניים : הם היו משרחים, רוכלים, אביונים הסוססים זרועות שאין להן ידיים, רגליים שאין להן כפות, עיניים שאין בהן מאור, הקוראים אל אללה שיעורר את הבריות לתת להם גרוש של-כלום, וילדיהם היו מחסטים בסחי-האשפה למצוא בהם דבר למאכל. הערבים העשירים היו פחוות, אך הללו חורבים היו בעצם.

(32)

« شعرت أن العرب أكثر عددا من سائر البشر ، وأنهم بؤساء ، فهم خدم أو باعة متجولون أو متسولون يمدون أذرعة مقطوعة الأيدي وأقداما منزوعة الأكف ، عيونهم غير مبصرة ، يدعون « الله » لكي يحث الناس على إعطائهم قرشا لا يحتاجونه . كما كان أبناؤهم يفتشون في سلال القمامة عليهم يعضرون على شيء يأكلونه ، أما العرب الأغنياء فقد كان عددهم أقل ، وهؤلاء كانوا من الأتراك بشكل خاص » .

وبالرغم من أن الكاتبة عربية النشأة والأصل — حيث ولد أجدادها في تونس ووالداها في العراق وعاشوا جميعا في مصر — إلا أنها تنكرت لكل ذلك ، فهي تقول أنها كانت ذات مرة في أحد فنادق الاسكندرية ، والتقت معها سيده انجليزية وسألته عن جنسيتها فلم تستطع الاجابة :

... ידעתי שאינני מצריה בדומה לערבים, אך ידעתי גם כי כושית היא לאדם שלא ידע מהו.

(33)

« أدركت أنني لست مصرية شبيهة بالعرب ، ولكنني عرفت أيضا أنه من العار على الانسان ألا يعرف ما هو .... »

والغريب أنها حين روت لأמהا ما حدث عنفتها الإه وقالت :

שכאשר בני-אדם שואלים אותי שאלה כזאת עלי לומר שאני

(34)

אירופית. סבלתי,

• عندما يسألني أي إنسان سؤالاً كهذا يجب أن أقول أنني  
أوروبية •

ثم تستلهم الكاتبة أوهايم الماضي البعيد وما ترسخ في وجدان  
بنى إسرائيل تجاه مصر عبر العصور ، فجمال نهر النيل لا يكمن في طبيعته  
وانسيابه بين أرجاء الوادي وما يحيط به من خضرة الى غير ذلك ، ولكن  
يكمن في أنه يذكرها بقصة موسى وصراعه مع فراعنة مصر ، فهو النهر  
الذي عثرت فيه ابنة فرعون على الصندوق الذي كان موسى قد وضع  
فيه •

• שיחקנו ליד הנהר הזה שבו מצאה בת־פרעה את משה, ובמקום שאולי  
זכר נולד זה העתיד להיות משיח, פעוט הייטן בין קני־הסוף.

(٢٧)

« لعبنا بالقرب من هذا النهر الذي عثرت فيه ابنة فرعون على  
موسى ، وفي ذلك المكان الذي يحتمل أن يكون قد ولد فيه من أصبح  
— بعد ذلك — مخلصاً ، عثرت عليه غلاماً نائماً بين سيقان البردي ••

ثم تنتقل الكاتبة فجأة من الماضي الى الحاضر ، ومن موسى « قائد  
الخلاص القديم من مصر » الى « المسيح المنتظر » الذي سيقود عملية  
الخلاص الجديد ، وتربط بين ذلك كله وبين الوضع الاجتماعي البائس  
للشعب المصري فتقول :

..... המשיח יביא  
את הזמנים שבהם לא יהיו גוצרים; ולא מוסלמים, ולא יהודים ולא אנשים  
לבנים, שחומים או ורודים, ולא יהיו עוד נסיכים החופזים ועוברים במכוניות  
גדולות ואדומות, נסיכים שקרום עשרם העבה הקשה את לבבם עד כדי כך  
שאינן הם יכולים לא לראות ולא לשמוע ולא להריח את העניים המשתופפים  
ליד שערי בית־החולים קצר־אל־עיני, מקום שהאוזיר מלא את צחנת פצעי־הם.  
יחפ־רגל ייצאו הנסיכים לקראתם, ובעלי־המומים, החולים, העניים והנדכאים  
יקומו ויסלחו ורפא להם.

(٢٨)

« سيكون زمن المسيح خلوا من النصارى والمسلمين واليهود ، واخلوا من أشخاص لونهم أبيض أو أسود أو خمري : واخلوا من أمراء يسرعون بسياراتهم الفارهة الحمراء . أولئك الأمراء الذين يكون ثراؤهم غشاوة سميكه فوق قلوبهم ، غشاوة لم تمكنهم من أن يروا أو يسمعوا أو يشتموا أولئك البؤساء انواقفين أمام أبواب مستشفى قصر العينى ، ذلك المكان الذى يمتلئ الجو فيه برائحة جروحهم الكريهة ، سيخرج الأمراء ( فى زمن المسيح ) الى الحفاة والمشوهين والمرضى والفقراء المطحونين ، وسيعتذرون لهم ويعالجونهم ... »

فالقارىء لقصتى جاكين كاهانوف يدرك تماما مدى سيطرة الفكر الدينى اليهودى عليها ، وعلى مجريات الأحداث داخلها ، فهى ترى أن خلاص المصريين من الانجليز والأتراك — وهم طبقة الأمراء والنبلاء فى الفقرة السابقة — لن يتم الا عن طريق المسيح المخلص الذى سيأتى فى زمان لا فرق فيه فى الجنس أو اللون أو العقيدة ، بالإضافة الى حديثها عن الموت وفكرتى الاختيار والخلص وبعض المفاهيم الدينية الأخرى .

والقصة الثانية وعنوانها : « الفصح فى مصر » لم تخرج تقريبا عن الاطار السابق ، فالعنوان ذاته يتعلق بعيد دينى يهودى تتخلله طقوس خاصة وتكتنفه أفكار معينة ترجع الى عصر خروج بنى اسرائيل من مصر تحت قيادة موسى . ويتخلل وصف طقوس الفصح عند يهود مصر بعض التساؤلات الدينية ، تطرحها الكاتبة اعتقادا منها بأن هذه التساؤلات تهمين على عقول الأطنال وألبابهم فى سنهم المبكرة ، وهى تساؤلات تتعلق بالآلهة والأنبياء والخير والشر والبعث والفناء وغير ذلك ، وترد جاكين كاهانوف على هذه التساؤلات من منطلق رؤيتها الخاصة المتأثرة — الى حد كبير — بالأفكار العينية اليهودية . وفى حوار مع صديقتها الدائمة « حداريا » حول الترانيم التى يرددوها اليهود فى عيد الفصح ، روت جاكين لصديقتها ما يردده اليهود — فى هذه المناسبة — خاصا بمصر والمصريين ، والفراعنة وما فعلوه مع موسى واليهود ،



وما وصفت به مصر من أنها « أرض العبيد » فتورد عليها « حداريا »  
الصغيرة قائلة .

..... "يا אללה", אמרת, "איך אפשר ? אני  
בטוחה שאבא שלי ואבא של אבא שלי, ואף אחד מאתנו לא היה עושה דברים  
כאלה לך או לאבא שלך או לאבא של אבא שלך. אני אוהבת אותך, את חברה  
שלי!"

(٣٩)

« يا الله . قالت ، كيف يمكن هذا ؟ اننى - اثقّة من أن أبى وجدى  
لم يفعل ذلك ببل لم يفعل أحدنا هذه الأمور لك أو لأبيك أو لجديك ،  
اننى أحبك فأنت صديقتى .. »

بيد أن الكاتبة تؤكد وتكرر ايمانها بما ورد فى هذه التراثيم ، ثم  
تؤكد أن « فلسطين هى أرضهم الموعودة » ، ومرة أخرى ترد عليها  
حداريا الصغيرة قائلة :

..... "أبأ שלי עלה לרגל  
למכה וכאשר הוא מתפלל הוא פונה אל מכה, אבל בכל זאת מצרים היא  
ארצו. אז, כמובן, את העלי לרגל לפלשתינ, כיוון שנבי מוסה שלכם הליך  
אתכם לשם. פלשתינ היא מכה שלך, זככה זה בדת, אבל מצרים היא הארץ  
שלך, ואנחנו תמיד נהיה חברות טובות".

(٤٠)

« لقد سافر أبى ليؤدى فريضة الحج ، وهو حين يصلى فانه يجعل  
مكة قبلته ، ومع ذلك كله فان مصر هى وطنه . وهو ما ينطبق عليك حين  
تذهبن الى فلسطين كي تؤدى فريضة الحج ، فعلى القبله التى اتجه  
اليها نبيكم موسى معكم ، ففلسطين بالنسبة لكم هى مكة ، وهذا هو الدين ،  
ولكن مصر هى وطنك وسنظل دوما صديقتين طبيعتين » .

وكان طفلة مصرية صغيرة منحت بياناً كفانا مؤونة الرد أو التفنيد،  
نبقة صغيرة عبرت عن روح شعب بأسره ، روح سمحة عبرت عن تاريخ  
طويل — طول الزمان — فيه تعايشت الأديان على اختلافها على ثرى  
مصر فى حب وأمن وسلام ، وبالرغم من ذلك كله ترد « جاكين » عليها  
قائلة :

דבריה של חדריה היו דברים של טעם, ובכל זאת, ניבא לי לבי שהענינים  
אינם פשוטים כל כך. אנחנו נבחרנו והבטיחו לנו שנחזור לארץ היעודה.

(٢١)

كانت كلمات حداريا ذات معنى ، وبالرغم من ذلك ، فقد أنبأنى قلبى  
أن الأمور ليست سهلة الى هذا الحد . فقد وقع علينا الاختيار وتلقيننا  
وعدا بأن نعود الى أرض الميعاد !

أما رواية اسحق جورمزانو جورن<sup>(٣٣)</sup> 1772 1772

وعنوانها 277 277 277 « صيف اسكندري » (٣٣) .

فانها لا تدور حول السيرة والتراجم الذاتية كما فى قصص كل من راحيل  
مكابى وجاكين كاهانوف ، وانما هى رواية ابداعية تتضمن مختلف  
المؤامرات الفنية للقصة من حيث الحكمة والشخصيات وتطور الحدث  
فهى تدور حول حياة الأسر اليهودية فى اسكندرية فى العقد الرابع  
من هذا القرن ، وقد خلع الكاتب فيها على هذه الأسر صفات وخصالا  
تنطوى على قدر كبير من الثراء ورغد العيش ، فمن بين هذه الأسر تبرز  
أسرة هوايتها سباق الخيول ، ويحاول رب الأسرة أن يحقق فى ابنه  
طموحات لم يستطع تحقيقها فى نفسه ، ويعانى الابن من ذلك معاناة  
قاسية ثم تتطور أحداث الرواية ويقف الابن فى مضمار السباق متنافسا  
مع « دافيد » القادم من صحراء ليبيا ، وهو فتى أسود اللون بحيف  
القوام امتلا وجهه بالتجاعيد .. والرواية لم تخل من الثناء على جمال

المنطقة التي تدور فيها الأحداث . حتى أن الكاتب يصف الاسكندرية بأنها  
ملهمته التي تؤجج في وجدانه الخيال :

אותה אלכסנדריה שידעתי בילדותי, אלכסנדריה זו המזינה את  
דמיוני יותר מעשרים שנה, מזמן שיצאתי ממנה בעשרים ואחד  
בדצמבר אלה תשע מאות חמישים ואחת, ואני אז בן עשר.  
(٣٤)

» تلك الاسكندرية التي عرفتھا في طفولتي ، الاسكندرية التي  
أججت خيالي أكثر من عشرين عاما ، منذ أن خرجت منها في الحادي  
والعشرين من ديسمبر عام ألف وتسعمائة وخمسين ، حين كنت في العاشرة  
من عمري ٥٠٠

وحين يحكى عن صيف الاسكندرية يقول :

..... , לספר על קיץ באלכסנדריה אני  
אומר : נוסע, מירוצי סוסים, שיט משרשיות, דיג קיסודיים, זלי-  
לת סרטנים, רומנים אמלטוניים (ולא-כל-כך אמלטוניים), סקקי-  
תנועת, סקקי-תנועה, סקקי-תנועה, צמירות, צמירות, צמירות של  
מכוניות ומכוניות ועוד מכוניות. כולן נהרות אל היקורניש,  
אותו רחוב המשקיף אל הים, שהיו הנפשים שוכרים שם צריסר  
נים כדי שלא יהיו אנוסים להתפשט במלתחות הציבוריות

(٣٥)

» حين أحكى عن صيف الاسكندرية فاننى أقول : استجمام مسابقات  
الخيول ، الملاحة بالمراكب الشراعية صيد قنفذ البحر ، التهام الكابوريا ،  
الروايات الأفلاطونية وغير الأفلاطونية ، النفير ، النفير ، وسيارات  
وسيارات وسيارات ، كلها تتدفق نحو الكورنيش ، ذلك الشارع  
الذى يطل على البحر ، وكان المصيفون يستأجرون فيه عششا لكي  
لا يكونوا مضطرين لخلع ملابسهم في الحجرات العامة لخلع الملابس ٥٠٠



ثم يأتي وصف القاهرة والاسكندرية معا عن طريق الحوار الساخن والتهب بين طليز أحدهما قادم من القاهرة ليقضى فترة الصيف في الاسكندرية ، والثاني من الاسكندرية ذاتها ، وكل منهما يحب مدينته حبا شديدا ، ومن خلال ثناء كل منهما على مدينة وهجاء المدينة الأخرى أظهر الكاتب محاسن المدينتين وعيوبهما في آن واحد :

.....  
 לשאלת הנצחיות אינו עיר "שנה" יותר, קאירו או אלכסנדריה.  
 כנגד טענתו של ויקטור שקאירו היא הבירה, אומר רובי שאלכס-  
 סנדריה היא הנמל השני בגדלו ביסית-תוכן והגדול במרחב-  
 התיכון. ואם, כדברי ויקטור, קאירו גדולה יותר ומספר תושביה  
 רב יותר, "אלכס", כדברי רובי, "יותר תרבותית ו" ויקטור מוחה  
 בהחמרתו, דבר מופרך הוא מעיקרו, אבל רובי בשלו: "חוץ  
 מזה, באלכסנדריה יש ים, ומה יש בקאירו? מדבר?" "פיראמי-  
 דה? אחד משבעת פלאי-עולם?" "וכן המגדלור  
 גם זה אחד משבעת פלאי-עולם?"

(١٣)

«ومن هنا كان الطريق المختصر للسؤال الابدی: أي مدينة أكثر قيمة القاهرة أم الاسكندرية ؟ فردا على مزاعم فيكتور بأن القاهرة هي العاصمة ، يقول روبي ان الاسكندرية هي ثاني موانئ البحر المتوسط حجما ، وأكبر موانئ الشرق الأوسط . وإذا كان فيكتور يقول ان القاهرة أكبر وأن عدد سكانها أكثر كثيرا ، فان الاسكندرية — طبقا لكلام روبي — «أكثر تحضرا» ، وفي الاسكندرية يوجد بحر ، فماذا يوجد في القاهرة ، صحراء ، «أهرامات : أحد عجائب الدنيا السبع ! فهنا الففار، وهو أيضا من عجائب الدنيا السبع ..» . ثم يصف جور مزانسو الاسكندرية بأنها مدينة يستطيع الفقراء أن يعيشوا فيها حياة هائلة خالية من التعقيدات وارتفاع تكاليف المعيشة فيقول :

..... לכן אני אכתוב  
 אותה בליכר, את אלכסנדרית. עיר שנתנה בדרך לחיות חי לזר  
 חסרי דאגות בלי שחיה מילינר.  
 אחת משופר משלושית עד נאה לירות שסרלינג לחודש. משלם  
 ארבע וחצי לירות שכר דירה, וחי בארמון, מוקף משרתים שכל  
 אחד מהם משתכר שתי לירות לחודש.

(32)

» אנני על איה חאל אהב האסקנדרית , תלך המדינה التي تستطيع أن  
 تحيا فيها حياة اللوردات دون متاعب , ودون أن تكون مليونيرا , أنك  
 تنفق من ثلاثين الى مائة جنيه استرليني , وتدفع أربعة جنيهات ونصف  
 ايجارا للشقة , وتعيش في قصر , محاطا بالخدم الذي يتقاضى كل منهم  
 جنيهين في الشهر كأجر . »

ואזא קאן הכאטב קד אסעב פי وصف الطبيعة المصرية , واثنى على  
 الآثار التي تتمتع بها مصر , وعلى يسر الحياة فيها , الا أننا لانهثر –  
 في الرواية كلها على وصف ايجابي واحد للانسان العربي بوجه عام  
 والمصري بوجه خاص , بل ان شعورا سلبيًا يخالجنا حين ننتهي من  
 قراءتها , وهو شعور لا يبريء ساحه הכאטב מן حيث تعمدده وصف  
 المصريين بالصفات السلبية الكثيرة التي بثها بين ثنايا الرواية من اولها  
 حتى نهايتها . فبالرغم من أن احداث الرواية تدور على أرض مصرية وبين  
 المجتمع المصري , الا أن الشخصيات المصرية الممثلة فيها عبارة عن  
 » الخادم » و » البواب » و » مروض القروء » الذي يمسك في يده  
 قردا ودفا ويبيع في الشوارع ضوضاء انتظارا لقروش قليلة من  
 هذا أو ذاك , بالإضافة الى » أولئك الجالسين على المقهى لا عمل لهم  
 سوى تدخين النرجيلة والاستماع الى أغاني أم كلثوم » بل أن سلبية  
 الصفات عند הכאטב وصلت الى حد قوله :

..... שהיו חנופשים שוכרים שם צריסר  
 נים כדי שלא יהיו אנוסים להחפש במלחמות הציבוריות עם  
 כל הערבים.

(33)

« ان المصيفين كانوا يستأجرون هناك عششا لخلع الملابس كسى  
لا يكونوا مضطرين لخلع ملابسهم فى الحجرات العامة لخلع الملابس -  
سويا مع كل العرب » .

وكان الاقتراب من العرب فى مكان واحد من شأنه أن يصيبهم بالأوبئة  
والأمراض ، أو كان هذا الاقتراب سيحط من قدرهم وجلالهم وسموهم !!  
ولم يكتب الكاتب بانتقائه مهنة البواب والخادم ومروض القردة  
والعاطلين للشخصيات العربية المصرية فى روايته ، بل انه وصف هؤلاء  
أيضا بأنهم شخصيات تحمل فى داخلها الرذيلة والخيانة وسوء المقصد ،  
فالخادم يرلود خادمة أخرى عن نفسها ، ثم يحاول بعد ذلك مراودة  
سيدة (٣٩) ... كما أن البواب والخادم « لا يعملان الا اذا حصل  
على البقشيش لأنهما لا يقنعان بأجرهما » ، بل أن الخادم « تغلى  
عن أمانته وقتل ضميره فى سبيل قروش معدودة حين أرسله «فيكتور»  
ليضع خطابا فى صندوق البريد ، وأرادت الجدة أن تعلم سر الخطاب  
فراودت الخادم « سالم بالترهيب تارة وبالترغيب تارة الى أن حصلت  
على ما تريد » .

סבתא מבינה שרק הבקשיש יתיר את מוסרותיה.  
"אל-קאהירא" באח החשוכה.  
"ואל מי בדיוק בקאירו?"  
עוד מיל בקשיש נהאינסורמציה נפלטה החוצה, כמכונה האמר  
רוקאית הזאת שאתה עולה עליה ומכניס חצי פיאסטר ויוצא מתק  
עם המשקל שלך.



« فالجدة تدرك أن البقشيش فقط هو الذى سيخرج أسرار  
المكتومة » .

الى القاهرة : جاءت اإجابة

والى من بالاضبط فى القاهرة ؟

مليم آخر من البقشيش وتندفع المعلومة الى الخارج ، كتلك الآلة  
الأمريكية التى تصعد عليها ثم تضع فيها نصف قرش فتخرج تذكرة صغيرة  
عليها وزنك ... »

\* \* \*



## الفصل الثالث

### صورة مصري الارض المحتلة فى الادب العبرى

واذا كنا قد تحدثنا عن صورة مصر فى عيون أبنائها من اليهود المهاجرين الى فلسطين ، وهى صورة تراوحت بين الايجابية والسلبية ، فاننا هنا بصدد صورة المصرى الزائر لفلسطين أو المقيم فيها فى نظر أدباء العبرية ذوى النشأة المختلفة . وهى فى مجملها صورة سلبية تتسم بالكراهية التاريخية لمصر وأهلها وكل من وفد منها ، حيث توصف هذه الفوعية من المصريين بالجهل والتخلف ، والحماقة والرعونة والأنانية وغير ذلك من صفات سيئة تنصح بالحق والذعر وتعود بجذورها الى العنصرية التى تميز فكرهم الأسود والتى تشكل فكرتا الاختيار والخلص شقى الرعى فيها ، والتى ينظرون من خلالها الى أبناء الشعوب الأخرى باعتبارهم جنسا من الدرجة الثانية أو الثالثة لا يرقى الى مرتبتهم السامية ١١ ومن عجب أن فكرهم العنصرى الذى حدد نظرتهم الى أبناء الشعوب الأخرى لم يقتصر على مجال الصراع بين اليهود وغيرهم ، بل أصبح أكثر عمقا واتساعا حتى بات هذا الفكر العنصرى يحدد نظرة الاسرائيلى للاسرائيلى الآخر . وليس أدل على ذلك من ثنائية الاشكنازيم ( يهود الغرب ) والسفاراديم ( يهود الشرق ) التى تهدد المجتمع الاسرائيلى وتعصف بأمله فى الاستمرارية والبقاء غهاهم يهود الغرب ينظرون الى يهود الشرق — بما فيهم يهود مصر — نظرة متعالية ، ويرجع ذلك كله الى ما ينطوى عليه المجتمع الاسرائيلى من تناقضات طبقية وطائفية وثقافية فالأصول القومية ليهود اسرائيل تعود الى أكثر من مائة دولة (١) ، والأصول الثقافية لهم ترتبط بنحو ثمانين لسان (٢) ، ولذا يصعب ايجاد تآلف صناعى بين مختلف هذه الطبقات والطوائف والثقافات ، بل ان هناك من العوامل النشيطة ما يؤدى الى تفاعل هذا الصراع واحتدامه وتعميقه ، نذكر — على سبيل المثال — منها الصراع بين العرب واليهود داخل الأرض المحتلة .



وترتبيا على ما سبق فان نظرة أدباء العبرية الى مصريي الأرض المحتلة لا تتعدى أن تكون نظرة يهود الغرب الى يهود الشرق وهي نظرق كما أسلفنا القول — تتسم بالتعالى والغرور ولذا فان صورة هؤلاء المصريين تتسم دوما بالسلبية ، ومن عجب أن هذه الصورة السلبية قد تعدت كل المحواجز والحدود المألوفة في الصراعات الانسانية حتى وصلت الى الساحة الدينية ، فسخرت من رجال الدين وتلاميذهم وطرق تعليمهم وغير ذلك من أمور تلقى الاحترام والتوقير من كل انسان بصرف النظر عن عقيدته وجنسه . أما عن النظرة العنصرية للجنس فحدث ولا حرج ، فالأدب العبري ملىء بهذه النظرات اللاانسانية<sup>(١)</sup>

فها هي قصة جدعون تلغاز<sup>(٢)</sup> : ٦١٧٦٢ תלפז

מ' ٦٦٦٦ ס' ٦٦٦٦ ס' ٦٦٦٦

« ماء الورد من بور سعيد »<sup>(٣)</sup> ، تصور المصري باعتباره « خادما خائنا لا يستحق الا أن ينحن ويركع دوما ... »

وتدور القصة حول رحلة قامت بها أسرة يهودية من مدينة ملبورن في استراليا الى فلسطين مرورا ببور سعيد ، حيث استقبلهم فيها السيد « عنتابى » وهو صديق قديم للأسرة كان يعمل — فترة شبابه — مساعدا « للجد » فى أعماله التجارية فى مدينة « صفد » فى فلسطين قبل أن ترحل الأسرة كلها الى استراليا مما اضطر « عنتابى » للهجرة الى بور سعيد حيث أقام فيها بصفة دائمة واستطاع أن يحقق نجاحا هائلا فى أعماله وأن يكون ثروة عظيمة مكنته من أن يعيش حياة الرفاهية . وقد كانت هناك قصة حب قديمة بين السيد « عنتابى » وبين الأم قبل أن تتزوج بآخر ، وبالرغم من أن الأم ترملت بعد ذلك الا أن عنتابى ظل محافظا على حبه لها ... فبعد أن مات الزوج قررت الأم وأولادها العودة الى فلسطين ، وفى أثناء عودتهم عرجوا على بور سعيد حيث تم اللقاء مرة أخرى بين الأم وعنتابى الذى استضافهم عدة أيام فى قصره فى

بور سعيد . أخبرته الأم خلالها أنها بصدد افتتاح لوكاندة في القدس ، فأعرب عن استعدادة لمساعدتها إذا أرادت ، ثم واصلت الأسرة رحلتها الى فلسطين عبر مدينة القنطرة .

وبالرغم من أن هذه الأسرة اليهودية لم تمكث في بور سعيد الا قليلا . لكن المؤلف لم يثأ الا أن يصور مصر بالعديد من السلبيات ، بدءا من وصول الباخرة الى الميناء ورؤيتهم لندوبى الفنادق والشركات السياحية والباعة الجائلين والغوغاء والحمالين « الذين أصابوهم بالذعر والخوف والاضطراب »<sup>(٥)</sup> ومرورا « بشوارع بور سعيد الكثيرة »<sup>(٦)</sup> وبالخدم المصريين الذين يملأون قصر عنتابى . ولا يكفون عن الانحناء والركوع أمامهم »<sup>(٧)</sup> ونهاية بالرحلة الى فلسطين عبر القنطرة ، حيث استقلوا قطارا « قدرا ، يغطيه التراب ، ذا رائحة كريهة ، يستقله أناس يبعثون على الخوف والملل »<sup>(٨)</sup> .

وأخيرا تصل الأسرة الى القدس ، وتفتتح الأم لوكاندة ، ويعلم عنتابى فيرسل لها العديد من الهدايا بين الفينة والأخرى ، حتى كانت أعظم هداياه في عيد ميلادها : عبدا مصرية اسمه « أحمد » يصفه الكاتب قائلا :

כ"ס חסיד וכו'  
שחור, גלימתו הצחורה, הארוכה, כחציה כשנהב על שחור עורו.  
על מוחניו חגר אבנט ארגמני רחב, רגל מדחתו שחוט היה חרבוס  
(٩) אדום-כתה בעל גדיל מפזז.

« زنجى طويل القامة ، لونه أسود داكن ، ذو جلاباب أبيض طويل ، يتألق على جلده الأسود كأنه عاج : يتمنطق حول خصره بحزام أرجواني ويضع على جبينه طربوشا أحمر داكنا ذا جديلة تقراقص » .

وفي البداية قررت الأم أن تعيده ثانية الى السيد عنتابى ، ولكن تحت ضغط ابنتها وتوسلاتها أبقت عليه بعد أن وصفته ابنتها بقولها :

השני ע"י, כ"ס חסיד וכו'.  
(١٠)

إنظري اليه . انه معافى كالجاموس ... » !

وبسرعة أصبح هذا « العبد الزنجي » ساعدها الأيمن . ثم تنتقل القصة الى الصراع المحتدم آنذاك بين اليهود والانجليز في فلسطين . وتشير الى أن الابنة كانت تساعد منظمة الهجانا<sup>(١١)</sup> ضد الانجليز وانها كانت تخفي لديها موادا متفجرة وحارقه بالاضافة الى كم كبير من الأسلحة ، وقد ساعدها أحمد في اخفاء كل ذلك . ولكن يتضح بعد ذلك كلبه أن أحمد كان يبيع الفول السوداني في الشارع فأحست الأم بأن هذا السلوك يعتبر اهانة شخصية لها فتقرر اعادته الى مصر . وشخصية « أحمد » في القصة شخصية عبد ذليل ينحني دائما اذا خاطب أي انسان ، شخصية تتردى في ركن مهمل لا تغادره الا اذا طلب منها ذلك ، وهو « يقوم بتنظيف الأحذية » « وغسل أقسام الأسرة وتجفيفها » . وبالرغم من أنه يحصل على مأكله ومشربه وملبسه الا أنه « يخون » الأسرة ويبيع الفول السوداني في الشارع !

هذه هي احدى صور الانسان المصري في اسرائيل ، وهي من أخطر الصور السلبية التي ذكرت بها مصر في الأدب العبري ، والموضوع لا يحتاج منا الى تعليق ، خاصة وأن القضية قد باتت واضحة مكشوفة ، فهي قضية وجدان شكلته أوهام مضطربة ومتناقضة أثرت في سلوكياتهم على امتداد التاريخ الانساني كله ، وهي أوهام تناربت بين فكرة « شعب الله المختار » التي اكتظت بها عقولهم وبين فكرة المساواة التي ملأوا الدنيا عويلا من أجلها أثناء وجودهم في أوروبا ، وبين فكرة « الجنس والاون » التي تقبع في عقولهم وأفئدتهم والتي تهدم ادعاءاتهم من أساسها وتزيح الستار عن أخطر ما واجه الفكر الانساني في عصوره المختلفة .

أما قصة اليعازر سمولى<sup>(١٢)</sup> אזעזר סמולי وعنوانها חלוקה

חלוקה



« تشير لوردية » (١٣) فقد تعدت كل الحرجة واجتذرت كل ضوابط الفكر الإنسانى ووصلت الى ساحة الدين التى يجلبها كل انسان وينأى به عن أن تكون موضعاً من مواضع الخصومة أو العداء أو طرفاً من أطراف الصراع بين الانسان والانسان .

والقصة تدور حول اثنين من المدرسين يعملان فى فلسطين ، أحدهما مصرى والآخر يهودى ، وذات يوم قرر المدرس اليهودى أن يزور المدرس المصرى أثناء عمله فى الفصل الدراسى ، فاستقبله المدرس المصرى المصرى بالترحاب ، وحين دخل المدرس اليهودى فوجئ بأن الحجره غير صحيه على الاطلاق فهى « معتمه » لا تدخلها الشمس ، خالية من كل أثاث « وأن الأطفال يفتشون الأرض ، وان الحديث بين المدرس المصرى وبينهم لا يدور الا من خلال الجلد والسياط والمعنات ، ولذا فقد انبعثت منهم أصوات « تصم الآذان وتعصف بالأعصاب والأحاسيس أطفال أجسامهم عارية ، حفاة الأقدام ، أنوفهم ترشح بصفة دائمة ، يثنون من ذلك المدرس القاسى « ذلك المدرس « طويل القامة ، عريض المنكبين ، حافى القدمين ، يرتدى سترة طويلة ، ضخمة الجثة ، يضع فوق رأسه طربوشاً متهاكاً ، ويمسك بعصا طويلة فى يده ويضرب بها ما يشذ عن القطيع فيوقف هذا ويوبخ ذاك ، ويلعن ملأنا ويلكز الآخر ، ويشوه وجه طفل ويفقد الآخر عينيه » والأطفال بدورهم لا يكفون عن الضجيج واثارة الشغب .

فالصورة العامة التى يذكرها المؤلف تتسم بالجهل والتخلف والكآبة، وكأنه ليس فصلاً دراسياً لتعليم الدين ولكنه أرض قاحلة جرداء سيق اليها قطيع همجى من الأغنام يقوده راع متعجرف أحرق ، فالفصل سيئ والأطفال أسوأ والمدرس أكثر سوءاً . . وبعد تسعة شهور من هذه الزيارة يلتقى المدرس اليهودى بالمدرس المصرى فى القطار عن طريق الصدفة . ويعرف منه أنه فى طريق العودة الى مصر ليقوم فيها بصفة دائمة ، لأن أهل القرية التى يعمل فيها قاموا ببناء مدرسة جديدة وأنهم استغنوا عنه ليأتوا بمدرس جديد أحاطوه بالرعاية والاهتمام بينما أحاطوه بالسخرية والازدراء ، مما يعد جحوداً ونكراناً للجميل ،

خاصة بعد أن بذل عمره وأفنى صحته فى تعليم الأجيال المتعاقبة من مسلمى هذه القرية . ثم يلقون به فى نهاية المطاف خارج المدرسة ساخرين منه ، مما اضطر هذا المدرس أن يصفهم بأنهم « ذوو وجوه متحجرة » وأن « إيمانهم ضعيف » بل انهم « كفار ملحدون » لا يعرفون الرحمة ولا يخشون يوم لقاء الله !!

وهكذا لم ينج أحد من سلبية الصفات التى أطلقها المؤلف على الحجرة والمدرس والأطفال والآباء والعملية التعليمية ذاتها ، وحتى المدرس الجديد لم يسلم هو الآخر فهو « يغطى رأسه بشال كأنه عضو فى عصاة » .. ومهما بذل الكاتب من جهد ليقتنعنا أن الفكرة الرئيسية التى تدور حولها القصة هى ازاحة القديم من أجل الجديد ، إلا أنه لم يستطع أن يخفف من غلوائه وتحقيره لصورة الانسان المصرى فى قصته ، ومن الغريب أن الكاتب يصور المدرس اليهودى بأنه رقيق القلب يعطف على المدرس المسلم بين الحين والآخر بينما يصف المسلمين الذين تعلموا على يديه بأن « قلوبهم متحجرة — كفار لا يعرفون الله » .. فالوصف الايجابى الوحيد فى القصة يتعلق بالمدرس اليهودى ، وأما ما دون ذلك فهى صفات سلبية سوداء تنبىء عن كراهية شديدة لمصر والمصريين بل العرب والمسلمين جميعا . ، ونظرا لأن القصة تتضح — فى كل سطر من سطورها — بالكثير من الصور السلبية ، لذا رأينا أن نترجمها كاملة ، لعل القارئ يقف معنا على الأبعاد الكلية والفرعية لفكر الكاتب ..

### — تغيير الخرائطة

بعيدا عن أعماق الوادى ، تبدو القرية العربية من فوق قمة الجبل جرداء خاوية، ولكن حين تسلقنا الجبل وصعدنا إليها ووقفنا فى النهاية عند حدودها ، حف بنا جو من الحيوية والازهار لم نكن نتوقعه . فاشجار التين والتوت والرمان تردهر من حولنا وتتفتح أوراقها فيكسوها الاخضرار والاحمرار فى آن واحد . وقد اسقطت أشجار المشمش والخوخ ثمارها على المنحدرات بغزاره . وينبوع يشق له طريقا بين الأحجار الضخمة القديمة ، فينساب بمائة الدافق الشفاف الى الوهاد (الممرات) الملتوية فيسحن الرمان ويفتتها .

جلسنا واخذنا قسطا من الراحة فجددنا نشاطنا بعد جهد هائل  
بذلناه في الصعود والذي استمر قرابة الساعة . غسلنا أقدامنا بالماء  
البارد . واستمتعنا بما تراه أعيننا من ازهار وحيوية ، وفجأة وصلت  
الى أسماعنا صوت عذاب وصراخ لفيف من الأطفال ، صوت أنين ينبعث  
من مبنى كبير وقديم يقع في مواجهةنا عند مدخل القرية .

الأطفال الذين اصطحبتهم ليتعرفوا على الجبل ونباتاته ، التفتوا  
مندھشين ومذعورين ونظروا حولهم بفضول .

— انها أصوات أطفال كتاب تنبعث من المدرسة العربية في القرية —  
قلت ذلك بهدوء حتى أخفف من روعهم .

وأرادوا — من شدة غضبهم وحنقهم — أن يروا — رؤيا العين —  
تلك المدرسة العربية . فقررنا الذهاب إليها وزيارتها . وبعد دقائق  
معدودة وقفنا متجمعين بالقرب من بابها وناقذتها نغصت الى الأصوات  
الكثيرة التي تنبعث من داخلها كأنها مياه تنهدر من آبار ، أصوات  
تصم الآذان وتعصف بالأعصاب والأحاسيس .

بالقرب من مسجد القرية القديمه ذي القباب الضخمة ، تقسم  
المدرسة ، بل تلتصق به وتجاوره ، والمدرسة أيضا قديمة ويعلوها قبة ،  
وتدور أحاديث الجلد والسياط بين جدرانها وبناتها كأنها مخلوقات عاقلة .

أما الحجرة الكبيرة فقد تساهم الظلام . غابت وكأنها خالية من  
كل أثاث ، وجلس عشرات التلاميذ على هيئة حلقات فوق حصير مفروش  
على الأرض . ومن بينهم أطفال حديثو السن بأجسامهم العسارية  
وأنوفهم التي ترشح بصفة دائمة . ومن بينهم غلمان يرتدون العمامة  
ويرتدون ملابس طويلة ملونه ، وهناك أيضا فتيان تتألق الطرابيش فوق  
رؤوسهم وأصبحت شواربهم على وشك الظهور ، وأمام كل مجموعة  
وضعت كتب ضخمة فوق الحصير ، وجميعهم يتمايلون ويقرأون بأصوات



عالية . يصرخون ويزعقون ويغنون ... ويشرف عليهم جميعا المعلم ، وهو رجل طويل القامة عريض المنكبين حافى القدمين يرتدى سترة طويلة ، ضخمة الجثة ويضع فوق رأسه طربوشا قديما يلفه شال أبيض ، منتصب القامة ، وقف متجها بظهره ناحية النافذة ووجهه الى الحجرة . يمسك بعصا طويلة في يده ويضرب بها ما يشذ عن القطيع فيوقف هذا ويوبخ ذلك ، ويلعن فلانا ويلكر القرابين منه بعصاه ، يشوه وجهه ويضع ضوء عينيه ، يتحرك ناحية الضوضاء والضجيج وسيطر على كل ما يحيط به .

وحين شعر بالضيوف غير المدعوين الذين يتجمعون عند الباب والنافذة ، نادى في الأطفال بالصمت واسكت الضوضاء ، ثم خرج اليانا عند باب الحجرة ورفع يده عند جبهته محييا ايانا بينما كان وجهه مبتسما فرحب بنا . كان هذا عربيا مصريا ، رجلا عملاقا وضخم الجثة ، كله أسمر كما لو كان كتله من البرونز ، ويقترب عمره من الستين . وكان وجهه المستدير مليئا بمجموعات من الشعر الرمادي ، واكتست جبهته العريضة بالتجاعيد العميقة وتبرق عيانه السوداءوان وتبتسمان — أنا مدرس — قلت معتذرا ومددت يدي اليه — من القرية المجاورة التي في الوادي .

— مرحبا يا أخى ! — قال المضيف ومهدلى يده ثانية وقال : أهلا وسهلا .

— سألته : « ما اسمك أيها المدرس ؟ »

— أجابنى متقسما : أنا ابراهيم المصرى .

— وكيف هالك يا حاج ابراهيم ؟

— هأنذا أعلم يا أخى ... أعلم كما ترى بعينيك — أجاب بصوت أبج .

سألته مترددا ..

— هل تسمح لنا بزيارة مدرستك أثناء الدرس يا حاج ابراهيم ؟

أهـاءـ ومرحبا بضيوونا !

وقفنا بجانب حائط الحجرة . واتخذ المدرس مكانه الموقر بجانب  
النافذة ووقفت الى جواره كضيف شرف ارتفعت العصا كإشارة ثم بدأت  
بعدها المهمة والضوضاء تدوى فى الفضاء المعتم ، وأخذ الصياح يترايد  
تدرجيا .

وقفت الى جانب مطحنة مائية تهتر وترمجر بقوة ، نظرت الى  
المدرسة ، لم يكن يصغى فقط الى جوقه المنشدين بل كان يستمع الى  
الضوضاء التى تحدثها كل مجموعة بمفردها فيكشف الأخطاء التى نتفوه  
بها . ثم نادى المدرس وأشار بعصاه ناحية أحد التلاميذ :

— أنت ، أعد مرة ثانية !

— وأنتم ، أنقبهوا الى الآية الأخيرة — قال بغضب وهو ينظر ناحية  
تلميذ آخر .

— اللعنة على أبيك أيها الكسلان — قال ذلك وهو ينقض بعصاه  
على طفل صغير يجلس عند الطرف الآخر من الحجرة — الوقت ليس  
وقت تسميع !

وفجأة رفع الحاج ابراهيم يده وأمر الأطفال بالسكوت ، فأتجهت  
اليه كل الأنظار .

— تقديرا لك يا أخى — سوف أجرى اختبارا للتلاميذ — قال لى  
بينما كان يضع يده على صدره — لكى تتقف على ما نعلمه فى مدرستنا .

— أنت — قال وأشار بعصاة ، اطل فاتحة القرآن :

وقف طفل صغير يرتعد من الخوف ، وقف متوترا لأقصى درجة ،  
ونظر الى عينى المدرس مباشرة وبدأ يرتل بصوت منتحب : بسم الله  
الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم  
الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم . . . . . » .

وأنت — أشار الى طفل آخر — أسمع كلام البخارى !

قام غلام أسمر صغير ، استقام بجسده ، وألقى خلفه بأطراف الشال لاذى يلف رأسه ، ثم بدأ يسمع شفاهة « جاء رجل الى رسول الله — عليه الصلاة والسلام — وقال : يا رسول الله : من أحسن الناس بحسن صحابتي ؟ فقال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من أقال : أمك . قال : ثم من : قال : أبوك . . . »

— وأنت ، أعد على كلمات ياقوت (\*) .

وعلى الفور وقف غلام يضع على رأسه عمامة ، رفع رأسه ثم قال :

روى لى رجل قائلا : « قلت لرسول الله — عليه الصلاة والسلام — ما هو أول مسجد بنى على سطح الأرض ؟ قال : المسجد الحرام بمكة . قلت : وما هو المسجد الذى تلاه ؟ قال : بيت المقدس فى القدس الشريف . »

— وأنت ، أيها الغلام الصغير ، أتلى لنا ما يتيسر من قصة سيدنا سليمان والهدهد :

وقف طفل صغيرا جدا فى مكانه ، مسح أنفه بيمينه ويساره ، ثم سعل وبدأ يتلو شفاهة بصوت ملغرد « جاء الهدهد — ذات يوم — الى سيدنا سليمان ، وكان يحمل فى فمه اناذهبيا أحضره معه كهدية . قدم الهدهد الاناء ثم قال له : ها قد أحضرت لك هدية على قدر امكانياتى . . »

— عظيم جدا يا أبنائى — قال الحاج ابراهيم وهو ينظر نحوى فخورا متباهيا — خيرا ما طلبتم . . . — ثم أخرج ساعته من جيب سترته الداخلى ونظر فيها ثم قال : حانت ساعة الظهر ، اذهبوا الى بيوتكم فى سلام .

(\*) ياقوت الحموى .



اندفع التلاميذ الى الخارج مكدئين ضوضاء وضجيجا ، ونصن وراهم • هييت المدرس بسيجارة ، وجلسنا لنستريح ولندخن سويا فوق أحد الأحجار الفخمة تحت ظلال المدرسة •

— هل أنهيت عملك اليوم يا حاج ابراهيم — سألته وأنا ألقط نفسا عميقا — والحمد لله ؟

— لا يا أخى — نفخ سيجارته وطرق بلسانه مستكرا — هذا نصف العمل ، وبعد ساعة سنستأنف عملنا حتى المساء •

— العمل يستغرق اليوم كله ؟

— من الشروق حتى الغروب •

— أليس لك راحة أو إجازة ؟

— أيام العيد فقط •

— وشهور الصيف ؟

— لا يا أخى • انها ليست مدرسة حكومية • ولكنها مدرسة خاصة • مدرسة فى قرية •

— ومن يدفع لك أجرك ؟

— كل أب بمفرده •

— وماهى قيمة أجرك ؟

— مكيال من القمح فى السنة •

— ألا يوجد لك مورد رزق ؟

— ارادة الله — أجاب مبتسما — ليس لى زوجة ولا أبناء ، جئت من مصر بمفردى وظللت بمفردى حتى اليوم •

— ومتى جئت الى هنا يا حاج ابراهيم ؟

— منذ عشرين عاما يا أخى — ثم كرر متهدا — منذ عشرين عاما

جئت الى هنا صبيا معافى لى أعلم أبناء القرية القرآن والاحاديث والوصايا ، وأديت عملى بأمانة والحمد لله تعالى . بذلت صحتى وقلبى فى هذا المبنى المعتم ، ثم قال متلعثما : لقد بدأوا فى تشييد مبنى جديدا للمدرسة . هل ترى أكوام الحجارة وشكائر الحصى الموضوعة بجانب البئر — هناك تبني المدرسة الجديدة . بعد عشرين عاما بح فيها صوتى وسعل أثناءها صدرى وخارت قواى وهلكت صحتى .

— فى الوقت المناسب يا حاج ابراهيم — قلت له لأخفف عنه — فى النهاية سننتقل الى المبنى الجديد الذى ستدخله الشمس والهواء ، فعليك أن تسعد بهذا .

أجاب مستكرا : يا أخى — نحن كبار السن يطيب لنا القديم ونخاف من الجديد . ليتنى أوصل عملى حتى ولو لسنوات معدودة فى هذا المبنى الذى تشبع كله بالآيات الكريمة المقدسة وبكلام الله ثم أموت بعد ذلك راضيا مطمئنا .

— بالعكس — قلت — ففى المبنى الجديد ستجدد شبابك وتواصل عملك لسنوات طويلة .

— يا أخى — أجاب حزينا ثم مد لى يده وقال : الذى بينى وبيننا -- جديدا يأتى له بامرأة جديدة — وهذا مثل يقال فى بلدنا ، وأنا قد بلغت من الكبر عتيا وأشتعل رأسى شيئا وخارت قواى وبع صوتى .

— هل ستأتى لقرورنى فى مدرستى يا حاج ابراهيم ؟ — قلت له وأنا أشير نحو الوادى الاسفل .

— ان شاء الله يا أخى .

وبعد مرور تسعة أشهر كنت أستقل القطار المسافر الى حيفا ،  
 وحين دخلت الى إحدى العربات ، وإذا بي أجد الحاج ابراهيم المصري  
 - أخى فى المهنة . من القرية العربية القابعة فوق الجبل . يرتدى معطفه  
 الثقيل ، يضع فوق رأسه عمامة كبيرة ويلف حول وسطه حزاما عريضا  
 لونه أحمر ، يجلس مائلا فوق أحد المقاعد وقد وضع قدميه فوقه وحمل  
 مناءه فى يده وبجانبه كيس ضخيم مكتظ مربوط بحبلين من أعلاه  
 وانطرافه ، كما وضع بجانبه جرة فخارية جديدة يرشح الماء على  
 جوانبها . وعلى الرف الذى فوق رأسه حصيره قديمة متهاكة وبطانية  
 ممزقة وكومة من الملابس القديمة البالية وزجاجة نرجيله ملونه يدخن  
 فيها الطباق .

- سلام يا حاج ابراهيم المصري : قلت وأنا أتقدم نحوه « كيف  
 حالك ؟

انتفض ، ونظر لى طويلا ومتأملا ثم قال : أخى وصديقى المدرس :  
 مرحبا ! ثم أنزل قدميه وأخلى لى مكانا على مقعده ، ومد نحوى يده  
 محبيا وقد أوما برأسه عدة مرات .

- الى أين تتجه ؟

- الى مصر يا أخى .

- والله ؟ قلت مندهشا .

- والنبي .

- ربما لتزور أقاربك .

- لا ، ولكن لأقيم هناك بصفه دائمة - قال ذلك وهو يتبسم  
 بمرارة وألم .

- كيف ذلك يا حاج ؟



— كما قلت لك منذ البداية .

— ماذا تعنى يا أخى ؟ قلت وكلى دهشة — لماذا تحدثنى بأمثال  
والغاز ؟ سئل الحاج ابراهيم ثم بصق ، لكى ينقى صوته الأبح السدى  
زادت خشونته خلال الشهور التسعة المنقضية ، ثم أشعل سيجارة كنت  
قد أعطيتها له ، وأخرج الدخان وتنهد تنهيدة طويلة وقال : أسمع  
يا أخى ، سأحكى لك بالترتيب .

بمجرد أن بنوا الحوائط وأقاموا سقف المدرسة الجديدة بدأت  
قواعدى تنهار . فالأطفال الذين كانت مخافتى تسيطر على وجدانهم بعد  
مخافة الله ورسوله ، بدأوا فجأة يتغطرسون فى مواجعتى ويسخرون  
منى — هؤلاء الكفار الملعين ! عسرون عاما وأنا أرفع عصاى على آبائهم  
واخوانهم وعلمتهم وجعلتهم رجالا ، وفجأة يسخرون منى ويتغطرسون ؟

كم من مرة رفعت يدي وهويت بها عليهم .. الطفل مثل الحماسار  
يا أخى المدرس — اذا ما ربطته وأحكمت اللجام حول فمه ينحنى لك  
برأسه ويرفعك فوق ظهره ، واذا ما أطلقت له العنان يلكرك ويلقيك من  
فوق ظهره ويفر هاربا ومرسلا نهيقه .. ولقد ضربت وركلت على  
قدر ماوسعنى ، ولكنهم ثاروا ضدى واتخذونى هزوا . وأخرجوا لى  
السنتهم وقالوا : فلتعلم أن أيامك فى قرينتنا أصبحت معدودة أيها  
الزنجى ؟ فسوف يحل محلك مدرس جديد .

— ماذا ؟

— وحياء الله !

وفى الحقيقة فان هذا هو أساس الضجر ومبعث الفوضى . بدأت  
أبحث وأسأل ، وتوصلت فى الحقيقة الى هذا . دخلوا سرا الى  
المدرسة التى أقيمت فيها عمري ، كأنهم لصم فى بطن الليل والظلام  
... عند الساحة وعند كوم النفايات ، فى المسجد وعند الينبوع ، فى  
كل مكان يتهايمسون حول هذا الموضوع ويتحدثون ويتناقشون حوا  
المدرس الجديد الذى سيأتى من طرف الحكومة .

على ما يبدو فهما ( المدرسان ) ليسا زارعين صديقين في قرية واحدة ، ولو كان كذلك لانقسمت القرية على بعضها انقساما أبديا ولدبت الفزاعات والمشاجرات ولانتشرت السرقات والتجاوزات ولارتفعت السكاكين والعصى ولسال الدم كالماء . . . ولكنهم بالنسبة لى اتحدوا جميعا . . مدرسة جديدة ومدرس جديد . شاخ الحاج ابراهيم وتقدمت به السن ! اختفى صوته وخارت قواه . . والحكومة تتعهد بعهود الشيطان ! اللغة الانجليزية . الجغرافيا ، كرة القدم . غرس الأشجار ، تربية النحل ، ودود القز ، الى آخره . فهي لم تستبق شيئا الا وأمطته لكى تهمين على أرواح المؤمنين وتجعلهم عبيدا للشيطان . . والايمان ضعيف ، وعينا الانسان طامعتان وجائعتان ، لا تعرفان الشبع أو القناعة . . وهل هناك من يثقل على الدين والطقوس ؟ كل انسان يسعى لمصلحته يا أخى ، للملء الجيوب وتكديس الأموال . .

حاولت أن أهدد الآباء بعصاي ولكنهم انفجروا ضاحكين . توعدتهم بجهنم فسفروا منى ، أحدثت ضجيجا فى المسجد فى أيام الجمعة وصرخت متحمسا على الايمان الاسلامى انفى الذى ينهار فى هذا البلد فاتهمونى بأننى مخبول ومجنون . ليس فى هذا البلد اله يا أخى ، واذا كان الأنبياء قد عاشوا فيها من قبل ، كما يحكى الخاشعون الذاكرون فى مؤلفاتهم فان الكفر يتسلل الى كل شيء .

لم أفعل شيئا يا أخى . بنيت المدرسة الجديدة وأغلق الباب فى وجهى . كرست نفسى عشرين عاما لهذه القرية ، وفجأة تتكروا لى ، وأصبحوا جميعا أعدائى . السخرية والتهكم من الأطفال ومن آبائهم ذوى الوجوه المتحجرة . ألسنت أول من علمهم الصلاة أول مرة ؟ ألسنت أول من صحح لهم الآيات التى تتناول الأخلاق الحميدة ؟ فليخرب الله بيوتهم ، الملحددين أبناء الملحددين ! حتى مكابيل القمح الخاصة بى لم يكن يريدون اعطائى اياها هذا العام ، ولكن بالصراخ والسباب حصلت عليها . من أيديهم وأحيانا بالمشاجرات والمعارك . كنت أمر على الأبواب ، ثم أمر ثانية فى اليوم التالى ! بكيت من شدة الحزن ، هل تعيدونى بمسد عشرين عاما من العمل والشقاء حافى القدمين عارى الجسد ؟ أليس فى قلوبكم اله ؟ ألا تخشون يوم الحساب ؟

قررت فى نفسى أن أعود لوطنى — جئت هنا بمفردى دونما أمراً  
ولد • ومن ذا الذى سيطعمنى إذا ما مرضت ؟ من سيعد لى عند  
قهوة حين تخور قواى ؟

عشرون عاماً مرت على تركى مدينتى وأهلئى ، ولكنهم لم ينسوا  
بمشيئة الله خرجت « الحاج ابراهيم » وسأعود « الحاج ابراهيم  
يا أخى •

لم أستطع أن أبقى هناك أكثر من ذلك ، لم أدخر وسعاً • فما  
أسبوع جاء المدرس الجديد • آه لو رأيته يا أخى ! انه يرتدى سر  
قصيراً ومعطفاً أشد قصراً ( جاكيت ) ، يغطى رأسه بشال كأنه عضو  
عصابة من اللصوص • سنه صغيره وبالتأكيد لا يعرف أن يقول بما  
فاتحه القرآن شفاهة • ويومياً ينتقل مع الأولاد الى الساحة وي  
معهم كرة القدم • « وأقسم بالله » انه لا يفعل سوى هذا • وهم  
تعلم بماذا زين حوائط المدرسة الجديدة ؟ — ليس بآيات جليله  
القرآن ، وليس بأمثال من الكتب المقدسة الأخرى — ولكن علق على  
صوراً لأجساد عارية فملعوننة أمه التى ولدته ! أجساد مقطعة  
ومقصوفة • • تدنيس اسم الله وسب الدين • • يا أخى — همس ال  
ابراهيم واختلطت كلماته بدموعه — وحين تقدمت بى السن ألقوا بى  
الخارج ، كالآنية الفخارية التى تحطمت •

\*\*\*



## هوامش الباب الاول



## هوامش التمهيد والفصل الأول

1- נודית זוברין : בערים בספרות העברית של הדורות האחרונים.

דפים לבהקר בספרות. אוניברסיטת חיפה 1985, עמ" 260.

(2) אرمیا : 11 : 4

3 — Aubrey Selincourt : The Worad of Horodotus little Brown and Company . Boston, Toronto - 1962 pp. 217 .

(4) نفتالی הירש فيزل : 11 : 5 - 1805

أديب عبري يعتبره بعض النقاد مفتتح الأدب العبري الحديث، ولد عام 1725 في مدينة هامبورج ، وحين انتقل والد، التاجر ليعمل في كوينهاجن رافقه الفتى فيزل الى هناك ، حيث تلقى تعليما يهوديا تقليديا ، ثم أعقبه بالتعليم العلماني حتى الم باربع لغات هي : الألمانية ، الفرنسية ، الدانماركية ، الهولندية ، ومع ذلك فان تعلم اللغات الأجنبية لم يكن محور اهتمامه ، بل الأهم من ذلك هو اقناع أبناء شعبه بحركة التنوير الجديدة ( الهسكالا ) .

ويشمل انتاجه مجالات التفسير والأخلاق واللغويات ، ولكن شهرته تستند أساسا الى الشعر والمقالات التي تتناول مشاكل الحياة اليهودية .

ورغم ان أبناء جيله قد بالغوا في اطرائه كشاعر ذي مكانة مرموقة ، فان كثيرا من باحثي الأجيال التالية لم يتحمسوا له . ويمكن أن نصف شعره بأنه ذو طابع ديني غنائي ، ومن أهم أعماله ملحمة « قصائد المجد » التي نتناولها في بحثنا هذا بالدراسة ، بالإضافة الى الكثير من قصائد المناسبات ، مثل قصائده في مديح الامبراطور جوزيف الثاني وموشي مندلسون . . وله كتاب بعنوان أمور السلام والحقيقة ברכי שלום ופיו



قررت فى نفسى أن أعود لوطنى — جئت هنا بمفردى دونما امرأة أو ولد • ومن ذا الذى سيطعمنى إذا ما مرضت ؟ من سيعيد لى فنجان قهوة حين تخور قواى ؟

عشرون عاما مرت على تركى مدينتى وأهلئ ، ولكنهم لم ينسونى ، بمشيئة الله خرجت « الحاج ابراهيم » وسأعود « الحاج ابراهيم » يا أخى •

لم أستطع أن أبقى هناك أكثر من ذلك ، لم أدخر وسعا • فمضى أسبوع جاء المدرس الجديد • آه لو رأيته يا أخى ! انه يرتدى سروالا قصيرا ومعظفا أشد قصرا ( جاكيت ) ، يغطى رأسه بشال كأنه عضو فى عصابة من اللصوص • سنه صغيره وبالتأكيد لا يعرف أن يقول بمفرده فاتحة القرآن شفاهة • ويوميا ينتقل مع الأولاد الى الساحة ويلعب معهم كرة القدم • « وأقسم بالله » انه لا يفعل سوى هذا • وهل تعلم بماذا زين حوائط المدرسة الجديدة ؟ — ليس بأيا تبجيله من القرآن ، وليس بأمثال من الكتب المقدسة الأخرى — ولكن علق عليها صوراً لأجساد عارية فملعونسة أمه التى ولدته ! أجساد مقطوعة ومقصوعة • • تحنيس اسم الله وسب الدين • • يا أخى — همس الحاج ابراهيم واختلطت كلماته بدموعه — وحين تقدمت بى السن ألقوا بى الى الخارج ، كالآنية الفخارية التى تحطمت •

\*\*\*

(٨) سفر اللاويين : ٢٦ : ١٣

(٩) سفر النثنية : ٥ : ١٥

(١٠) للمزيد حول هذا الموضوع ارجع الى كتاب « علاقة الاسلام باليهودية - رؤية اسلامية في مصادر التوراة الحالية » تأليف محمد خليفة حسن . دكتور . القاهرة . دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٨٦ ص ٦ وما بعدها .

(١١) للمزيد من التفصيل ارجع الى محمد خليفة حسن . دكتور . نظرة نقدية في قضية الاصل المصري القديم لموسى وديانة . مجلة الدراسات الشرقية . العدد الثالث ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٨٧ .

(١٢) سفر الخروج : ٩ : ٢٥ ، ٢٦

(١٣) سفر الخروج : ١٢ : ٣٨

(١٤) سفر الخروج : ١٦ : ٣

(١٥) سفر العدد : ١٦ : ٣

(١٦) سفر الخروج : ٦ : ٩

(١٧) سفر التكوين : ٤٥ : ٨

(١٨) زين العابدين محمود حسن . دكتور . سفر ارميا دراسة وتحليل القاهرة ١٩٧٩ ص ١٢٨

(١٩) ول ديورانت . قصة الحضارة . ترجمة محمد بدران . جامعة الدول العربية . الطبعة الثالثة ١٩٦١ الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٣٢٦

20 — Robertson. On the tracke of the Oxodus. London 1936. pp. 24.

21 — Ibid. pp. 24.

22 — Pontet. C.P. The Ancient World . London 1912 pp. 2

(٢٣) عبد الوهاب المسيري . دكتور : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية . القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٦٦

(٢٤) نعمات أحمد فؤاد . دكتورة . شخصية مصر . القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٢٦٣  
25- קלוזנר, יוסף : היסטוריה של הספרות העברית החדשה . ירושלים 1975,  
כרך א , עמ' 118.

(٢٦) كلوزنر يوسف : الموجز في تاريخ الأدب العبري الحديث ١٧٨١ - ١٩٣٩ تعريب اسحق شموش عكا ١٩٨٦ ص ١٢

(٢٧) الحسيدية : حركة دينية يهودية صوفية بدأت في القرن الثامن عشر ثم أصبحت بعد ذلك عقيدة الأغلبية من الجماهير اليهودية ، ويرجع نجاحها الى اسباب اجتماعية وتاريخية عديدة ، فالجماهير اليهودية كانت تعيش في بؤس نفسي وفقير شديد ، زادت من حدته التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تخوضها مجتمعات شرق اوربا آنذاك ، وقد صاحب هذه الحركة تدنى في الحياة الثقافية والدينية داخل الجتيو الى درجة كبيرة وصار اليهود في شبه عزلة عن العالم .  
28- לחובר, פ, תולדות הספרות העברית החדשה. תל-אביב. דבר 1965 כרך א,  
עמ' 142.

(٢٩) احمد حماد . دكتور . المدخل الى الأدب العبري الحديث . الجزء الاول القاهرة ١٩٨٠ ص ٤٨

30- نقلًا عن קלוזנר, יוסף : היסטוריה של הספרות העברית החדשה,  
! כרך א , עמ' 119

(٣١) كلوزنر يوسف : الموجز في تاريخ الأدب العبري الحديث ص ١٥



١٠٢ : نازك إبراهيم محمد الخدي ، فتوة . الشعر العذري الحديث .

٢٢٠

122 "DS", R TE : 2172 01

3- דייוול. נפתלי הירץ : צירי תפארת. הרליץ, פראג. 1789-1802 עמ"ס 7

35-7177 : דף "מ" 8.

36- קדיזל : ים צמ" 58.

( ٢٧ ) فوطيفار اسم مصرى معناه « عطية اله الشمس » وهو رئيس شرطة فرعون وميد يوسف ( التكوين ٣٧ : ٣٦ ، ٣٩ : ١ ) وقد رفعه وجعله وكيله على بيته ( التكوين : ٣٩ : ٤ ) الا أن زوجته راودت يوسف عن نفسه ، ولما فشلت محاولتها حملت زوجها على سجنه بتهمة كانت تعلم يقينا ان يوسف برىء منها .

(٣٨) يهودا ليف جوردون : يعد أبرز أدباء مرحلة الإسكالا ، حيث شاعريته وجودة إنتاجه الأدبي وعمقه . ولد في فيلنا سنة ١٨٣٠ وتلقى في طفولته تعليما يهوديا تقليديا ، وفي سن الرابعة عشر شرع في تعلم اللغة الروسية ، واتصل بالمسكيليم ( دعاة التنوير ) اليهود في مدينته وعلى رأسهم آدم هكوهين الذي أثر على أشعاره ، ثم مضى بعد ذلك في تعميق معارفه ولغنه الروسية ، كما تعلم غيرها من لغات غرب أوروبا . في عام ١٨٥٦ نظم قصيدته الشهيرة *גערענע פאפ* داود ويرزيلي ، كما ظهر كتابه الأول *המחנה הגדול* حب داود وميخيل ، في عام ١٨٥٩ نشر في فيلنا كتابه الثاني *השירה העברית* أمثال يهوذا ، ثم انتقل في العام التالي للعمل في التدريس . في عام ١٩٦٥ انتقل الى مدينة « تلز » وهناك نشر كتابه *השירה העברית* قصائد يهودا الذي يضم قصائد *בין שני ארצות* بين أنياب السباع *וילדה המראה* وبنوها *אסנת בת פוסת* أسنات بنت فوطيفار التي نتناولها في الكتاب ، كما يضم قصيدتين من أشهر قصائده هما *בת עמר* طريق ابنة شعب ، *הקיסר עמי* استيقظ يا شعبي ، والأخيرة كتبها عام ١٨٦٣ ولها أهمية

خاصة فى انتاج جوردون حيث ختمها بمقولته الماثورة - التى اصبحت -  
 فيما بعد شعارا لحركة الهسكالا - كن يهوديا فى بيتك انسانا خارجه « ،  
 وقد اثارت هذه المجموعة اصداء قوية لدى جمهور القرار العبريين ،  
 فاشتهر جوردون وعلت مكانته فى حقل الادب رغم هجوم بعض المحافظين  
 عليه واتهامه بالالحاد .. ولكنه - لدى ازدهار حركة محبة صهيون  
 . . . . .  
 الحركة . وقد توفى جوردون عام ١٨٩٢ .

(٢٩) كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الادب العبرى الحديث

ص ٥٤

- 40- גורדון ג'ורדון : עמ" 262 .  
 41- גורדון, יהודה לב : כתבי יהודה ל"ב הוצאת  
 דביר 1950 עמ" פז, פח.  
 42- שם ע"מ פח .  
 43- גורדון ג'ורדון : עמ" 263 .  
 44- גורדון, י"ל : כל כתבי ע" פח.  
 45- שם עמ" 33 .

46- גורדון ג'ורדון : עמ" 262 .

(٤٧) كلوزنر : الموجز فى تاريخ الادب العبرى الحديث ص ٥٤

(٤٨) المرجع السابق ص ٥٤

49- גורדון : כל כתבי עמ" כמס

(٥٠) احاد هلعام هو التوقيع الادبى للكاتب اليهودى اشير تمفى  
 جيفنبرج אשר כחי בינזברג ، وتعنى هذه العبارة « واحد من الشعب » :

زيجد استاد هاعام من أهم الكتاب والمفكرين في الأدب العبري الحديث ،  
 وهو رائد التيار الروحي في الصهيونية الحديثة - ولد عام ١٨٥٦ في  
 مدينة سكفيرا وهي إحدى المقاطعات اليهودية في إقليم كييف جنوبي  
 روسيا . وقد نشأ في عائلة حسيدية متزمتة ، فتلقى تعليما . يهوديا  
 تدينيا حتى أن معلمه منعه من تعلم الأبجدية الروسية باعتبار أن ذلك  
 شينين الميرطقة والالحاد ، ولكنه ثقف نفسه بنفسه ، فدرس العلوم  
 والفلسفة ، وقرأ أدب حركة الهسكالا ، والم بكثير من اللغات الأوروبية  
 مما ساعده على سعة ثقافته ، وتأثر بالفلسفة الوضعية في روسيا وبنيتشه  
 وداروين وهردر . وقد دفعته دراساته الجديدة الى هجر الحسيدية .  
 استقر عام ١٨٨٤ في أوديسا ، التي كانت آنذاك مركزا هاما للأدب العبري  
 في روسيا ، انضم الى جماعة محبي صهيون ولكنه انتقدها في إحدى  
 مقالاته تحت عنوان « ليس هذا هو الطريق » ، وهو أول إنتاج  
 أحاد هاعام ، وقد أحدث هذا المقال ضجة كبيرة في الأوساط اليهودية  
 مما أكسب أحاد هاعام الشهرة والصيت . أسس أحاد هاعام جمعية  
 « بني موسى » ومحاول - من خلالها - نشر المثل القومية اليهودية التي  
 تتفق مع فلسفته ، في عام ١٩١٦ اصدر مجلة هشيلواح 'השילוח'  
 حيث أسهمت في تطوير الأدب العبري الحديث ، استقر في لندن عام  
 ١٩٠٨ ولعب دورا هاما في الأحداث التي أدت الى وعد بلفور ، في عام  
 ١٩٢٢ هاجر الى فلسطين واستقر في تل أبيب ، وهناك نشر إنتاجه في  
 أربعة مجلدات تحت عنوان 'על דרכי' في مفترق الطرق ، كما  
 جمعت رسائله في ستة أجزاء ، وبقي أحاد هاعام في تل أبيب حتى توفي  
 عام ١٩٢٧ .

51- אחד העם : כל כדבי אחד העם. הלשונות. דביר 1965 ע"ש ש"ב.

52- שם עמ"י ש"ב.

53- שם עמ"י ש"ב.

54- שם עמ"י ש"ב. والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١١

55- שם עמ"י ש"ב. والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١٣



(٥٦)  $\text{וְהָיָה} \text{וְהָיָה}$  والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٢ : ١٤

57-  $\text{וְהָיָה} \text{וְהָיָה}$  والعبارة مستمدة من سفر الخروج ٣ : ٦

58-  $\text{וְהָיָה} \text{וְהָיָה}$

(٥٩) حاييم نحماني بياليك ، -هو أبرز شعراء الأدب العبري الحديث ، ولم يقدر لأحد من الشعراء العبريين أن يقبوا ما تبواه بياليك من مكانة أدبية واجتماعية أو اهتمام نقدي ، حتى أنه لقب بـ « الشاعر القومي الاسرائيلي الحديث » .

ولد بياليك في روسيا - لاثوين فقيرين ، توفي أبوه وكان حاييم مازال غلاما صغيرا ، فقام جده بتربيته ، وهكذا قدر للطفل الصغير أن يعرف الحزن والبؤس من سن مبكرة ، بالإضافة إلى أن جده كان محافظا شديد التزمته ، فاصطدم الطفل بما في البيت من الصرامة والجمود الفكري ، بل أن المعلمين الذين أوكل جده اليهم مهمة تعليمه لم يكونوا أقل منه شدة وصرامة ، ولكنه استطاع - رغم ذلك كله - أن يطلع على بعض كتب الهسكالا ، ثم بدأ يكتب الشعر فكانت أولى قصائده  $\text{הַצִּיפִּים}$  إلى العصفور . في عام ١٨٩١ ذهب إلى أوربا ، حيث كانت آنذاك مركز الأدب العبري الحديث ، وهناك التقى بآحاد هاعام الذي شجعه على الكتابة والنشر ، ولعل الموضوع الأساسي في أعمال باليك هو الشد والجذب بين القديم والحديث والبحث عن مخرج من الأزمة المستحكمة ، وقد عبر في شعره عن تطلعاته الصهيونية . وقد كتب بياليك قصائد للأطفال ، وترجم بعض الأعمال الأدبية العالمية إلى العبرية ، وتوجد جائزة أدبية في إسرائيل تحمل اسمه .

60-  $\text{בְּיָדָאֵלֶּךָ} : \text{כָּל} \text{כְּתוּבֵי} \text{הַקְדָּמָה} \text{עֲמ"י} 14$

61-  $\text{בְּיָדָאֵלֶּךָ} : \text{כָּל} \text{כְּתוּבֵי} \text{עֲמ"י} 15$

(٢) الترجمة نقلا عن سيد يعقود بكر . دكتور « من شعر بياليك » حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ٢٦ الجزء الأول مايو ٦٤ هـ : ٧

63- לחוברת, פ : ביאליק, חייו ויצירותיו. מוסד

ביאליק. דביר 1964, סדר ה, עמ" 401.

64- ביאליק : כל כתבי עמ" 56.

65- ביאליק : כל כתבי עמ" 56.

66- לחוברת, פ : ביאליק חייו ויצירותיו עמ" 404.

67- ביאליק : כל כתבי עמ" מ ט.

(68) כלוזנר . الموجز في تاريخ الادب العبري الحديث ص 120

69- ביאליק : כל כתבי עמ" ג.

(70) שאؤول تشير נيجوفסקי 1875 - 1943 , يعتبر - هو وباليك

- قطبي البعث الأدبي العبري في روسيا ، ولكن تشير نيجوفسكى يختلف عن بياليك في أنه لم يكن نتاج الاستيطان اليهودي ، بل من روسيا « الجديدة » التي ضمت من بلاد الترك في القرن التاسع عشر ، وكانت المنطقة التي يعيش فيها متحررة نسبيا من قهر قياصرة روسيا ، فكانت أسرته تستطيع الاتصال بغيرها من غير اليهود ، كما كانت تتحدث بالروسية ، ولم يكن يثقلها ظلم المنفى الرهيب الذي كان سائدا حينئذ في بقية روسيا . وعلى عكس بياليك أيضا تلقى تشير نيجوفسكى تعليمًا علمانياً أوروبياً منتظماً حيث درس في جامعات هايدلبرج ولوزان ، وقد أدى به ذلك إلى أن يدخل إلى الأدب العبري الكثير من الأشكال الشعرية الأوروبية ، وقد اعتبره النقاد شاعراً وثانياً لأنه بالغ في إعلاء شأن الوثنية السابقة على الكتاب المقدس ، غير أن تقديسه للطبيعة انطلق من فلسفة وحدة الوجود أكثر من ارتكازه على الوثنية حيث تأثر بنظرية نيتشه . وقد تغنى تشير نيجوفسكى بجمال الطبيعة ، فكتب العديد من القصص والقصائد والمقالات للكبار والصغار ، وترجم كثيراً من الأشعار الغربية إلى العبرية . ويعد تشير نيجوفسكى شاعر الفن الخالص لذاته أكثر من أي شاعر عبري آخر .

(٧١) أوزى تسفى جرينبرج ١٨٩٤ ، شاعر يكتب بالعبرية والييديشية ، ولد فى حاليسيا لعائلة حسيدية . وقد عاصر أحداث ١٩١٨ فى بولندا وشاهد المذابح اليهودية هناك ، ثم هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٤ حيث شارك فى تحرير جريدة دافار . وقد نادى جرينبرج بقيام دولة « اسرائيل العظمى » والبعد التام عن كافة الحضارات الأخرى ، وهاجم « سياسة الاعتدال » التى تتبعها القيادة الصهيونية ، وكانت كتاباته تحمل وجهة نظر دينية غيبية متعنتة وتعكس نفسية مذعورة معقدة ، فهو يرى أن عالم اليهود هو عالم لا تجدى فيه العقلانية ، وأن اليهود موجودون خارج نطاق التاريخ ، وأن أية محاولة لوضعهم داخل سياق التاريخ ستؤدى حتما الى كارثة مثل الإبادة النازية لليهود . وقد لعب جرينبرج دورا هاما فى مقاومة السلطات البريطانية وتشجيع الحركات السرية ، كما كان عضوا فى أول كنيست ١٩٤٨ - ١٩٥١ عن حزب حيروت اليميني المتطرف .

(٧٢) محمد الخطيب : جرينبرج شاعرا ، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٦٩



## هوامش الفصل الثانى ( مصر فى صورتها الفرعونية )

( ١ ) مرحلة الاحياء القومى هى المرحلة التى اعقبت مرحلة الهسكالا ، التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق ، كما ان العوامل التى ادت الى فشل حركة الهسكالا هى نفس العوامل التى ادت الى نشأة التيار القومى بين اليهود وهذه العوامل هى :

( ا ) تعاظم قوة التيار القومى لدى الأمم الأوربية حيث وصل الى ذروة نضجه مع توحيد ألمانيا وثورة شعوب البلقان وسعيها للاستقلال عن الامبراطورية العثمانية ولذا سمي هذا القرن « قرن القوميات » ، فالقومية هى اهم ما يميز العالم المعاصر اذا ما عقدنا المقارنة بينه وبين العصور الوسطى التى تميزت بخاصتين تبدوان متناقضتين وهما العالمية من ناحية والانقسام الطبقي والطائفي من ناحية اخرى ، بيد ان هاتين الخاصتين اخذتا تذوبان مع اطلالة العصر الحديث الذى واكبه ظهور الدول القومية الموحدة ، ولم تعد اوربا كيانات صغيرة داخل حدود سياسية معينة ، بل اصبحت مجموعة من الأمم لكل منها تراثها وطابعها وثقافتها الخاصة ، واخذت كل امة تعتقد اعتقادا جازما فى تفوقها وتميز ثقافتها وعمق تاريخها واصالتها ، وقد تآثر اليهود بهذا التيار تأثرا شديدا ، وراحوا يرددون - دون كلل - عناصر ( قوميتهم ) ودوافعها زاعمين « وحدة الشعب اليهودى » فى جميع انحاء العالم واحقيتهم فى العودة الى « ارض الاباء » .

( ب ) انتكاس دعوة الهسكالا مما اصاب دعائها بخيبة امل شديدة ، فبعد جهد هائل بذلوه على امتداد مائة عام ادركوا ان الشباب من اليهود قد تباعدوا عن شعبهم واندمجوا فى المجتمع الأوربي وتشبعوا بقيمه وتشيعوا الثقافة واصطبغوا بصبغته وياتوا بعديد من ذلك النموذج المثالى الذى داعب خيال اولئك الدعاة الأوائل ، وهو النموذج الذى كان يجمع بين العلمانية والدين فى آن واحد ، لقد سعى هؤلاء الشباب الى العلمانية سعيا كاملا ، وتركوا الدين ونسوا تقاليد اليهودية وموروثاتها ،

وأصبحوا بمنأى عن قضايا الجماعات اليهودية ، ولا شك ان ذلك كله قد شكل عاملا قويا فى طريق التراجع عن خط الهسكالا والامتثال لادعائها .

( ج ) اضطهاد اليهود فى شرق اوربا ، حيث تزايدت الحملات المعادية لهم فى سبعينات وثمانينات القرن المنصرم وخاصة فى الامبراطورية القيصرية ، ولقد تخفت هذه الحملات تحت ستار الوطنية والحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، ولكن الدافع لها غالبا هو محاولة السلطات القيصرية الاستبدادية الهاء الجماهير المقهورة ، ولفت انظارهم بعيدا عن تعاستهم وبؤسهم ، وشغلهم عما يعانونه من التخلف والطغيان ، وكذلك محاولة اقسام من الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود . ولقد وصلت هذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الجماعية الموجهة ضد تجمعات اليهود واحيائهمو المسماه « بوجروم » ، وكانت هذه المذابح دافعارئيسيا فى عوده المثقفين اليهود الى التقوقع داخل اليهودية مرة اخرى ، وبعث المثل العليا القديمة بصورة جديدة . لقد قضت هذه الحملات تماما على دعاوى الهسكالا التى طالما بشرت جماهير اليهود بان مجتمعاتهم سرف تتقبلهم وتمنحهم المساواة والامان ، ولكن جاءت هذه الموجات من العدااد كرد فعل على مائة عام من الدعوة الى نشر الاستنارة املا فى تحقيق الخلاص من المجتمعات الاوربية ، ولذا انسحبت حركة الهسكالا من فوق المسرح بعد ان ثبت فشلها وعدم جدواها لتبدا مرحلة الاحياء القومى والبحث عن وطن يجمع شملهم .

(٢) يعقوب كاهان ١٨٨١ - ١٩٦٠ . من اهم شعراء العبرية فى النصف الاول من القرن العشرين ، ولد فى روسيا البيضاء ، قضى طفولته وشبابه فى بولندا ، وتعلم فى جامعات برن وميونخ وباريس ، وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة برن عام ١٩١١ ، ونذر نفسه - اعتبارا من المؤتمر الصهيونى الاول ١٨٩٧ للعمل الثقافى اليهودى . وقد نشر اول اعماله الادبية وهو فى سن الثامنة عشر . هاجر الى فلسطين عام ١٩٣٤ واستقر فى تل ابيب ، وفاز عام ١٩٣٩ بجائزة بياليك ، اشترك فى اصدار عدة دوريات ، كما ترجم الكثير من الاعمال الادبية العالمية الى العبرية ، وقد عبرت اشعاره عن الحنين الجارف الى بعث الماضى اليهودى ، وقد نشرت اعماله فى اربعة عشر جزءا .

3 — Aubray Selincourt : The World of Herodotus little  
Brown and Boston , Toronto, 1962. p. 217.

( ٤ ) انظر هوامش الفصل الأول رقم ( ٥٠ ) .

5- אחד העם : כל כתבי אחד העם. דביר, חל-אביב 1965 עמ" 29.

( ٦ ) الاصلاحيون : حركة انبثقت من داخل « الهسكالا » التنوير ،  
وكان اتباع هذه الحركة يكرهون المشنا والتلمود ، وجعلوا المنبع الوحيد  
للتشريع يقتصر على الكتاب المقدس ، وكان عدوهم اللدود هو كتاب  
« شولحان عاروخ » الذي جمع فيه يهود الجيتو المتعصبين جميع الشرائع  
والأحكام والفتاوى الواردة في المشنا والتلمود ، واصبح هو المعتمد عند  
المتحذلقين من اليهود . كان الاصلاحيون يعتبرونه رمزا للجمود والتأخر ،  
والعقبة التي تمنع بنى امرائيل من السير في طريق التقدم الانساني .  
وكان اهم التغييرات التي أحدثها الاصلاحيون :

( ١ ) انقاص الادعية والصلوات الى الحد الأدنى مع اباحة تلاوتها  
بلغات البلاد التي يعيشون فيها .

( ب ) ترك الترانيم الشعرية العبرية والارامية القديمة .

( ج ) ادخال الآلات الموسيقية وفرق الانشاد الجماعي من الجنسين  
في المعبد .

( د ) انكروا في اعتقادهم ان يكون الخلاص معناه اقامة دولة في  
فلسطين ، وهم بذلك كانوا وما يزالون من الفرق غير الصهيونية ،  
فعندهم ان الخلاص يكون في الدنيا بالحصول على المساواة في الحقوق  
المدنية ولا ضرورة اطلاقا لربط ذلك بفلسطين او بغيرها من البلاد .

7- אחד העם : כל כתבי אחד העם עמ" 29.

8- שם עמ" 29.



- 9- נורית גורדין עמ' 263.  
 10- בן אור, אהרון : תולדות הספרות העברית החדשה. תל-אביב.  
 הוצאת יזרעאל סך 4, עמ' 62.  
 11- בן אור : עמ' 62.

12- יעקב סהן : כל סבבי יעקב סהן. הוצאת דביר  
 תל-אביב. 1969, עמ' עמיקה.

13- שם עמ' קה.

14- שם עמ' קי.

15- שם עמ' קיג.

16- שם עמ' קיד.

17- שם עמ' קד, קז.

18- שם עמ' קז.

19- שם עמ' קז.

20- שם עמ' קז.

(21) יהודה עמיחאי : אדיב אמראילי ولد عام 1924 في مدينة  
 فيرتسبورج بألمانيا ، هاجر الى فلسطين عام 1936 ، وتطوع في الفيلق  
 اليهودي الذي كان يساعد بريطانيا في الحرب العالمية الثانية فاشتترك في  
 حرب العلمين ، ومكث في مصر لمدة عامين . كما انضم لجماعة البالماخ  
 اليهودية أثناء حرب 1948 . وقد بدأ ينشر شعره في أواخر الأربعينات ،  
 ويعتبر عميحاي رائدا للمدرسة الجديدة التي نشأت بعد قيام الدولة ،  
 فقد أدخل الى الشعر العبري المصطلحات العصرية التي كان الشعراء  
 يتحاشونها قبل ذلك . دواوينه الشعرية الأولى هي עכשוי ובימים האחרים  
 الآن وفي الأيام الأخرى במדחקי שתי תקוות أملان عن بعد 1958 ،  
אבינה העברית في الحديقة العامة 1959 ، ثم جمع كل هذه الدواوين

فی دیوان واحد و اضاف اليه قصائد جديدة ، وقد نشره تحت عنوان  
 5777 قصائد 1962 ، ويتسم عالم عيمحاي الشعري بالانتماع والتنوع ،  
 فالشعر عنده تأمل وتفسير وحوار يجريه الشاعر بين ذاته وذوات الأشياء  
 من حوله ؛ كما ان الشعر عنده مقترن بالانطباعات الخاصة « بالانا »  
 وبعقائده وآرائه الشخصية .

وقد كتب عيمحاي مجموعة من القصص من بينها 7777 7777 7777  
 ليست في هذا الزمان ولا في هذا المكان ، 7777 7777 7777  
 بهذه الروح الرهيبة ، وهي المجموعة القصصية التي تضم قصة 7777 7777  
 سد اسوان التي تناولها في كتابنا ، 7777 7777 7777 رحلة لنيثوى .

وقد حصل عيمحاي على جائزة برنر في الادب عام 1969 ،  
 وعلى جائزة بياليك عام 1976 ، وعلى جائزة اسرائيل في الشعر عام  
 1978 ، وقد ترجمت اجزاء كبيرة من انتاجه الشعري الى الانجليزية .  
 وقد انضم الى « جماعة السلام الآن » منذ تأسيسها .

32- עמיחי, יהודה : הספר באסואן. הדרה הנוראה הזאת. הוצאת שוקן 1973.  
 23- 7777 עומר : 7777 על יהודה עמיחי על עברו ועתידו. הוצאת מספר 23  
 ידלי 1978 עמ' 6'5.

24- שם עמ' 5.

25- שם עמ' 6.

26- עמיחי, הספר באסואן עמ' 235.

27- שם עמ' 226.

28- שם עמ' 227.

29- שם עמ' 232.

30- שם עמ' 232.

31- נסים קלדרון : התפחות סיון קריאה. ספריה 1972 עמ' 310.

32- עמיחי : הספר באסואן עמ' 234.

( ٣٣ ) كاتبة اسرائيلية عاشت في مصر عام ١٩٢١ .

34- בחיה סהנה : ספינקס, שדות עז החוד, הוצאת מסדה

1965 עמ" 77.

35- שם עמ" 77.

36- שם עמ" 77.

37- שם עמ" 77.

38- שם עמ" 77.

39- דבורה בארון : הגולים ספרית לעם, 1970 עמ" 42.

( ٤٠ ) دافيد شمعوني : أديب عبري من أصل روسي ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٠٩ حيث عمل حارسا ومزارعا في عدة مستوطنات يهودية ، ثم سافر الى اوروبا مرة أخرى حيث درس الفلسفة وفقه اللغات السامية في جامعات المانيا في الفترة بين عامي ١٩١١ - ١١١٤ ، ثم اراد ان يعود مرة أخرى الى فلسطين ولكن اندلاع الحرب العالمية الاولى حال دون ذلك ، فسافر الى روسيا حيث عمل في بعض الأنشطة الصحفية حتى عام ١٩٢١ حيث عاد الى فلسطين بصفة نهائية ، وعمل مدرسا في مدرسة هرتسليا الثانوية حتى وفاته .

واهم اعماله שירים قصائد ١٩٢٥ ، נאמר מלא قصائد

الرحلات عام ١٩٣١ ، ספר האידיליות ديوان القصائد الوصفية ،

במשא' في السر عام ١٠٥٥ . كانت اشعاره في المرحلة الاولى ذات طابع عاطفي يعبر عن الحزن بسبب الاحساس اليهودي العام بعدم الانتماء ، كما تصف هذه الاشعار - بحماس شديد - حياة الرواد الاوائل ، ولكنه كتب اشعارا هجائية بعضها موجه ضد الانتداب البريطاني والبعض الآخر موجه ضد العرب .

41- שמעוני דוד : שירים ספר ראשון, שדורה עניה הוצאת

"מסדה", תל-אביב, תשי"ד עמ" קד.



## هوامش الفصل الثالث - مصر رمز للمنفى

(١) فى بداية العقد الثامن من القرن الماضى قامت السلطات القيصريّة فى روسيا بغارات عنيفة على التجمعات اليهودية فأخذوا يقتلون منهم العديد وينهبون من أموالهم الكثير ، ولقد تخفت هذه الحملات القيصريّة تحت ستار الوطنية والحرص على الدين ومصالح الكنيسة ، ولكن الدافع لها كان غالبا ، محاولة هذه السلطات الاستبدادية الهاء الجماهير المقهورة ، ولغت أنظارهم بعيدا عن تعاستهم وبؤسهم ، وشغلهم عما يعانونه من التخلف والطغيان ، وكذلك محاولة أقسام من الطبقة البرجوازية الروسية التخلص من منافسة التجار اليهود لهم .

ولقد وصلت هذه الحملات الى ذروتها مع سلسلة المذابح الجماعية الموجهة ضد تجمعات اليهود وأحيائهم والمسماه بوجروم 1771 وهى كلمة روسية تعنى « تدمير » أو « هجوم » أو « فتك » ، وكانت هذه المذابح دافعا رئيسيا فى إعادة المثقفين اليهود الى التقوقع داخل اليهودية مرة أخرى وبعث المثل العليا القديمة بصورة جديدة .

(٢) فى يناير عام ١٩١٥ قام الوالى العثمانى بإصدار فرمان يحرم النشاط الصهيونى ، وبذلك ضيق الخناق على التجمعات اليهودية فى فلسطين ، فتدفق العديد منهم الى مصر ، وقد احسنت الحكومة المصرية استقبالهم واکرمت وفادتهم ونظمت اساليب مساعدتهم . وتكونت فى معسكر اللاجئين اليهود بالاسكندرية عام ١٩١٥ نواة الفرقة اليهودية ( راكبى البغال ) التى خدمت قوات الحلفاء فى العمليات العسكرية فى جاليبولى . وقد ساعدت جموع اللاجئين على انتشار الأخطار الصهيونية بين يهود الاسكندرية ، كما شجع وجودهم على توحيد النشاط الصهيونى فى مصر . اذ وجدت الجمعيات الصهيونية نفسها مضطرة الى توحيد جهودها للسهر على راحة اللاجئين وتوفير اقامة ملائمة لهم .

(٣) فاض قلب هتلر بكراهية شديدة لليهود حتى اتخذ الانسان اليهودى عنده صورة المجرم والخائن والماركسى والماسونى ورجل البنسك الدولى وحليف رجال الدين ، وكان مبعث هذه الكراهية عدة امور منها سيطرة اليهود على معظم مجالات الاقتصاد الألمانى ؛ ومنها ايضا أن اليهود يصنفون انفسهم باعتبارهم « امة سامية تؤكد على جمال الأخلاق فى مقابل الأمم الأخرى التى تؤكد على اخلاق الجمال » مما اشعل الحقد فى قلوب الألمان خاصة وان هذه الفترة كانت فترة رواج فكرة القوميات حيث ذهب كثر شعب يبحث عن عبقريته واصالته ، وكان الألمان انذاك يبحثون ايضا عن قوميتهم ، فحدث الصراع بين الفكر اليهودى والفكر الألمانى الذى كان يؤكد ان اليهود قد « افسدوا الدم الأرى النقى » وانهم السبب الرئيسى فى خراب المانيا ، وانهم طعنوا الشعب الألمانى فى ظهره اثناء الحرب الأولى ، ولذلك بدا ان التخلص من هذا العدو يعتبر المبرر الصحيح لاتجاه الحركة النازية ، وتنقسم فترة الاضطهاد النازى لليهود الى مرحلتين : الأولى من ١٩٣٣ حتى ١٩٣٩ حينما شن النازيون حملات على اليهود لاثارة مشاعر الكراهية والاحتقار ضدهم وتبدأ المرحلة الثانية من عام ١٩٣٩ حتى نهاية الحكم النازى ، وهى مرحلة الإبادة الجماعية لليهود والتى بلغت ذروتها فيما بين عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٤ حيث قضى على اعداد غفيرة منهم . وقد تركت الإبادة جرحا شديدا فى الوجدان اليهودى حتى أن التصورات اليهودية عن الخالق قد تعدلت بعض الشيء وصار كثير من اليهود يسألون عن مدى تدخل الخالق فى التاريخ ومدى مسؤوليته ، كما أدت الإبادة الى شعور الاوروبيين باحساس يطلق عليه « ازمة الضمير الأوروبى » وصارت أوروبا كلها تشعر بالرغبة فى التكفير .

(٤) ناناان الترممان ١٩٠١ - ١٩٧٠ : شاعر اسرائيلى ولد فى بولندا عام ١٩٢٠ ، ثم هاجر الى اسرائيل مع عائلته حين بلغ الرابعة عشر من عمره ، حيث عمل محررا ومترجما فى هآرتس منذ عام ١٩٣٤ حتى عام ١٩٤٣ ، ثم انتقل - بعد ذلك - الى صحيفة دافار العمالية . نشرت به كورة انتاجه الشعرى عام ١٩٣١ فى المجلة الأسبوعية كتوبيم والتى كان يحررها آنذاك الشاعر ابراهام شلونسكى . وقد اشتهر الترممان

كشاعر شعبي ساخر يستعمل العبرية الدارجة في انتقاد الأحداث التي تدور من حوله ، ويعتبر واحدا من رواد الشعر العبري الحديث . ومن أهم أعماله « كواكب في الخارج » ، « فرجة الفقراء » ، « قصائد ضربات مصر » وغيرها . ويستخدم الترميز البالادا الأوروبية استخداما جيدا ، وتفيض بعض أعماله الإبداعية بموضوعات الحب والموت التي أفرزها العذاب الرومانسي ، فالعاشق الميت العائد هو غالبا عاشق مقهور ، والمرأة المتقبلة ، والشاعر الجوال الذي ينظر إلى الدنيا كمعبد أو حانه ، هي من الموتيقات التي تتكرر في شعره .

- 5- אלי זכיר : כל נחמי יצירות של אלתרמן עמ" 145 .  
6- דן כירון : ארבע פנים בספרות העברית בת ימינו. הוצאת זקן.  
השכ"ב עמ" 42.

- אלי זכיר : על שחי יצירות של אלתרמן עמ" 145 .  
- נורית גוברין : מצרים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ" 271 .  
- نعيم عرايدى : نافذة على الأدب العبري الحديث ص ٨٦ .

- 7- נורית גוברין : מצרים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ" 271 .

- 8- נתן אלתרמן : כל כתבי נתן אלתרמן. שירים שמכרך 7 , הוצאת הקבוץ המאוחד. תל-אביב 1972 עמ" 227-223 .

- 9- עם עמי 229-230 .  
...

- ( ١٠ ) نعيم عرايدى : نافذة على الأدب العبري الحديث ص ٨٨ .

- 11- דן כירון : ארבע פנים בספרות העברית בת ימינו עמ" 46 .

- 12- נתן אלתרמן : כל כתבי. שירים. סך 7 עמ" 234-236-238 .

- ( ١٣ ) الناقد هو ميخالى ، والاقتباس نقلا عن ابراهيم البحراوى :  
الأدب الصهيونى فى بين حريين . حزيران ٦٧ وتشرين ٧٣ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٧ ص ٢٢ .



( ١٤ ) ايهود بن عيزر ( ١٩٣٦ - ) . كاتب امرايلى ولد فى  
بتاح تكفا عام ١٩٣٦ ، وهو حفيد باروخ راب الذى شارك فى تأسيس قرية  
بتاح تكفا ، تلقى تعليمه الاوولى فى قريته ، ثم التحق بالجامعة العبرية  
بالقدس . نظم الشعر وكتب القصص والمقالات الصحفية والادبية والنقدية  
فى مجالات الادب والفلسفة وقصص الاطفال . وقد نشرت روايته الشهيرة  
המחצבה ( المنجم - المحجر ) عام ١٩٦٣ . وفى عام ١٩٦٨ نشر روايته  
الثانية אנשי סדום رجال سدوم .

15- נורית גוברין : מציגים בספרות העברית של הדורות האחרונים עמ" 272.

16- איהוד בן עזר : אשה, מחזור סיפורים. ספרית חרמל 1978 עמ" 87.

17- שם עמ" 88.

18- שם עמ" 95.

19- שם עמ" 89.

20- שם עמ" 91.

21- שם עמ" 91-92.

22- שם עמ" 93.

23- שם עמ" 93.

## هوامش الباب الثاني





## الفصل الأول

### مصر في أدب الرحلات

---

(١) يهودا بورلا ١٨٨٦ - ١٩٦٩ : قصاص اسرائيل ولد في القدس لعائلة من الحاخامات الشرقيين ، ولذلك تربي تربية دينية تقليدية متعصبة . وهو يعتبر أول كاتب بالعبرية الحديثة ينتمى لأصول شرقية . وقد خدم في الجيش التركي ابان الحرب العالمية الاولى ، وعمل بعد ذلك مديرا للمدارس العبرية في دمشق لمدة خمس سنوات ، وذهب الى امريكا اللاتينية عام ١٩٤٦ مندوبا عن الصندوق القومي اليهودي . وبعد قيام الدولة عمل مدير لبعض دور النشر والصحافة .

وقد بدأ بورلا في الكتابة منذ سن مبكر واكتشف ان ادب العبرية الحديث ينصب كله على حياة اليهود الغربيين فقرر ان يعالج حياة اليهود الشرقيين في قصصه ، وكانت أولى قصصه ١٩٢٧ « لونا » تصويرا لقصة حب وقعت حوادثها في القدس القديمة ، ومن أشهر قصصه « بدون نجم » « الزوجة المكروهة » ، كما كتب قصصا تاريخية منها قصة حياة يهودا هاليفي التي نتناولها في كتابنا .

(٢) يهودا هليفي : اكبر الشعراء العبريين في العصور الوسطى ، اللقب ايضا بابي الحسن اللاوى ، ولد في مدينة طليطله عام ١٠٨٠ ، ثم درس الطب . وكان اللاوى مولعا بالشعر فقرضه في العديد من الأغراض كالمدح والغزل ووصف الطبيعة وكذا الاشعار الدينية ، وقد نظم اشعاره كلها على غرار الشعر العربي ، وهو ما فعله جميع ادباء العبرية في العصور الوسطى تقريبا ، حيث عايشوا الشعر العربي هناك ابان الفتح الاسلامي للاندلس ، فنقلوا بحوره وأوزانه وقوافيه وأخيلته وأغراضه ، وبات الشعر العبري آنذاك يشبه الشعر العربي الى حد كبير . ويمتاز شعر يهودا اللاوى بعمق العاطفة وقوة الخيال وسلاسة الأسلوب وجزالة اللفظ ، وهو مع ذلك

فيلسوف له دراية واسعة بغروب الفلسفة ، ويظهر ذلك جليا من مؤلف له في الفلسفة عنوانه 750 77777 وترجمته للعربية « الحجج والدليل في نصر الدين الذليل » .

3- רבי יהודה הלוי שאת יהודה בורלא. הוצאת מסדה.  
חל- אביב 1968. עמ" 105-723 .

4- גורית גוברין : מצרים בספרות העברית של הדורות האחרונים , עמ" 260 .

(5) عواطف عبد الرحمن . دكتورة : الصحافة الصهيونية في مصر 1897 - 1954 . دار الثقافة الجديدة . القاهرة 1980 ص 32 ، 33 .

6- גורית גוברין : עמ" 260 .

7- רינקליס, י, ל : עם אהרונוביץ במצרים. הפועל הצעיר שנת  
שלושים ג 29-30 . תצ"ז .

(8) يوسف أهارو نوفيتس : 1877 - 1937 . صحفى اسرائيلى ولد في تل أبيب وهو مؤسس مجلة « العامل الفتى » ، وهو من أوائل من ساندوا الحركة العمالية في فلسطين . تلقى في طفولته تعليما تقليديا ، سافر الى أوديسا حين كانت مركزا للأدب العبرى . وهناك تلقى تعليما علمانيا وتعرف على أعضاء جمعية محبة صهيون وعلى أهداف هذه الجمعية . كما أسس رابطة 77777 77777 طلاب صهيون بهدف تشجيع الهجرة الى فلسطين والعمل بها . اشترك في المؤتمرات الصهيونية والاتحادات العمالية .

(9) دبوراً بارون 1896 - 1956 : أديبة عبرية ولدت في ليطا لعائلة يهودية متدينة / حيث كان والدها حاخام المدينة ، وقد اثرت هذه البيئة المتدينة فيها تأثيرا كبيرا في مفاهيمها وثقافتها ، وقد هاجرت الى فلسطين عام 1911 حيث عملت رئيسا لتحرير الملحق الادبى للمجلة الاسبوعية هبوعيل هتسعير فترة طويلة من الزمن ، وقد عاشت في مصر في الفترة من 1915 حتى 1919 وبالتحديد في الاسكندرية ، وقد نشرت قصصها الاولى في مجلة همليتس ، هشيلواح . وفاز كتابها 77777 « صغر » بجائزة بياليك عام 1933 ، وتعتبر دبوراً بارون من الأدباء الذين صنعوا الشكل

الفنى المتطور فى القصة العبرية الحديثة ، تتميز كتابتها بالاختصار والتكثيف وبساطة الأسلوب ، وتميل الى التصوير اكثر منه الى الحكاية ، الا انها لا تصور التفاصيل ، بل تركز على الخطوط العامة . وقد جمعت قصصها جميعا فى مجموعة واحدة بعنوان *שבעה ימים* « قضايا » عام ١٩٥١ ، والى جانبها مجموعة « من الأمس » التى تعتبر تكملة لاحدى قصص المجموعة الاولى ، وتحتوى على ثلاث قصص ، منها قصة *הגלגלים* المنفيون التى نتناولها فى الكتاب .

10- *שבעה ימים* ١٩٦١ *עמ"* 260.

(١١) هؤاد حسنين على . دكتور . من الأدب العبرى . القاهرة .  
معهد الدراسات العربية ١٩٦٣ ص ٢١١ .

12- *שבעה ימים* ١٩٦٢ *עמ"* 259.

13- *שם* *עמ"* 261.

14- *שם* *עמ"* 260.

(١٥) يوسف حاييم برنر : كاتب وناقد عبرى ، من مواليد أوكرانيا وهو أحد رواد اليهودية العمالية . تلقى فى بداية حياته تعليبا تقليديا يهوديا ، ثم مال الى كتب الهسكالا ، ولقد تأثر - من سن مبكرة - بأفكار تولستوى الاشتراكية الانسانية . هاجر الى لندن فى بداية هذا القرن ، وارتبط بحزب عمال صهيون *פועלי ציון* ، وفى عام ١٩٠٦ أصدر مجلة *מעורר* ، حيث كانت آنذاك المجلة العبرية الوحيدة ، ولكنها اغلقت بعد سنتين . فى عام ١٩٠٩ هاجر الى فلسطين . ومن أشهر اعماله

*פתח לשם* « لقمة خبز » ١٨٩٩ ، *שבעה ימים* الوادى العكر

١٩٠٠ *בחדר* . فى الشتاء ١٩٠٣ *בית* *למים* بين ماء وماء » ،  
*שבעה ימים* « من هنا ومن هنا » . وفى قصص برنر يظهر عذاب الانسان الذى يتصارع مع نفسه وكذلك مع المجتمع المحيط به ، كما يظهر فى أجواء قصصه قدر كبير من الكآبه .



(16) استير راب : اديبة عبرية ولدت في بتاح تكفا عام 1899 ،  
 كان عملها الأساسي مدرسة ، وبعد ان تزوجت عاشت في مصر لمدة خمس  
 سنوات من 1920 حتى 25 : حيث عادت مرة اخرى الى فلسطين .  
 نشرت باكورة قصائدها عام 1912 ، كما نشر ديوانها الأول קנע שפיר  
 « أشواك » عام 1930 .

وشعر استير راب لاتهمين عليه تلك الروح التي هيمنت على الشعر  
 العبري في الشتات من حيث نظرتة الى ابناء الشعوب الأخرى او الى  
 اليهودى واليهودية ، كما انها لا تنتمى الى احد التيارات الأدبية الحديثة  
 في اسرائيل ، بل لا يمكن تصنيفها باعتبارها منخرطة في احد هذه  
 التيارات ، حيث يغلب على أسلوبها طابع الكلاسيكية التي لازمت انتاجها  
 الأدبي كله سواء في ديوان שירי אסתר רב « شعر استير اب »  
 الذي صدر عام 1963 والذي يتضمن باكورة انتاجها الشعري ، او في كتابها  
 الأخير תפילה אחרונה « صلاة أخيرة الذي صدر عام 1974 ،  
 ولقد تأثرت استير راب كثيرا بمناظر الطبيعة في فلسطين ومصر ، ولذا  
 جعلتها ركنا أساسيا في اشعارها العاطفية القصيرة ، بل جعلت تلك الطبيعة  
 مزا للحب .

17- נורית. גוברין. עמ' 264.

18- שם עמ' 264.

19- ברנד. ג'ים ז'כל כחבי יוסף חיים ברנד. הוצאת הקבוץ השאנח, הוצאת

רביר. תל-אביב 1960 , עמ' 287-288.

20- שם עמ' 264.

21- שם עמ' 289.

22- שם עמ' 289.

23- שם עמ' 289.

24- ברנד, יוסף חיים: ממצרים. הפועל הצעיר . שנה ה, גליון 8,

11/1/1915.

25- שם

(26) انظر هامش رقم 9 من هذا الفصل .

(27) انظر هامش رقم 8 من هذا الفصل .

(28) هناك رسائل من اهارو نوفيتس الى صديقه יהודה ليف رכלס  
ד"ר ריסקליס والى يوسف شפר ינטסك والى يوسف حاييم ברנר , وقد  
نشرها الاخير ضمن كتاباته , كما ان هناك كتباً للسيرة كتبها بعض יהוד  
الاسكندرية , تناولوا فيها علاقاتهم مع דבורה بارון ואהרן נופיטס منها  
على سبيل المثال ما كتبه דאפיד יודלפייטס 1967 דה-הילבדץ تحت  
عنوان גולד ארץ ישראל במצרים» المنفيون الاسرائيليون في مصر « ,  
وما كتبه יהודה ריכלס بعنوان עם אהרן נוביץ במצרים مع אהרן נופיטס  
في مصر » .

(29) نعيم عرايدى : نافذة على الادب العبرى الحديث . دار  
المشرق . فلسطين المحتلة 1984 ص 39 .

(30) לחובר פ : ראשונים ואחרונים עם 395.

31- נודיה גולד"ן עם" 200.

32- דבורה בארון : הגולד"ן. ספריה לעם, הוצאת עם עובד  
תל-אביב, 1970, עם" 41.

33- שם עם" 41.

34- שם עם" 65.

35- שם עם" 65.

36- שם עם" 65.

37- שם עם" 65.

38- שם עם" 93-94.

39- שם עם" 50.

40- שם עם" 52.

41- שם עם" 56.

42- נודיה גולד"ן : הנדיה בספרות הערבית של הדורות

האחרונים, עם" 267.

43- שם עם" 267.

44- אסתר ראב : גן שודב : מבחר ספורים, שבעה שירים.

ספרית תרמ"ל 1983, עם" 193-196.

45- אסתר ראב : גן שודב עם" 187.

40- ש"ס עמ" 187.

47- אסתר ראב : תחת האקליפטוס בחלואן . תש"ז, 1983 עמ" 193.

48- ש"ס עמ" 198.

49- אסתר ראב : תחת האקליפטוס בחלואן , עמ" 192-193.

50- עמיחי, יהודה : הסבר באסואן. הרוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן 1973  
עמ" 228.

51- ש"ס עמ" 228.

52- ש"ס עמ" 226.

53- קווים לשירה עמיחי. על המשבר, המוסף לספרות 5/9/1969 עמ" 10.

54- עמיחי, יהודה. שירים 1948-1962. שוקן, ירושלים תשל"ז עמ" 95.

55- עמיחי : הסבר באסואן עמ" 227.

(56) اسحق بن نير-צחק בן נר : كاتب اسرائيلي ولد في قرية  
يهوشع ، نشر قصته الأولى  
العجوز « عام ١٩٥٤ بتوقيع مستعار ( ران نوف ٦٨٦٦ ) ثم بدأ  
يوقع باسمه الحقيقي على قصصه عام ١٩٥٩ حيث نشر قصته | המבדל  
« البرج » ، وفي عام ١٩٦٤ قصة | אלקסנדר הגדול « الاسكندر  
الأكبر » نشرت قصصه في صحف هآرتس ، كيشت ، سبمان הארץ , קשת ,

ש"ס وصدرت له مجموعات قصصية عديدة منها : שקיעה כפרית  
« غروب ريفي » وهي تحتوي على ثمان قصص كتبت بعد حرب ١٩٦٧ ،  
ثم أعقبها بمجموعة أخرى تحت عنوان . אחרי הגשם « بعد المطر » ،  
وفي عام ١٩٨١ نشر مجموعة ארץ בעיני « أرض بعيدة » وهي  
تحتوي على ست قصص تدور جميعها حول معاهدة السلام المصرية  
الاسرائيلية وما يترتب عليها من نتائج ، وقد تناولنا أحداها في هذا البحث .

كما صدرت له مجموعة من كتب الأطفال ، وقد ترجمت قصصه  
وكتبه الى العديد من اللغات مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية  
واليابانية . يعمل صحفيا ومعدا اذاعيا وناقدا سينمائيا في اسرائيل .



57- יצחק בן נר : דורד אובוסט, פברואר, ארץ החוקה, הוצאת כפר, ירושלים

1981 עמ" 105.

58- שם עמ" 123.

59- שם עמ" 122.

60- שם עמ" 131.

61- שם עמ" 107.

62- יוסל שה לבן : יצחק בן נר. הוצאת אור עם 1983 עמ" 9.

## هوامش الفصل الثانى

### مصر كموطن للميلاد

(١) شارك اليهود فى الحياة السياسية المصرية ، بيد ان مشاركتهم اقتصرت على الأدوار الفردية ، حيث برزت بعض الشخصيات اليهودية التى انضمت الى الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى ، وأدت هذه الشخصيات ادوارا متعددة داخل مجلسى الشيوخ والنواب ، او كوزراء او كموظفين فى القصر . منهم على سبيل المثال ليون كاسترون ، المحامى اليهودى الذى وفد من تركيا الى مصر بعد الحرب العالمية الاولى ، واستطاع ان يحضر بثقة سعد زغلول ، بل ورافقه فى مفاوضاته فى لندن بل ان منهم من تولى مسؤوليات رئيسية فى السلطة التنفيذية مثل يوسف قطاوى باشا الذى شغل منصب وزير المالية فى حكومة سعد زغلول عام ١٩٢٤ ، ثم عين وزيرا للمواصلات فى حكومة احمد زيوار باشا عام ١٩٢٥ ، وغير ذلك من الشخصيات اليهودية التى برزت فى الحياة السياسية المصرية .

(٢) عواطف عبد الرحمن . الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ، ١٩٥٤ . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٠ ص ١٠ .  
3 — H. Aurain A : Minorities in Arab World. London 1947  
pp. 41 .

نقلا عن عواطف عبد الرحمن . ص ١٣ .

4- נורית גוברין עמ" 272.

5- דחל מכבי : מצרים שלי . ספרית פועלים, 1968 עמ" 12.

6- שם עמ" 13.





(22) جاكين كاهانون : اديبة اسرائيلية ، ولدت في القاهرة في ١٨/٥/١٩١٧ ، تلقت تعليمها الاول فيها ثم عملت فيها فترة من الزمن ، وفي عام ١٩٤٠ تزوجت وسافرت الى الولايات المتحدة الأمريكية حيث التحقت بجامعة كولومبيا : بعد تخرجها في الجامعة عملت في الولايات حتى عام ١٩٥١ حيث سافرت الى باريس وظلت تعمل هناك حتى ١٩٥٤ وهو نفس العام الذي هاجرت فيه الى فلسطين . وتتركز اعمالها الأدبية في القصص والمقالات ، ولها دراسات في علم النفس ، وقد نشرت باكورة انتاجها باللغة الانجليزية ، ولكنها بدأت تنشر بالعبرية منذ عام ١٩٥٦ . ومن أهم مؤلفاتها סיפורים אפריקאים בני ארצות אפריקה المعاصرة عام ١٩٦٣ ، ממזרח שמש ، من مشرق الشمس ١٩٧٨ ، דרך הלבנים

جيل الشرقيين ، وهي تميل الى الكتابة عن البلاد الشرقية .

23- זקלין סהנוב : ממזרח שמש. הוצאת ספרים

1978. ילדות במצרים ופסח במצרים.

24- זקלין סהנוב : ילדות במצרים עמ" 11.

25- שם עמ" 12.

26- שם עמ" 12.

27- שם עמ" 13.

28- שם עמ" 13.

29- זקלין סהנוב : בסה במצרים עמ" 21.

30- שם עמ" 21.

31- שם עמ" 21 . — ٢٠٦ —

(32) اسحق جور مزانو : اديب اسرائيلی ولدفي مصر عام 1941  
وهاجر الى فلسطين عام 1951 .

33- גורמן, יצחק גורמזאנו : קיץ אלכסנדרוני, ספריה לעם עובד 1978.

34- שם עמ" 9.

35- שם עמ" 9.

36- שם עמ" 20.

37- שם עמ" 15.

38- שם עמ" 9.

39- שם עמ" 17.

40- שם עמ" 82.

## هوامش الفصل الثالث مصر في الأرض المحتلة

(١) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام :  
المجتمع الاسرائيلي . التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ١٩٨٠  
الجزء الثاني ص ٨٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٩ .

(٣) جدعون تليفار : اديب اسرائيلي من جيل الصابرا ، ولد في قرية  
بتاح تكفا عام ١٩٣٦ ، أنهى تعليمه الجامعي في جامعة القدس عام ١٩٦١ ،  
بدأ في نشر انتاجه الادبي حين بلغ السابعة عشر من عمره ، وبالتحديد  
في عام ١٩٥٣ ، من اهم اعماله مجموعة قصصية بعنوان «שכונת המין»  
«حي حاب» وقد نشرت عام ١٩٦٦ ، وتحتوي على سبع قصص قصيرة .  
٤- תלפז, גדעון : מי ורדים מפורסם סצייד. הוצאת אבנר, ירושלים  
תש"ב.

5- שם עמ" 25.

6- שם עמ" 26.

7- שם עמ" 28.

8- שם עמ" 28.

9- שם עמ" 28.

10- שם עמ" 27.

(١١) الهجاناه : منظمة عسكرية صهيونية استيطانية تأسست في  
القدس عام ١٩٢١ ، وقامت بالعمل المسلح ضد العرب ، كما شاركت في  
عمليات الاستيطان وتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وقد تعاونت



هذه المنظمة مع بريطانيا لسحق الثورة العربية في فلسطين عام ١٩٣٦ ، وعلى الرغم من ذلك التعاون الوثيق بينهما ، فقد جاءت فترات اتسمت بالصراع بين الطرفين وخاصة بعد انتصار قوات الحلفاء على النازي وتعاضل المد الثوري داخل فلسطين ، مما كان يضطر الحكومة البريطانية للاعتراف الجزئي بحقوق الشعب الفلسطيني ، ولعل أهم فترات الصراع هي السنوات الأخيرة في الحرب حينما هاجمت الهجانا القوات البريطانية لتضطر الحكومة البريطانية لسحب الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ .

(١٢) أليغار سمولى: أديب عبري ولد عام ١٩٠١ في مقاطعة اوكرانيا أصدر العديد من المؤلفات الأدبية للأطفال والشباب . تلقى تعليمه الأولي في أوديسا ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠ ، في ١٩٢٣ أنهى دراسته في مدرسة المعلمين الدينيين في القدس ، ثم عمل مدرسا لمدة أربعين سنة في منطقة الجليل وثل أبيب . في عام ١٩٣٤ سافر الى برلين حيث درس العلوم الطبيعية في جامعتها . اهتم في قصصه بتصوير حياة الفلاحين والطلّاع والمزارعين والمهاجرين الجدد، كما صور بهاء الطبيعة في فلسطين .

نشر قصته الأولى *העולם הזה* الراعي المخلص في مجلة *העולם הזה* عام ١٩٢٧ . أحدثت روايته الطويلة *במסע* « شخصيات التكوين » دويا هائلا في الأوساط الأدبية العبرية ، حيث كانت أطول قصة كتبت للأطفال في فلسطين حتى ذلك الوقت ، وكان سمولى متأثرا فيها - الى حد كبير - بما ورد في كتاب العهد القديم ، وقد ترجمت هذه الرواية الى العديد من اللغات الأجنبية .

وقد كتب سيرة حياته تحت عنوان *במסע* سمولى في إسرائيل ، ونشر هذا الكتاب عام ١٩٧٠ ، ومن أهم أعماله أيضا *אור* نور في الجليل ، *בצל* ظل شجرة « *החלוצים* الطلائع ، *בין זרמים* بين الشروق والغروب وهي المجموعة القصصية التي اقتبسنا احداها في كتابنا .  
13- *שמאל* ، *אליעזר* : *חילוף משמדות* ، *בין זרמים* *לשמיעה* .

הוצאת יבנה 1956.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولا - باللغة العربية :

- إبراهيم البحراوى . دكتور : الأدب الصهيونى بين حربين .  
حزيران ٦٧ وتشرين ٧٣ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت  
١٩٧٧ .
- أضواء على الأدب الصهيونى فى المعاصر ( كتاب الهلال - سلسلة  
ثقافية شهرية . العدد ٢٥٧ ) القاهرة ١٩٧٣ .
- احمد حماد . دكتور : المدخل الى الادب العبرى الحديث . الجزء  
الأول . القاهرة ١٩٨٠ .
- أحمد سوسة . دكتور : العرب واليهود فى التاريخ . الطبعة الثانية  
العربى للاعلان والنشر . دمشق ( بدون تاريخ ) .
- السيد يس : الشخصية العربية بين المفهوم العربى والمفهوم  
الإسرائيلى . القاهرة ١٩٧٣ .
- الفت محمد جلال . دكتور : الادب العبرى القديم والوسيط .  
مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ .
- الكتاب المقدس ( أى كتب العهد القديم والعهد الجديد ) .
- جمال حمدان . دكتور : شخصية مصر . دراسة فى عبقرية المكان .  
أربعة أجزاء . القاهرة . عالم الكتب ١٩٨٤ .
- حسن ظاظا . دكتور : الفكر الدينى الاسرائيلى . اطواره ومذاهبه  
القاهرة ١٩٧٥ .
- رشاد الشامى . دكتور : لمحات من الادب العبرى الحديث مع  
نماذج مترجمة . مكتبة سعيد رافت . جامعة عين شمس ١٩٨٤ .

- رشاد الشامى . دكتور : الأسير العربى والعجز الاسرائيلى عن  
الحسم الاخلاقى فى قصة الاسير لسامىخ يزهار . مجلة الدراسات الشرقية  
العدد الثانى . يوليو ١٩٨٤ .

- سيد يعقوب بكر . دكتور : منشعر بباليك . حوليات كلية  
الآداب جامعة القاهرة . المجلد ٢٦ . الجزء الأول . مايو ١٩٦٤ .

- صابر عبد الرحمن طعيمة : اليهود بين الدين والتاريخ - دراسة  
للجوانب العقائدية والتاريخية عند بنى اسرائيل . مكتبة النهضة المصرية .  
القاهرة ١٩٧٢ .

- عبد العزيز صالح . دكتور : حضارة مصر القديمة . القاهرة  
١٩٦٥ .

- عبد الوهاب المسيرى . دكتور : الاقليات اليهودية بين التجارة  
والادعاء القومى . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . معهد  
الدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٥ .

- عبد الوهاب المسيرى . دكتور : موسوعة المفاهيم والمصطلحات  
الصهيونية . مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام . القاهرة  
١٩٧٥ .

- عطية القوصى . دكتور : اليهود فى ظل الحضارة الاسلامية .  
القاهرة ١٩٧٨ .

- عواطف عبد الرحمن . دكتورة : الصحافة الصهيونية فى مصر  
١٨٩٧ - ١٩٥٤ . دار الثقافة الجديدة . القاهرة ١٩٨٠ .

- غسان كنفانى : فى الأدب الصهيونى . منظمة التحرير الفلسطينية  
مركز الأبحاث . بيروت ١٩٦٧ .

- فاروق جودى . دكتور : الصهيونية واحياء اللغة فى العصر  
الحديث . دار النشر العربى . القاهرة ١٩٧٧ .



- فاروق جودى . دكتور : الصهيونية واللغة . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٧٧ .
- فهمى وليم : الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة . القاهرة ١٩٧١
- فؤاد حسنين على . دكتور : الادب اليهودى المعاصر . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ١٩٧٢ .
- فؤاد حسنين على . دكتور : من الادب العبرى . معهد الدراسات العربية . القاهرة ١٩٦٣ .
- كلوزنر يوسف : الموجز فى تاريخ الادب العبرى الحديث ١٧٨١ - ١٩٣٩ تعريب اسحق شموش . عكا ١٩٨٦ .
- محمد جمال امام : هتلر والصهيونية . القاهرة ١٩٧٨ .
- محمد خليفة حسن . دكتور : الحركة الصهيونية . طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى . القاهرة دار المعارف ١٩٨١ .
- علاقة الاسلام باليهودية . رؤية اسلامية فى مصادر التوراة الحالية . دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٨٦
- نظرة نقدت فى قضية الاصل المصرى القديم لموسى وديانته مقال نشر فى مجلة الدراسات الشرقية . العدد الثالث . ديسمبر ١٩٨٥ .
- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الاهرام . القاهرة المجتمع الاسرائيلى التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . الجزء الاول والثانى ١٩٨٠ .
- معين بسيمو : نماذج من الرواية الاسرائيلية المعاصرة . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة ١٩٧٠ .

- - نازك ابراهيم عبد الفتاح • دكتور : الشعر العبرى الحديث •  
أغراضه وصوره • القاهرة ١٩٨٠ •
- - نعيم عرايدى : نافذة على الأدب العبرى الحديث • دار المشرق •  
فلسطين المحتلة ١٩٨٤ •
- - نعمات احمد فؤاد • دكتورة : شخصية مصر • القاهرة • الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ •
- - ول ديورانت : قصة الحضارة • ترجمة محمد بدران • جامعة  
الدول العربية • الطبعة الثالثة ١٩٦١ الجزء الثانى من المجلد الاول •
- - قاموس الكتاب المقدس •

#### رسائل جامعية غير منشورة :

- - السيد اسماعيل السروى : دافيد شمعونى شاعرا اسرائيليا •  
رسالة ماجستير • جامعة القاهرة ١٩٨٦ •
- - زين العابدين محمود حسن : المقال عند احادها عام • رسالة  
دكتوراه • جامعة القاهرة ١٩٨٢ •
- - محمد احمد محمود حسن : مصر فى العهد القديم • رسالة دكتوراه  
جامعة القاهرة •
- - محمد محمد الخطيب : جرينبرج شاعرا • رسالة ماجستير •  
القاهرة ١٩٨٠ •
- - عبد الخالق عبد الله جبة : يهودا عميمائى • حياته وشعره •  
رسالة ماجستير • جامعة القاهرة ١٩٨٥ •
- - علاء عبد المجيد القنصل : خروج بنى اسرائيل من مصر • رسالة  
ماجستير • جامعة القاهرة ١٩٧٩ •

## ثانيا - باللغة العبرية :

- אחד העם : כל כתבי אהרן העם. תל-אביב. דביר. 1905.
- אמינבר, יצחק : תולדות ישראל בעת החדשה. תל-אביב. דביר תשנ"ט.
- אלעדמן, נתן : יצירי ככות מצרים הוצאת מחברות לספרות 1944.
- בארון, דבורה : " הגולים" ספריה לעם, עם עובד 1970.
- בורלא, יהודה : כסעי רבי יהודה הלוי. הוצאת עם עובד 1959.
- ביאליק, חיים זושמן : כל כתבי ביאליק. תל-אביב דביר
- בן אור, אהרון : תולדות הספרות העברית החדשה, סך "ג", הוצאת יזרעאל חשי"ט .
- : תולדות הספרות העברית בוורנו. יזרעאל תל-אביב 1968 .
- בן נר, יצחק : האיש משם, 'ספריה לעם, עם עובד 1967.
- : דוד אוגוסט, שהיר, פבואר. ארץ רחוקה, הוצאת כד 1981 .
- בן עזר, אהוד : ליל שמורים אחד, אפרת, מחזור ספורים. הוצאת תרמיל 1978 .



- ברנר, יוסף חיים : עצבים, כתבים, סך "א" 1900-1911.

: במצרים, הפועל הצעיר, נבד ז, בלי 6, תר"ח.

: כל כתבי יוסף חיים ברנר, הוצאת הקבוץ האחד  
תל-אביב, דביר 1906.

- גוברין, נורות : מעדים בכשרות העברית של הדורות האחרונים, ופים  
לחקר בכשרות, אוניברסיטת חיפה, סך ז, 1975.

- גורדון, יהודה לב: כתבי יהודה לייב גורדון, אסנת בת פוסיפרע,  
הוצאת דביר, תשכ"ו

- גורן, יצחק (גורמזנו) : קיץ אלקסנדרוני, ספריה לעם, עם עובד  
1978.

- גרינברג, אורי צבי: אוסף גדולה וירח, ספר פואמות הדיס תרפ"ד.

- גרן, צבי : דברי ימי ישראל, 6 ספרים, הוצאת יזרעאל, תל-אביב  
תשס"ו.

- דובנוב, שמעון : דברי ימי עם עולם, סבי גיד, דביר, תל-אביב  
תשכ"ב.

- הלקין, ש : כרכי שירה צעירה בשנים האחרונות, עקד, ירושלים תשי"ב.

- הראל דגן, אנדה : פואמה קהירית, הוצאת עקד, ירושלים 1802.

- גרין-ל-גפתי הרץ : יסודי תפארת, ברלין-טהב, 1902-1902.

- מעדני חובסקי- זאול : מבחר שירים , דביר. תל-אביב תשל"ג.
- יוסל שה לבן: יצחק בן נר, הוצאת אור עם 1983.
- סזן, יעקוב : כובי יעקוב סזן, כתבים ודאבתיים, ליד הפירמידות.  
הוצאת דביר, תל-אביב 1939.
- סזנא, בחיה : ספינגס . בשפות עץ והוד. הוצאת זמנה 1965.
- סזנוב, זקלין : ילדות בבצרים. קשת. תנא א . 1959.
- : ממזרח זמש. הוצאת ספרים 1978.
- : פסח בבצרים. הוצאת ספרים 1978.
- לחובר, פ : תולדות הספרות העברית החדשה, דביר, תל-אביב 1965.
- : שירה ומחשבה (מסות ומאמרים), דביר תל-אביב, תשי"ב.
- : ביאליק חייו ויצירותיו, טוכר ביאליק, דביר 1964.
- לחובר, פ : ראשונים ואחרונים. מסות ומאמרים על סופרים. דביר תל-אביב  
תשכ"ו.
- לקויר, זאב : תולדות הציונות. זקן ירושלים, 1973.
- פירון, דן : ארבע פנים במסות העברית בה יבינו. הוצאת זקן.  
ירושלים 1962.

- כבבי, רחל : בצרים שלי. הוצאת ספרית פועלים 1968.
- עובט, בן : עדותו של יהודה עביזי על עצמו וטירתו, פרוזה  
בספר 25, יולי 1978.
- עמיחי, יהודה : הסדר באסואן, הרוח הנוראה הזאת. הוצאת שוקן  
ירושלים, 1973.
- : שירים 1902\_1948. שוקן ירושלים ותל-אביב, תש"ז.
- קורצוויל, ברוך : ספרותנו החדשה, הכרך או ספסל. הוצאת שוקן,  
ירושלים ותל-אביב תש"א.
- קלוזנר, יוסף : קצור היסטוריה של הספרות העברית החדשה (שני  
כרכים) ירושלים 1954.
- קרלס, ג : לכסיקון הספרות העברית בדורות האחרונים, ספרית פועלים.
- ראב, אסתר : "בן שורב", "תחת האקליפטוס בחילואן ריבת שושנים"  
מבחר סיפורים ושבעה שירים. הוצאת תש"ל 1983.
- ריקלוס, י"ל : עם אחרונותיך בצדים. הפועל הצעיר שנת  
30, גל 29-30. תש"ז.
- שאנן, אברהם : מלון הספרות החדשה. יבנה 1978.



- שאנן, אברהם: הספרות העברית החדשה לזרפיה, מסדה, תל-אביב. 1966.
- עבד, אלי : על יצירות של אלחריבן. הוצאת עם עובד 1971.
- ששלי, אליעזר : חילוף משכדות, בין זריחה לשקיעה הוצאת יבנה 1956.
- שמעוני, דוד : שירים ספר ראשון, מהדורה שניה, הוצאת מסדה, תל-אביב תשי"ד.
- שקד, גרשון : גל חדש בספרות העברית. ספריה פועלים, תל-אביב 1971.
- : המחזה העברי החיססורי בחקופת התחייה, הוצאת מוסד ביאליק 1970.
- תלפז, גדעון : פי ורדים מפורס סעיד, הוצאת אגודת שלם. תשל"ב.
- תנ"ך : תורה נביאים כתובים.
- כתב עת "מוזנים". "פרוזה"
- האנציקלופדיה העברית.
- האנציקלופדיה המקראית.
- לקסרון האישים של ארץ ישראל, עם עובד 1963.

ثالثا - باللغة الانجليزية :

- Aubray, Selincourt : The world of Herodotus. Little and Company . Boston, Toronto 1962 .
- Aurain. H. A. : Minorities in Arab World. London 1947.
- Halkin, Simon : Modern . Hebrew Literature From Enlightenment to the Birth of state of Israel. Schochen Books inc. New York 1970
- Landa. J.L. Short Lectures on Modern Hebrew Literature, Edward Goldston L rd. London 1938.
- Pontet. C. P : The Ancient World - London 1912.
- Rena Lee kofman : In Egypt, In Exill : Studies in Two works of Yish a gr Ben Ner. Hebrew Studies 1983.
- Robertson : On the travke of the Oxodus - London 1936.
- Roth Cecil : A short History of the Jewish People London. East and West Library 1949 . c jji
- Waxman Mayer : Ahistory of Jewish Literature New York 1941 .
- The Universal Jewish Encyclopedia . New York 1948.
- Encyclopedia Americana .
- Encyclopedia Britanica .

## רביעא - המסאגם :

- מלון בן עושן 8 ערכים
- אוצר ראשי תבות הוצאת ראובן, ירושלים תשל"ח. איחוד בן יהודה.
- דוד וינשטיין : מלון אנגלי ערבי, ערבי אנגלי 1971.
- דב בן אבא : מלון ערבי אנגלי, אנגלי ערבי.
- قاموس قوجمان . عبري - عربي . مكتبة المحتسب . ١٩٧٠ .  
اللغات والترجمة . جامعة الأزهر . القاهرة ١٩٨٥ .
- شعبان محمد سلام . دكتور : قاموس المختصرات العبرية .
- قاموس سغيف . عبري - عربي . أربعة أجزاء .





رقم الايداع ٣٦٩٤ / ٢٩٨٧





مطبعة العرائنة للأوقست

٤٨ ش زهران عمراية غربية - جبده

ت : ٥٣٧٥٥٠

---



